النَّوع الثَّاني من الوحدة

لعل مكتبة ونيس

مختارات قصصيَّة

ترجمة: هشام فهمي

منشورات تكوين | مرايا
TAKWEEN PUBLISHING

سجل في مكتبة
اضغط الصفحة
SCAN QR

النَّوع الثَّاني من الوحدة

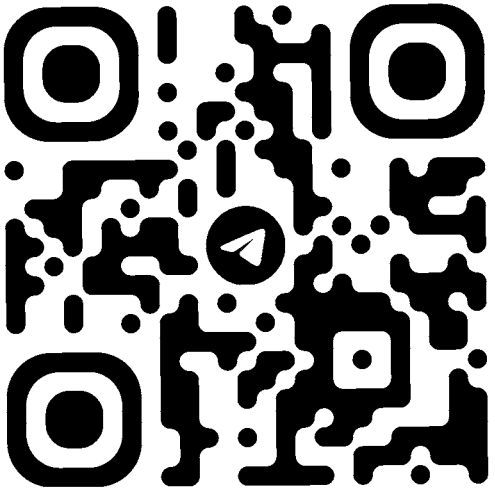

مكتبة
t.me/soramnqraa

عنوان الكتاب: **النّوع الثّاني من الوحدة**
ترجمة: **هشام فهمي**

تصميم الغلاف: يوسف العبدالله
تنضيد داخلي: سعيد البقاعي

ر.د.م.ك: 978-9921-808-91-9
الطبعة الأولى - يوليو/ تموز - 2025
1000 نسخة

جميع الحقوق محفوظة للناشر ©

منشورات تكوين TAKWEEN PUBLISHING
الكويت - الشويخ الصناعية الجديدة
تلفون: 40 04 81 98 965 +
بغداد - شارع المتنبي، بناية الكاهجي
تلفون: 60 58 00 11 78 964 +
takweenkw
takween.publishing@gmail.com
TakweenPH
takween_publishing
www.takweenkw.com

لبنان - بيروت / الحمرا
تلفون: 683 345 1 961+ / 980 541 1 961+
بغداد - العراق/ شارع المتنبي، عمارة الكاهجي
تلفون: 07810001005 / 07830070045
Dar alrafidain
daralrafidain@yahoo.com
Dar.alrafidain
info@daralrafidain.com
Dar alrafidain
www.daralrafidain.com

مكتبة
t.me/soramnqraa

النَّوع الثَّاني من الوحدة

مختارات قصصيَّة

ترجمة

هشام فهمي

منشورات تكوين | TAKWEEN PUBLISHING
مرايا

المحتويات

مكتبة
t.me/soramnqraa

ويل كريڤلنج
• **الجحيم مكتبة** ٧

جورج ر. ر. مارتن
• **النَّوع الثَّاني من الوحدة** ١١

كات هاورد
• **حياة في الخيال** ٣٩

كالڤن و. دمون
• **أهميَّة أن تكون مهمًّا** ٤٩

رِاي برادبري
• **المبعوث** ٥٣

ك. بروس هنتر
• **انتقام الفرعون** ٦٧

إرسولا ك. لِجوِن
• **قصَّة الزَّوجة** ٧١

جرِج تشيمبرلن
• **فلتر الحُب**..... ٧٩

ريتشرد ماثيسن
• **مولود من رجل وامرأة** ٨٣

ثيودورا جوس
• **حمراء كالدَّم وأبيض كالعظم**..... ٨٩

آرثر ت. كلارك
• **الحارس**..... ١٢٥

جو هيل
• **آلة شهرزاد الكاتبة**..... ١٤١

روجر زلازني
• **حامي كاميلوت الأخير**..... ١٤٧

ديڤد آنتوني دورم
• **كلُّ الفتيات يُحببن مايكل ستاين** ١٨٧

ج. ر. ر. تولكين
• **ورقة شجر من رسم نيجل**..... ٢٠٩

الجحيم مكتبة
* ويل كريغلنج *
مكتبة
t.me/soramnqraa

قال الشَّيطان بابتسامةٍ عريضة: «آه. أهلًا بك في دائرة الجحيم التَّاسعة. يُسعِدنا دائمًا أن يزورنا الشُّعراء؛ التَّغطية الإعلاميَّة التي يُقدِّمونها لنا ممتازة».

تلفَّتُّ حولي في حيرة. المكان ليس إلَّا مكتبةً هائلةً مترامية الأطراف، ترتفع فيها أكوامٌ وصفوفٌ من الكُتب إلى أعالٍ مستحيلة تبدو كأنَّها تمتدُّ بلا نهاية، فيما يجلس هنا وهناك عددٌ من الأشخاص بثيابٍ بالية وظهورٍ محنيَّة إلى طاولاتٍ طويلة، شبه محجوبين وراء المجلَّدات المكدَّسة، وبين حينٍ وآخَر يُطلِق هذا أو ذاك أنينًا مكتومًا.

وعلى ما يبدو لاحَ ارتباكي، إذ دنا مني أمير الظَّلام ووضعَ يدًا مخلبيَّةً على كتفي، فشممتُ رائحة صوف سُترتي المحروق، وبصوتٍ كمحرِّك طائرةٍ نفَّاثة يَسخُن شيئًا فشيئًا همسَ: «أنت عن نفسك أديب. هل يا تُرى جرَّبت يومًا الفنَّ المعروف باسم...»، ونظرَ إليَّ شزرًا مكملًا: «... القصَّة القصيرة؟».

جفلتُ، فأومأ برأسه وقال: «أرى أنك جرَّبته. وجهك يحمل العلامة. آه، نعم. القصَّة القصيرة. طريقٌ مضمون إلى اللَّعنة الأبديَّة. هل حدثَ أن تلقَّيت... رفضًا بعض رفض؟».

كيف آملُ أن أخدعه؟ لقد رأيتُ بوضوحٍ أنه يُدرِك عاري.

مالَ دانيًا مني أكثر، وانغرزَت مخالبه بمزيدٍ من العُمق في لحمي المرتعش، وهسهسَ: «وما الذي تحسبه يَحدُث لتلك الإبداعات الملتبسة الشَّائهة المنبوذة؟ أظننتها تقبع حبيسة الأدراج؟»، ولوَّح بيده بكبرياءٍ قائلًا: «ها هي ذي، في المستودع الأخير، كلُّها، كلُّها بلا استثناء، من الزَّمان كلِّه»، وابتسمَ مضيفًا: «وبعضها باليونانيَّة».

اقشعرَّ جلدي، فقال: «لك أن ترتجف. إنها مكتبةٌ ضخمة حقًّا، ضخمةٌ وتنمو. ألوف القصص تنصبُّ هنا يوميًّا. كلَّما قال مؤلِّف: فليذهب كلُّ شيءٍ إلى الجحيم، سأكتبها... ووووش!»، وابتسمَ ابتسامةً عريضةً كاشفًا عن أسنانه المدبَّبة، وأردفَ: «ترى إذًا نوع الأسلحة السرِّيَّة الجهنَّميَّة التي نحتفظ بها هنا. فكِّر في هذا، فكِّر: إذا أطلقنا هذه الأشياء المعوَّقة الشَّنيعة على العالم في آنٍ واحد لتنهمر في طوفانٍ رهيب على البشريَّة البائسة المسكينة... جنون! جنون ويأس! وأنا واثقٌ بعلمك أنَّ الانتحار خطيئةٌ مميتة. تُدرِك ما يعنيه ذلك».

لعقَ الشَّيطان شفتيْه الرَّفيعتيْن السَّوداويْن، واكتنفَني الغثيان إذ أدركتُ ما يتضمَّنه كلامه. أيُمكن أنَّ...؟

قال: «نعم. قصصك أنت أيضًا هنا. نودُّ أن نَشكُرك على ما أضفته إلى ترسانتنا. ماذا نفعل من دون أمثالك من القرود المثابرة الدَّءوبة على الفشل؟»، ثم جأرَ: «والمسابقات! كم أحبُّ المسابقات! كلَّما أعلنَ أحدهم عن واحدةٍ أضفنا جناحًا كاملًا جديدًا»، وانثنى على نفسه مستغرقًا في الضَّحك.

أحسستُ في رُكبتيَّ بالضَّعف. الموقف... جحيمي.

سألته مرتجفًا: «ومَن هؤلاء التُّعساء المساكين الجالسون إلى الطَّاولات بمنتهى الحُزن؟».

قال: «أوه، هؤلاء»، وهزَّ كتفيْه مجيبًا: «إنهم محرِّرون».

ويل كريڤلنج (١٩٣٨-٢٠٢٣): شاعر ورسَّام أمريكي، درسَ الأدب في جامعة هارڤرد، وعملَ لحساب الاستخبارات الأمريكيَّة في ألمانيا خلال الحرب الباردة.

نُشرت القصَّة بعنوان «*Thinking the Unthinkable*» في مجلَّة «*Asimov's Science Fiction*» في عام ١٩٨٢.

النَّوع الثَّاني من الوحدة

* جورج ر. ر. مارتن *

١٨ يونيو

بديلي غادرَ الأرض اليوم.

سوف تمرُّ ثلاثة أشهُر على الأقل قبل أن يصل طبعًا، لكنه في الطَّريق.

اليوم أقلعَ من كيب كاناڤرَل في فلوريدا مثلما أقلعتُ قبل أربع سنواتٍ طوال. في محطَّة كوماروف سينتقل إلى مركبةٍ قمريَّة، وعندما يَبلُغ محطَّة الفضاء العميق سيُبدِّل ركوبته ثانيةً في مدار القمر. هناك ستبدأ رحلته الحقيقيَّة، فحتى ذلك الحين سيكون بعدُ على مرمى حجرٍ من الوطن.

حتى تنطلق «الكارون» من محطَّة الفضاء العميق وتبدأ رحلتها في قلب اللَّيل، لن يَشعُر بالغُربة، يَشعُر بها بحقٍّ مثلما شعرتُ قبل أربع سنوات. حتى تغيب الأرض والقمر وراءه لن يُدرِكه الشُّعور. إنه يعلم من البداية طبعًا أنه لا سبيل إلى العودة،

إلَّا أنَّ بين العلم بالشَّيء والشُّعور به فرقًا، وعندئذٍ سيَشعُر بالفرق.

ستتوقَّف السَّفينة مرَّةً في مدار المرِّيخ لإرسال المؤن إلى المدينة المستقلَّة على السَّطح، وعدَّة مرَّاتٍ إضافيَّة في حزام الكُويكبات بين المرِّيخ والمشتري. أمَّا بعد ذلك فستبدأ «الكارون» ترفع سُرعتها، وحين تَبلُغ المشتري ستكون منطلقةً بسُرعةٍ بالغة ستتضاعَف مرارًا حين تَمرُق مارَّةً به كالسَّهم ومستغلَّةً جاذبيَّة الكوكب العملاق كمِقلاعٍ لزيادة تسارُعها.

وبعد ذلك لن تتوقَّف «الكارون» مرَّةً أخرى، لن تتوقَّف على الإطلاق إلى أن تصل إليَّ هنا في حلقة سربروس النَّجميَّة، بعد پلوتو بستَّة ملايين ميل.

سيجد بديلي وقتًا طويلًا للتَّأمُّل، مثلما وجدتُ.

ما زلتُ أتأمَّلُ الآن، اليوم، بعد أربع سنوات. ولكن من ناحيةٍ أخرى لا تُوجَد أشياء كثيرة غير ذلك يُمكن فعلها هنا. السُّفن الدَّائريَّة قلَّما تأتي، كما أنك تسأم الأفلام والشَّرائط والكُتب بعد فترة. وهكذا تستغرق في التَّأمُّل، تُفكِّر في ماضيك وتَحلُم بمستقبلك، وتُحاوِل الحيلولة دون أن تُفقِدك الوحدة والملل عقلك.

أربعُ سنواتٍ طوال مرَّت، لكنها على وشك الانتهاء، ومن اللَّطيف أن أعود. أريدُ أن أمشي على العُشب من جديد، وأرى السَّحاب، وآكل آيس كريم صنداي.

غير أنني رغم ذلك كلِّه لستُ نادمًا على مجيئي. هذه السَّنوات الأربع بمفردي في الظَّلام نفعَتني على ما أظنُّ، والأمر ليس كما لو أنني تركتُ خلفي أشياء كثيرةً. الآن تبدو لي أيَّامي على الأرض سحيقةً، ولكن ما زالَ بإمكاني تذكُّرها إذا حاولتُ. الذِّكريات ليست سارَّةً إلى تلك الدَّرجة. آنذاك كنتُ مضطربًا عاطفيًّا حقًّا.

لقد لزمَني وقتٌ للتَّفكير، وهذا أحد الأشياء التي تحظى بها هنا. الرَّجل الذي سيركب «الكارون» ليس الرَّجل نفسه الذي وصلَ إلى هنا قبل أربع سنوات. سأبني حياةً جديدةً تمامًا على الأرض، أعلمُ هذا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

٢٠ يونيو

سفينةٌ اليوم.

لم أعرف أنها قادمةٌ طبعًا، فأنا لا أعرفُ أبدًا. السُّفن الدَّائريَّة لا تصل بانتظام، والطَّاقات التي أتحكَّمُ فيها هنا تُحيل إشارات الراديو إلى فوضى من الطَّقطقة والفرقعة. في الوقت الذي اخترقَت فيه السَّفينة النِّطاق الإستاتيكي أخيرًا، كانت مواسح المحطَّة قد رصدَتها وأخطرَتني.

سفينةٌ دائريَّة كما اتَّضح فورًا، أكبر كثيرًا من خُردة النِّظام القديم على غرار «الكارون»، ومدرَّعة تدريعًا ثقيلًا لكي تتحمَّل ضغوط دوَّامة الفضاء الصِّفري، وقد أتَت منطلقةً في خطٍّ مستقيم دون محاولةٍ لخفض سُرعتها.

بينما اتَّجهتُ إلى غُرفة التَّحكُّم لأجهِّز نفسي، دهَمَني خاطر: محتملٌ أنَّ هذه هي السَّفينة الأخيرة. غالبًا لا طبعًا، فما زالَت أمامي ثلاثة أشهُر، وقتٌ يكفي لوصول دستةٍ من السُّفن. ولكن مَن يدري؟ السُّفن لا تصل بانتظامٍ كما أسلفتُ.

بشكلٍ ما أزعجَني الخاطر. السُّفن جزء من حياتي منذ أربع سنوات، جزء مهم، ولربَّما كانت سفينة اليوم الأخيرة. إذا صحَّ ذلك فأريدُ أن أعيش التَّجربة كلَّها هنا، أريدُ أن أتذكَّرها. والسَّبب وجيه على ما أظنُّ. مجيء السُّفن يجعل كلَّ شيءٍ آخَر يستحقُّ.

تقع غُرفة التَّحكُّم في قلب مسكني. إنها مركز كلِّ شيء، حيث تجتمع أعصاب المحطَّة وأوتارها وعضلاتها. على أنها ليست مكانًا باهرًا، فالغُرفة صغيرة جدًّا، وما إن ينزلق الباب منغلقًا حتى تُصبِح الجُدران والأرضيَّة والسَّقف بياضًا بلا ملامح. تحتوي الغُرفة على شيءٍ واحد فقط: لوحة تحكُّم بشكل حدوة حصان، تُحيط بمقعدٍ مبطَّن واحد.

جلستُ اليوم على ذلك المقعد للمرَّة التي ربَّما كانت الأخيرة، وربطتُ أحزمة الأمان ووضعتُ سمَّاعات الأذن وأنزلتُ الخوذة على رأسي، ثم مددتُ يديَّ إلى مفاتيح التَّحكُّم ولمستها وشغَّلتها.

واختفَت الغُرفة.

العمليَّة كلُّها تجري بالصُّور الهولوجرافيَّة طبعًا. أعرفُ هذا تمام المعرفة، لكنه لا يفرق ولو مقدار ذرَّةٍ وأنا جالسٌ على ذلك

المقعد. حينئذٍ -من وجهة نظري- لا أعودُ داخل المحطَّة، بل أُمسي خارجها في الفراغ. ما زالَت لوحة التَّحكُّم موجودةً، والمقعد أيضًا، أمَّا البقيَّة فتختفي، وبدلًا منها أرى الظُّلمات الشَّجيَّة في كلِّ مكان؛ فوقي، تحتي، تُحيط بي من كلِّ اتِّجاه، والشَّمس البعيدة ليست إلَّا نجمًا واحدًا بين نجومٍ كثيرات، والنُّجوم كلُّها قاصية نائية.

هكذا الأمر دومًا، وهكذا كان اليوم. عندما ضغطتُ على ذلك المفتاح صرتُ وحدي في الكون مع النُّجوم الباردة والحلقة، حلقة سربروس النَّجميَّة.

رأيتُ الحلقة كأنَّما من الخارج، ناظرًا إليها من أعلى. إنها بناءٌ ضخم في الحقيقة، لكنها من هنا لا شيء، تبتلعها جسامة الخلاء، خيط فضِّي رفيع ضائع في الحُلكة.

على أنني أعلمُ. الحلقة هائلة. مسكني يحتلُّ درجةً واحدةً فقط من الدَّائرة التي تُكوِّنها، دائرة محيطها يزيد على مئة ميل. البقيَّة دوائر كهربيَّة ومواسح وبنوك طاقة، والمحرِّكات، محرِّكات الفضاء الصِّفري المنتظرة.

دارَت الحلقة بصمتٍ تحتي، يمتدُّ طرفها البعيد ليختفي في العدم. لمستُ مفتاحًا في لوحتي، وأسفلي استيقظَت محرِّكات الفضاء الصِّفري.

وفي مركز الحلقة وُلِدَ نجمٌ جديد.

في البدء ظهرَ كنُقطةٍ ضئيلة في الظَّلام. أخضر اليوم، أخضر يانع. ولكن ليس دائمًا، وليس طويلًا. للفضاء الصِّفري ألوانٌ عديدة.

أصبحَ بإمكاني عندئذٍ أن أرى طرف الحلقة البعيد إذا أردتُ. بدَت متوهِّجةً بضوئها الذَّاتي، وقد دبَّت الحياة في محرِّكات الفضاء الصِّفري واستيقظَت مدرَّةً مقادير لا يتخيَّلها عقلٌ من الطَّاقة إلى الدَّاخل، لتخرق ثقبًا في الفضاء ذاته.

الثَّقب موجودٌ من قبل سربروس بزمنٍ طويل، من قبل الإنسان بزمنٍ طويل، والبشر عثروا عليه بمحض الصُّدفة عندما بلغوا پلوتو، فبنوا الحلقة حوله، ولاحقًا عثروا على ثقبيْن آخَريْن وبنوا مزيدًا من الحلقات النَّجميَّة.

الثُّقوب صغيرة، بالغة الصِّغر، لكن توسيعها ممكن، وعلى حساب مقادير هائلة من الطَّاقة يُمكن فتحها مؤقَّتًا. عبر ذلك الثَّقب الضَّئيل الخفي في الكون تُضَخُّ طاقةٌ خام إلى أن يتعكَّر سطح الفضاء الصِّفري الرَّائق ويثور لتتكوَّن دوَّامة الفضاء الصِّفري.

وهذا هو ما حدثَ الآن.

نما النَّجم في مركز الحلقة وتسطَّح. إنه قُرص نابض لا كُرة، لكنه ما زالَ أسطعَ شيءٍ في السَّماوات. بوضوحٍ تضخَّم، ومن القُرص الأخضر الدوَّار راحَت حِراب برتقاليَّة شبيهة بألسنة اللَّهب تندفع وتنسحب، وانحلَّت خيوط دُخانيَّة مزرقَّة شبيهة بالمحالق، وتراقصَت

بُقع من الأحمر وومضَت وسط الخُضرة ونمَت وامتزجَت، وبدأت الألوان كلُّها تندمج.

تضاعفَ حجم النَّجم المسطَّح الدوَّار متعدِّد الألوان، وتضاعفَ ثانيةً وثالثةً. قبل دقائق معدودة لم يكن له وجود، والآن يملأ الحلقة ويُلامِس الجُدران الفضِّيَّة ليلفحها بطاقته الرَّهيبة. بدأ يدور بسُرعةٍ أكبر فأكبر، دوَّامة في الفضاء، دُردور من النَّار والضَّوء.

الدوَّامة، دوَّامة الفضاء الصِّفري، العاصفة العاوية التي ليست بعاصفةٍ وليست تعوي، ذلك أنه لا صوت في الفضاء.

إليها اتَّجهت السَّفينة الدَّائريَّة باديةً كنجمٍ متحرِّك في البداية، قبل أن تتَّخذ شكلًا وتكوينًا بسُرعةٍ أدركَتها بالكاد عيناي البشريَّتان. صارَت طلقةً فضِّيَّةً قاتمةً في السَّواد، طلقةً موجَّهةً إلى الدوَّامة.

وقد أحسنَت التَّصويب. اخترقَت السَّفينة بُقعةً قريبةً جدًّا من مركز الحلقة، وابتلعَتها الألوان الدوَّارة.

ضغطتُ على مفاتيحي. وكما ظهرَت فجأةً -بل أشد- اختفَت الدوَّامة. السَّفينة أيضًا اختفَت طبعًا، ومرَّةً أخرى لم يَعُد إلَّاي والحلقة والنُّجوم.

ثم ضغطتُ على مفتاحٍ آخَر وإذا بي أرجعُ إلى غُرفة التَّحكُّم البيضاء المصمتة، أحلُّ أحزمة الأمان، أحلُّها للمرَّة التي قد تكون الأخيرة على الإطلاق.

على نحوٍ ما لا آملُ ذلك. لم أحسب قَطُّ أني سأفتقدُ في هذا المكان شيئًا. لكنني سأفعلُ. سأفتقدُ السُّفن الدَّائريَّة. سأفتقدُ لحظاتٍ كالتي عشتها اليوم.

آملُ أن أنال بضع فُرص أخرى قبل أن أتخلَّى عن ذلك كلِّه إلى الأبد. أريدُ أن أشعر مجدَّدًا بمحرِّكات الفضاء الصِّفري تستيقظ تحت يديَّ، وأشاهد الدوَّامة تغلي وتفور وأنا طافٍ بين النُّجوم. مرَّة واحدة أخرى على الأقل قبل أن أرحل.

٢٣ يونيو

حثَّتني السَّفينة الدَّائريَّة على التَّفكير بإسهابٍ فاقَ العادة.

غريبٌ أنني رغم كلِّ السُّفن التي رأيتها تمرُّ من الدوَّامة لم أفكِّر ولو مرَّةً في ركوب واحدة. على الجانب الآخَر من الفضاء الصِّفري عالمٌ جديد كلِّيًّا، «الفُرصة الثَّانية»، كوكبٌ أخضر غني يدور حول نجمٍ بعيد إلى درجة أنَّ الفلكيِّين ما زالوا لم يتأكَّدوا هل يُشارِكنا المجرَّة نفسها أم لا. هذا هو ما تنطوي عليه الثُّقوب من غرابة... لن تعلم يقينًا أين تقود إلى أن تمرَّ منها.

في طفولتي قرأتُ كثيرًا عن السَّفر بين النُّجوم. أغلبيَّة النَّاس حسبَته مستحيلًا، إلَّا أنَّ من حسبوا العكس ذكروا دومًا ألفا سنتوري باعتباره أوَّل نظامٍ شمسي سنستكشفه ونستوطنه. إنه الأقرب إلينا وما إلى ذلك. غريبٌ إلى أيِّ حدٍّ أخطؤوا. بدلًا من ذلك تدور مستوطناتنا حول شموسٍ لا نراها أصلًا، ولا أظنُّنا سنصل أبدًا

إلى ألفا سنتوري... بشكلٍ ما لم أفكِّر قَطُّ في المستوطنات من ناحيةٍ شخصيَّة، وما زلتُ لا أستطيعُ. الأرض هي المكان الذي فشلتُ فيه من قبل، ولا بُدَّ أن تكون المكان الذي أنجحُ فيه الآن. المستوطنات مجرَّد مهربٍ آخَر.

مثل سربروس؟

٢٦ يونيو

سفينةٌ اليوم. إذًا لم تكن الأخرى الأخيرة. ولكن ماذا عن هذه؟

٢٩ يونيو

لماذا يتطوَّع رجلٌ لوظيفةٍ كهذه؟ لماذا يَهرُب رجلٌ إلى حلقةٍ فضِّيَّة تَبعُد ستَّة ملايين ميل عن پلوتو ليَحرُس ثقبًا في الفضاء؟ لماذا يُضيِّع أربع سنواتٍ من حياته بمفرده في الظَّلام؟

لماذا؟

اعتدتُ أن أسأل نفسي تلك الأسئلة في الأيَّام الأولى. آنذاك لم أستطِع الإجابة، أمَّا الآن فأظنُّني أستطيعُ. آنذاك ندمتُ أشدَّ ندمٍ على الاندفاع الذي ساقَني إلى هنا، أمَّا الآن فأظنُّني أفهمه. ولم يكن اندفاعًا حقًّا. لقد هربتُ إلى سربروس، هربتُ، هربتُ لأفلت من الوحدة.

ألا يُعقَل ذلك؟

بل يُعقَل. أنا أعرفُ الوحدة. إنها سمة حياتي. في ذكرياتي كلِّها لستُ إلَّا وحيدًا.

لكن للوحدة نوعيْن.

أكثر النَّاس لا يُدرِكون الفرق. أنا أدركه. أنا ذقتُ النَّوعيْن.

يتكلَّمون ويَكتُبون عن وحدة الرِّجال الذين يُشغِّلون الحلقات النَّجميَّة. منارات الفضاء وما إلى ذلك. وهُم محقُّون.

تحلُّ عليَّ هنا في سربروس أوقاتٌ أحسبُني فيها البشريَّ الوحيد في الكون. الأرض ليست إلَّا حُلم حُمَّى. النَّاس الذين أذكرهم ليسوا إلَّا صنيعة عقلي.

تحلُّ عليَّ هنا أوقاتٌ أريدُ فيها أن أكلِّم أحدًا حتى إنني أصرخُ وأضربُ على الجُدران. تحلُّ عليَّ أوقاتٌ يزحف فيها الملل تحت جلدي حتى يكاد يُفقِدني عقلي.

على أنَّ أوقاتًا أخرى تحلُّ أيضًا. حين تأتي السُّفن الدَّائريَّة، حين أخرجُ لإجراء بعض الإصلاحات، أو حين أكتفي بالجلوس على مقعد التَّحكُّم ممثِّلًا صورتي في الظُّلمة لأراقب النُّجوم.

وحيد؟ نعم. لكنها وحدةٌ مأساويَّة تأمُّليَّة مهيبة يكرهها المرء كراهيةً حارقةً... وفي الآن نفسه يحبُّها إلى حدِّ اشتهاء مزيدٍ منها.

وبعد ذلك النَّوع الثَّاني من الوحدة.

لا تلزمك حلقة سربروس النَّجميَّة لتَشعُر بهذا النَّوع. ستجده في أيِّ مكانٍ على الأرض. أنا أعرفُ. أنا وجدتها، وجدتها أينما ذهبتُ، في كلِّ ما فعلتُ.

إنها وحدةُ الحبيسين في داخل أنفُسهم، وحدة من يتلفَّظون بالأقوال الخطأ مرارًا وتكرارًا حتى لا تعود لديهم الشَّجاعة ليقولوا أيَّ شيءٍ أبدًا.

وحدةٌ منبعها ليس المسافة بل الخوف.

وحدةُ من يجلسون بمفردهم في غُرف مؤثَّثة في مُدن مزدحمة لأنهم بلا مكانٍ يذهبون إليه أو أحدٍ يُكلِّمونه. وحدةُ الرِّجال الذين يرتادون البارات ليُقابِلوا أحدًا، فقط ليكتشفوا أنهم يجهلون كيف يبدؤون حديثًا، ولو عرفوا لما تمتَّعوا بالشَّجاعة.

لا جلال في هذا النَّوع من الوحدة، لا غاية ولا شاعريَّة. إنها وحدةٌ بلا معنى. إنها حزينةٌ ووضيعة وبائسة، ويفوح منها عطن رثاء الذَّات.

نعم، مؤلمٌ أحيانًا أن تكون وحيدًا بين النُّجوم.

لكن أشدُّ إيلامًا أضعافًا أن تكون وحيدًا في حفلة، أشدُّ أضعافًا.

٣٠ يونيو

أقرأ ما دوَّنته أمس. حدِّث ولا حرج عن رثاء الذَّات...

١ يوليو

أقرأ ما دوَّنته أمس. قناعي السَّاخر الوقح. بعد أربع سنواتٍ ما زلتُ أقاومُ متى حاولتُ أن أكون صادقًا مع نفسي. ليس هذا

جيِّدًا. لو أنَّ الأمور ستختلف أيَّ اختلافٍ هذه المرَّة فعليَّ أن أفهم نفسي.

ما الذي يُجبِرني إذًا على الاستهزاء بنفسي عندما أعترفُ أنني وحيدٌ واهن؟ لِمَ يجب أن أكافح لكي أعترف أنني خائفٌ من الحياة؟ لا أحد سيقرأ هذا أبدًا. إنني أكلِّمُ نفسي عن نفسي.

لماذا أعجزُ إذًا عن إرغام نفسي على قول أشياء كثيرة جدًّا؟

٤ يوليو

لا سفينة دائريَّة اليوم. مؤسف. الأرض لم تشهد قَطُّ ألعابًا ناريَّةً من شأنها أن تُضاهي دوَّامة الفضاء الصِّفري، وأنا شعرتُ أنني أريدُ الاحتفال.

ولكن لماذا أتقيَّدُ بالتَّقويم الأرضي هنا حيث السِّنين قرون والفصول ذكرى مبهمة؟ يوليو مثله مثل ديسمبر، فما الفائدة؟

١٠ يوليو

حلمتُ بكارن البارحة، والآن لا أستطيعُ إخراجها من جُمجمتي.

ظننتُني دفنتها منذ زمنٍ طويل. الحكاية كلُّها كانت خيالًا على كلِّ حال. لقد استلطفَتني إلى حدٍّ معقول، وربَّما أحبَّتني، ولكن ليس أكثر ممَّا أحبَّت نصف دستةٍ من الرِّجال الآخَرين. لم أمتَز عندها حقًّا، وهي لم تُدرِك قَطُّ كم امتازَت عندي.

ولا أدركَت كم أردتُ أن أمتاز عندها... كم احتجتُ أن أمتاز عند أحدٍ ما في مكانٍ ما.

وهكذا آثرتها، لكن الحكاية كلَّها كانت خيالًا، وقد وعيتُ ذلك في لحظاتي الأكثر عقلانيَّةً. لم يحقَّ لي أن أنجرح، فلم يكن لي فيها حقٌّ خاص.

على أنني حسبتُ ذلك في أحلام يقظتي، وانجرحتُ، لكن الغلط غلطي لا غلطها.

لا يُمكن أبدًا أن تجرح كارن أحدًا بإرادتها. هي فقط لم تُدرِك كم كنتُ هشًّا.

حتى هنا، في أوَّل عامٍ أو عامَيْن، ظللتُ أحلمُ. حلمتُ أنها ستُغيِّر رأيها، أنها ستنتظرني، إلخ.

ولكن ما ذلك إلَّا تلبية خياليَّة لأمانيَّ، وحدثَ قبل أن أتمكَّن من التَّفاهُم مع نفسي هنا. أعرفُ الآن أنني لن أجدها في انتظاري. إنها ليست محتاجةً إليَّ الآن ولا احتاجَت إليَّ قَطُّ. كنتُ لها مجرَّد صديق.

ولذا لا أحبُّ أن أحلم بها. سيِّئ هذا. مهما فعلتُ فيجب ألَّا أبحث عن كارن عندما أرجعُ. عليَّ أن أبدأ من جديد. عليَّ أن أعثر على واحدةٍ تحتاج إليَّ حقًّا. ولن أعثر عليها إذا حاولتُ أن أتقهقر إلى حياتي القديمة.

١٨ يوليو

شهرٌ منذ غادرَ بديلي الأرض. المفترَض أنَّ «الكارون» في الحزام الآن. تبقَّى شهران.

٢٣ يوليو

كوابيس. ساعِدني يا رب.

أحلمُ بالأرض ثانيةً، وبكارن. لا أستطيعُ التَّوقُّف. كلَّ ليلةٍ الشَّيء نفسه.

غريبٌ أن أصف كارن بالكابوس. حتى الآن لم تكن إلَّا حُلمًا، حُلمًا جميلًا بشعرها الطَّويل النَّاعم وضحكتها والطَّريقة الطَّريفة التي تبتسم بها ملء شدقيْها. على أنَّ تلك الأحلام كانت دومًا تلبيةً للأماني؛ في الأحلام احتاجَت إليَّ كارن وأرادَتني وأحبَّتني.

أمَّا الكوابيس فلها لذعة الحقيقة. كلُّها واحد، دائمًا إعادة لليلتي الأخيرة مع كارن.

كانت ليلةً طيِّبةً قياسًا إلى لياليَّ عمومًا. أكلنا في أحد مطاعمي المفضَّلة، وحضرنا عرضًا، وتكلَّمنا معًا ببساطةٍ عن أشياء عدَّة، وضحكنا معًا أيضًا.

ولكن لاحقًا، ونحن في بيتها، عدتُ إلى وضعي المعتاد. أذكرُ حين حاولتُ أن أبيِّن لها كم تعني لي كم شعرتُ بالخرَق والحماقة، كم كافحتُ للتَّعبير، كم ظللتُ أتعثَّرُ في كلماتي. أشياء كثيرة جدًّا خرجَت مني خطأً.

أذكرُ الطَّريقة التي رمقَتني بها عندئذٍ: بغرابة. الطَّريقة التي حاولَت بها تحريري من أوهامي: برفق. لطالما كانت رفيقةً. ونظرتُ في عينيْها وأصغيتُ إلى صوتها، إلَّا أنني لم أجد حُبًّا أو احتياجًا. فقط... فقط الشَّفقة على ما أظنُّ.

الشَّفقة على أبله معقود اللِّسان اعتادَ ترك الحياة تمرُّ من حوله دون أن يلمسها، ليس لأنه لم يُرِد ذلك بل لأنه خافَه ولم يعرف كيف. كارن عثرَت على ذلك الأبله وأحبَّته (على طريقتها، فقد أحبَّت النَّاس جميعًا) وحاولَت أن تُساعِده، أن تمنحه شيئًا من ثقتها بنفسها، شيئًا من الشَّجاعة والحيويَّة التي واجهَت بهما الدُّنيا. وإلى حدٍّ ما نجحَت.

ولكن ليس بما فيه الكفاية. الأبله أحبَّ بناء خيالاتٍ عن اليوم الذي لن يعود فيه وحيدًا، ولمَّا حاولَت كارن مساعدته حسبَها خيالاته وقد دبَّت فيها الحياة. أو إنه أوهمَ نفسه بذلك. الأبله شكَّ أنَّ الحقيقة مختلفة طوال الوقت طبعًا، غير أنه كذبَ على نفسه.

وحين أتى اليوم الذي لم يَعُد يستطيع فيه أن يكذب، كان بعدُ واهنًا بما يكفي لأن ينجرح. الأبله لم ينتمِ إلى النَّوع الذي يلأم النَّسيج النَّدبي جراحه بسهولة، لم يتحلَّ بالشَّجاعة ليُجرِّب ثانيةً مع واحدةٍ أخرى. وهكذا هربَ.

آملُ أن تنقطع الكوابيس. لا يُمكنني احتمالها ليلةً تلو ليلة. لا يُمكنني احتمال أن أعيش تلك السَّاعة في شقَّة كارن مجدَّدًا.

لقد نلتُ مُهلة أربع سنواتٍ هنا، أمعنتُ النَّظر إلى نفسي، غيَّرتُ ما لم يُعجِبني (أو سعيتُ لذلك)، حاولتُ استنبات النَّسيج النَّدبي واستجماع الثِّقة اللَّازمة لمواجهة ما سألقاه من رفضٍ جديد قبل أن أجد القبول. لكنني أعرفُ نفسي خير معرفةٍ الآن، وأعرفُ أن هذا كلَّه ليس إلَّا نجاحًا منقوصًا. سأتعرَّض دائمًا لأشياء جارحة، أشياء لن يُمكنني أبدًا أن أواجهها كما يطيب لي أن أواجهها.

وذكريات تلك السَّاعة الأخيرة مع كارن من تلك الأشياء. إلهي، آملُ أن تنتهي الكوابيس.

٢٦ يوليو

مزيدٌ من الكوابيس. أرجوكِ يا كارن. لقد أحببتكِ. دعيني وشأني. أرجوكِ.

٢٩ يوليو

أمس أتَت سفينةٌ دائريَّة ولله الحمد. كنتُ محتاجًا إلى واحدة، وقد ساعدَت على إلهائي عن الأرض، عن كارن. والبارحة لم أرَ كابوسًا للمرَّة الأولى منذ أسبوع. بدلًا من ذلك حلمتُ بدوَّامة الفضاء الصِّفري، بالعاصفة الصَّامتة المحتدمة.

١ أغسطس

الكوابيس عادَت. ليست مقتصرةً على كارن الآن، بل تشمل أيضًا ذكرياتٍ أقدم لا تُداني ذكرياتي الأخرى في الأهمِّيَّة، لكنها رغم

ذلك مؤلمة. كلُّ الأشياء السَّخيفة التي قلتها، كلُّ الفتيات اللاتي لم ألقَهن، كلُّ الأشياء التي لم أفعلها.

سيِّئ. سيِّئ. يجب أن أظلَّ أذكِّر نفسي أنني لم أعُد ذلك الشَّخص. يُوجَد الآن أنا جديد، أنا بنيته هنا على بُعد ستَّة ملايين ميل من پلوتو، عماده الفولاذ والنُّجوم والفضاء الصِّفري، صُلب وواثق بنفسه ورابط الجأش، ولا يخشى الحياة.

الماضي ورائي، لكنه لا يزال يُؤلِم.

٢ أغسطس

سفينةٌ اليوم. الكوابيس مستمرَّة. تبًّا.

٣ أغسطس

لا كوابيس البارحة. ثاني مرَّةٍ يَحدُث أن أستريح بعد فتحي الثَّقب لسفينةٍ دائريَّة نهارًا. (نهارًا؟ ليلًا؟ هُراء هذا ها هنا... لكنني ما زلتُ أكتبُ كأن له معنًى. أربع سنوات لم تمسَّ الأرض في داخلي حتى). ربَّما تُخيف الدوَّامة كارن فتُبعِدها. لكنني لم أرغب من قبل قَطُّ في إخافة كارن لأبعدها. كما أنني لستُ محتاجًا إلى ما أتعكَّزُ عليه.

١٣ أغسطس

سفينةٌ أخرى عبرَت قبل بضع ليالٍ. لا حُلم بعدها. إنه نمط!

أقاومُ الذِّكريات. أفكِّرُ في أشياء أخرى عن الأرض. الأوقات الحُلوة. لقد عشتُ كثيرًا منها في الحقيقة، وسأعيشُ أكثر حينما

أرجعُ. سأحرصُ على ذلك. هذه الكوابيس سخيفة. لن أسمح لها بالاستمرار. أشياء عديدة أخرى عشتها مع كارن، أشياء عديدة أودُّ أن أستعيدها، فلِمَ لا أستطيعُ؟

١٨ أغسطس

«الكارون» تَبعُد نحو شهر. تُرى مَن بديلي؟ تُرى ما الذي قادَه هو إلى هنا؟

أحلام الأرض مستمرَّة. لا، سمِّها أحلام كارن. هل أخشى مجرَّد كتابة اسمها الآن؟

٢٠ أغسطس

سفينةٌ اليوم. بعد مرورها مكثتُ في الخارج وتطلَّعتُ إلى النُّجوم... لساعاتٍ عدَّة على ما يبدو، وإن لم تبدُ لي المُدَّة طويلةً في الأثناء.

المشهد جميلٌ هنا. فيه وحدةٌ نعم، ولكن يا لها من وحدة! إنك وحدك مع الكون، النُّجوم منتشرةٌ عند قدميْك ومتناثرةٌ حول رأسك. كلٌّ منها شمس، ومع ذلك تلوح لي باردةً. أجدُ نفسي أرتجفُ ضائعًا في هذه الرَّحابة، أتساءلُ كيف صارَت وماذا تعني.

آملُ أيًّا كان بديلي أن يُقدِّر هذا كما ينبغي أن يُقدَّر. كثيرون جدًّا لا يُمكنهم تقديره، أو إنهم يأبون، أناسٌ يمشون ليلًا ولا يرفعون أعيُنهم إلى السَّماء أبدًا. آملُ أنَّ بديلي ليس منهم.

٢٤ أغسطس

عندما أعودُ إلى الأرض سأبحثُ عن كارن. لا بُدَّ. كيف يُمكنني أن أتظاهَر بأن الأمور ستختلف هذه المرَّة إذا لم أستطِع استجماع الشَّجاعة لأفعل ذلك؟ والأمور ستختلف حتمًا، ولذا لا بُدَّ أن أواجه كارن وأثبت أنني تغيَّرتُ، حقًّا تغيَّرتُ.

٢٥ أغسطس

هُراء أمس. كيف أواجهُ كارن؟ ماذا أقولُ لها؟ لن يُؤدِّي بي ذلك إلَّا إلى إيهام نفسي مرَّةً أخرى لينتهي بي الأمر محروقًا مرَّةً أخرى. لا. يجب ألَّا أرى كارن. إنني عاجزٌ عن تحمُّل مجرَّد الحُلم بها!

٣٠ أغسطس

في الآونة الأخيرة أنزلُ بانتظامٍ إلى غُرفة التَّحكُّم وأنقلُ نفسي إلى الخارج. لا سُفن دائريَّة، لكنني أجدُ أنَّ الخروج يعتم ذكريات الأرض. أكثر فأكثر أعرفُ أني سأفتقدُ سربروس. بعد عامٍ من الآن سأكونُ قد رجعتُ إلى الأرض، أرفعُ عينيَّ إلى سماء اللَّيل وأذكرُ التماع الحلقة بالفضِّي في ضوء النُّجوم. أعرفُ هذا.

والدوَّامة. سأذكرُ الدوَّامة ودوران الألوان وامتزاجها، وكيف اختلفَ كلَّ مرَّة.

مؤسفٌ أنني لم أكن قَطُّ من هُواة التَّصوير الهولوجرافي. يُمكنك أن تجني ثروةً على الأرض من شريطٍ يعرض صورة الدوَّامة حينما تدور. باليه الفراغ. يُدهِشني أنَّ أحدًا لم يُفكِّر في هذا من قبل. قد

أقترحُ الفكرة على بديلي؛ شيء يُزجِّي به السَّاعات لو أنَّ الأمر يهمُّه. آملُ أن يهتمَّ. الأرض ستصير أثرى إذا عادَ أحدهم بتسجيل.

كنتُ لأفعلها بنفسي، لكن المعدَّات ليست مناسبةً، ولا أملك وقتًا لتعديلها.

٤ سبتمبر

أجدُ أنني خرجتُ يوميًّا على مرِّ الأسبوع الماضي. لا كوابيس. فقط أحلام بالظَّلام، منكَّهة بألوان الفضاء الصِّفري.

٩ سبتمبر

أستمرُّ في الخروج وأتشرَّبُ كلَّ شيء. قريبًا، قريبًا جدًّا سيضيع كلُّ هذا مني، وإلى الأبد. أشعرُ أنَّ عليَّ استغلال كلِّ ثانية. يجب أن أستذكر سمت الأشياء هنا في سربروس لكي أحتفظ بطزاجة الرَّهبة والعجب والجمال في داخلي عندما أعودُ إلى الأرض.

١٠ سبتمبر

لم تأتِ سُفن منذ وقتٍ طويل. هل انتهى الأمر إذًا؟ هل رأيتُ سفينتي الأخيرة؟

١٢ سبتمبر

لا سفينة اليوم، إلَّا أنني خرجتُ وأيقظتُ المحرِّكات وتركتُ الدوَّامة تهدر.

لماذا أكتبُ دائمًا عن هدير الدوَّامة وعُوائها؟ الصَّوت لا ينتقل

في الفضاء، وأنا لا أسمعُ شيئًا. لكنني أشاهدها، والدوَّامة تهدر حقًّا، تهدر.

أصوات الصَّمت، ولكن ليس على النَّحو الذي يقصده الشُّعراء.

١٣ سبتمبر

شاهدتُ الدوَّامة ثانيةً اليوم مع أنَّ سفينةً لم تأتِ.

لم أفعل ذلك من قبل، والآن فعلته مرَّتيْن. تصرُّف ممنوع، فتكاليف الطَّاقة هائلة، وسربروس تعيش على الطَّاقة، فلِمَ؟

كأنني لا أريدُ أن أتخلَّى عن الدوَّامة، ولكن عليَّ أن أتخلَّى عنها، وقريبًا.

١٤ سبتمبر

أحمق، أحمق، أحمق. ما هذا الذي أفعله؟ «الكارون» تَبعُد أقلَّ من أسبوع، وأنا أحملقُ إلى النُّجوم كأنني لم أرَها قبلًا قَطُّ. لم أشرع حتى في حزم أمتعتي، وعليَّ أن أضبط سجلَّاتي من أجل بديلي، وأن أرتِّب المحطَّة.

أحمق! لماذا أضيِّعُ الوقت في الكتابة في هذا الدَّفتر اللَّعين!

١٥ سبتمبر

أوشكُ على الفروغ من حزم الأمتعة. كشفتُ عن بضعة أشياء غريبة أيضًا، أشياء حاولتُ إخفاءها في بداية وقتي هنا. مثل روايتي. كتبتها خلال الأشهُر الستَّة الأولى، وعددتها عظيمةً. بالكاد طقت

الانتظار لأعود إلى الأرض وأبيعها وأصبح مؤلِّفًا. آه، نعم، وقرأتها بعد أكثر من عام. إنها شنيعة.

أيضًا، عثرتُ على صورةٍ لكارن.

١٦ سبتمبر

اليوم أخذتُ زُجاجة سكوتش وكأسًا إلى غُرفة التَّحكُّم. وضعتهما فوق اللَّوحة وربطتُ أحزمة الأمان وشربتُ نخبًا للحُلكة والنُّجوم والدوَّامة. سأفتقدها.

١٧ سبتمبر

يومٌ وفق حساباتي. يومٌ ثم أنطلقُ في طريق العودة إلى الوطن، إلى بدايةٍ صافية وحياةٍ جديدة. هذا إذا تحلَّيتُ بالشَّجاعة لأعيشها.

١٨ سبتمبر

منتصف اللَّيل تقريبًا. لا أثر لـ«الكارون». ما الخطب؟

لا شيء غالبًا. تلك الجداول ليست دقيقةً أبدًا. أحيانًا تُخطئ بقدر أسبوعٍ كامل. لِمَ أقلقُ إذًا؟ أنا نفسي تأخَّر وصولي. تُرى فيمَ كان المسكين الذي حللتُ محلَّه يُفكِّر في تلك الأثناء؟

٢٠ سبتمبر

لم تصل «الكارون» أمس كذلك. بعدما سئمتُ الانتظار، أخذتُ زُجاجة السكوتش وعدتُ إلى غُرفة التَّحكُّم، وإلى الخارج،

لأشرب نخبًا آخَر للنُّجوم، وللدوَّامة. أيقظتُ الدوَّامة وتركتها تلتهب، وشربتُ نخبها.

كثيرًا من الأنخاب. أنهيتُ الزُّجاجة، واليوم استيقظتُ مصابًا بخُمرةٍ تجعلني أظنُّ أنني لن أعود إلى الأرض أبدًا.

كان تصرُّفًا غبيًّا. ربَّما رأى طاقم «الكارون» الألوان، وإذا أبلغوا عني فستُخصَم ثروةٌ صغيرة من كومة النُّقود التي تنتظرني على الأرض.

٢١ سبتمبر

أين «الكارون»؟! هل جرى لها شيء؟ هل ستأتي؟

٢٢ سبتمبر

خرجتُ ثانيةً.

ربَّاه، يا للجمال، يا للوحدة، يا للرَّحابة. بديع. هذه هي الكلمة التي أنشدها. الجمال هنا بديع. أحيانًا أحسبُني أحمق لأني أريدُ العودة. إنني أتخلَّى عن الأبديَّة من أجل بيتزا وجماعٍ وكلمةٍ طيِّبة.

لا! بحقِّ الجحيم، ما هذا الذي أكتبه؟ لا، إنني عائد، طبعًا عائد. إنني محتاجٌ إلى الأرض، أفتقدُ الأرض، أريدُ الأرض. وهذه المرَّة كلُّ شيءٍ سيختلف.

سأجدُ كارن أخرى، وهذه المرَّة لن أفسد العلاقة.

٢٣ سبتمبر

إنني مريض. ربَّاه، كم أنا مريض. الأشياء التي أفكِّرُ فيها. ظننتُني تغيَّرتُ، أمَّا الآن فلا أدري. أجدُ نفسي أفكِّرُ تفكيرًا فعليًّا في البقاء، في التَّطوُّع لمُدَّةٍ أخرى. لا أريدُ ذلك، نعم، ولكن أظنُّني ما زلتُ أخشى الحياة، أخشى الأرض، أخشى كلَّ شيء.

أسرِعي أيَّتها «الكارون». أسرِعي قبل أن أغيِّر رأيي.

٢٤ سبتمبر

كارن أم الدوَّامة؟ الأرض أم الأبديَّة؟

تبًّا! كيف أفكِّرُ هكذا؟! كارن! الأرض! يجب أن أتحلَّى بالشَّجاعة، يجب أن أخاطر باختبار الألم، يجب أن أتذوَّق الحياة.

أنا لستُ صخرةً، أو جزيرةً، أو نجمًا.

٢٥ سبتمبر

لا أثر لـ«الكارون». تأخَّرت أسبوعًا كاملًا. أحيانًا يَحدُث ذلك، ولكن ليس كثيرًا. قريبًا ستصل. أعلمُ هذا.

٣٠ سبتمبر

لا شيء. كلَّ يومٍ أراقبُ وأنتظرُ. أنصتُ إلى المواسح، وأخرجُ لأنظر، وأذرعُ الحلقة ذهابًا وإيابًا، ولكن لا شيء. السَّفينة لا تتأخَّر هذا الوقت كلَّه أبدًا. ما الخطب؟

٣ أكتوبر

سفينةٌ اليوم. ليست «الكارون». هكذا حسبتها في البداية عندما رصدَتها المواسح. صرختُ بصوتٍ كفيل بإيقاظ الدوَّامة، غير أنني نظرتُ، وأسقطَت خيبة الأمل قلبي بين قدميَّ. كانت كبيرةً جدًّا، ومتَّجهةً إلى مركز الحلقة مباشرةً دون أن تخفض سُرعتها.

خرجتُ ومرَّرتها، وبعدئذٍ بقيتُ في الخارج وقتًا طويلًا.

٤ أكتوبر

أريدُ العودة إلى الوطن. أين هُم؟ لا أفهمُ. لا أفهمُ.

لا يُمكنهم أن يَترُكوني هنا. لا يُمكنهم. لن يَترُكوني.

٥ أكتوبر

سفينةٌ اليوم، سفينةٌ دائريَّة أخرى. اعتدتُ أن أتطلَّع إلى وصول تلك السُّفن. الآن أكرهها لأنها ليست «الكارون». لكنني مرَّرتها.

٧ أكتوبر

أفرغتُ أمتعتي. سخيفٌ أن أعيش على أخذ مقتنياتي من الحقائب وأنا أجهلُ هل ستأتي «الكارون»، أو متى.

على أنني ما زلتُ أترقَّبها، أنتظرُ. إنها قادمة، أعرفُ. تعطَّلت فقط في مكانٍ ما. حالةٌ طارئة في الحزام ربَّما. التَّفسيرات عديدة.

وفي تلك الأثناء أنفِّذُ أعمالًا مختلفةً في أنحاء المحطَّة، فلم أكن قد جهَّزتها كما يليق لبديلي. مشغولٌ جدًّا بمراقبة النُّجوم في حين أنَّ عليَّ إنجاز ما يجب إنجازه.

٨ أكتوبر (أو نحو ذلك)

الظُّلمة واليأس.

أعرفُ لِمَ لم تصل «الكارون». ليس هذا جدول وصولها. التَّقويم تالف. إنه يناير لا أكتوبر، وأنا عائشٌ في زمنٍ مغلوط منذ أشهُر، بل واحتفلتُ بالرَّابع من يوليو في اليوم الخطأ.

اكتشفتُ هذا أمس وأنا أنفِّذُ مهامِّي في أنحاء الحلقة. أردتُ أن أتأكَّد أنَّ كلَّ شيءٍ يعمل بدقَّةٍ من أجل بديلي.

لكن بديلًا لن يأتي.

«الكارون» وصلَت قبل ثلاثة أشهُر، وأنا... أنا دمَّرتها.

مريضًا. كنتُ مريضًا. كنتُ مريضًا، مجنونًا. ما إن انتهى الأمر حتى صدمَني الذي فعلته. ربَّاه. ظللتُ ساعاتٍ أصرخُ.

ثم أعدتُ التَّقويم على الحائط إلى الوراء. ونسيتُ. ربَّما عمدًا. أو ربَّما لم أتحمَّل أن أتذكَّر. لا أدري. كلُّ ما أعرفه أنني نسيتُ.

على أنني أذكرُ الآن، الآن أذكرُ كلَّ شيء.

المواسح نبَّهتني لاقتراب «الكارون». كنتُ في الخارج منتظرًا، أراقبُ، أحاولُ أن أدَّخر ما يكفي من مشهد النُّجوم والظَّلام للبقاء

معي للأبد. وفي ذلك الظَّلام أتَت «الكارون». بدَت بطيئةً جدًّا مقارنةً بالسُّفن الدَّائريَّة، وصغيرةً جدًّا. كانت خلاصي، انعتاقي، لكنها بدَت هشَّةً، وسخيفةً، وعلى نحوٍ ما قبيحةً، بائسةً، وذكَّرتني بالأرض.

اتَّجهت السَّفينة إلى المرسى نازلةً في داخل الحلقة من أعلى، تتلمَّس طريقها إلى المحابس في القطاع السَّكني من سربروس. يا لبُطئها الشَّديد. شاهدتها تقترب، وفجأةً تساءلتُ ماذا سأقولُ لأفراد الطَّاقم، ولبديلي. تساءلتُ عن رأيهم فيَّ. وفي مكانٍ ما في أعماقي اعتصرَتني قبضة.

وفجأةً لم أعُد أطيقها. فجأةً خفتُ منها. فجأةً كرهتها.

وهكذا أيقظتُ الدوَّامة.

شُعلة حمراء تتفرَّع إلى ألسنةٍ صفراء، تتعاظم بسُرعة، تُطلِق قذائف خضراء مزرقَّةً. مرَّت واحدةٌ قُرب «الكارون»، وارتعدَت السَّفينة.

أقولُ لنفسي الآن إنني لم أعِ ما فعلته، وإن علمتُ أنَّ «الكارون» غير مدرَّعة، أنها لن تتحمَّل طاقات الدوَّامة. كنتُ أعلمُ.

تحرَّكت «الكارون» بكلِّ بُطء، والدوَّامة بكلِّ سُرعة. في غضون نبضتَي قلبٍ لا أكثر لامسَ الدُّردور السَّفينة، وفي الثَّالثة ابتلعَها.

بمنتهى السُّرعة اختفَت. لا أدري هل ذابَت أم انفجرَت أم تفتَّتت، لكنني أعلمُ أنها لم تنجُ لا محالة. إلَّا أنَّ دماءً لا تُلطِّخ حلقتي النَّجميَّة. الحُطام في مكانٍ ما على الجانب الآخَر من الفضاء الصِّفري... لو أنَّ حُطامًا تبقَّى.

بدَت الحلقة والظُّلمة كما بدوَتا على الدَّوام. سهَّل هذا النِّسيان، ولا بُدَّ أنني أردتُ بشدَّةٍ أن أنسى.

والآن؟ ماذا أفعلُ الآن؟ هل ستكتشف الأرض ما حدثَ؟ هل سيصل بديلٌ يومًا؟ أريدُ العودة إلى الوطن.

كارن، إنني...

١٨ يونيو

بديلي غادرَ الأرض اليوم.

على الأقل أظنُّ ذلك. لسببٍ ما تلفَ تقويم الحائط، ولذا لستُ واثقًا تمامًا بالتَّاريخ، لكنني أصلحته.

على كلِّ حال، لا يُمكن أنَّ أكثر من بضع ساعاتٍ مرَّ وإلَّا للاحظت. بديلي في الطَّريق إذًا. ستمرُّ ثلاثة أشهُر قبل أن يصل طبعًا.

لكنه على الأقل قادمٌ.

جورج ريتشرد رايمند مارتن: (١٩٤٨-)، مؤلِّف أمريكي يعدُّ أحد أبرز كُتَّاب الخيال العلمي والفانتازيا في العصر الحديث، عملَ صحافيًّا وأستاذًا جامعيًّا وكاتبًا تلفزيونيًّا، ونشرَ أكثر من خمسين روايةً وروايةً قصيرةً ومجموعةً قصصيَّةً، وفازَ بعشرات الجوائز. أشهر أعماله سلسلة «أغنيَّة الجليد والنَّار» التي كتبَ حلقاتٍ تلفزيونيَّةً للأعمال المقتبَسة منها.

نُشرت القصَّة بعنوان «*The Second Kind of Loneliness*» في عدد ديسمبر ١٩٧٢ من مجلَّة «*Analog Science Fiction and Fact*».

حياة في الخيال

* كات هاورد *

كتبَني في قصَّةٍ أخرى.

قلتُ له أن يمتنع بعدما انفصَلنا. الواقع أنَّ هذا أحد أسباب انفصالنا. لا بأس على الإطلاق بكونكِ ملهمةً، إلى أن تغدي واحدةً حقيقةً.

لَمَّا حدثَ هذا أوَّل مرَّةٍ شعرتُ بالإطراء. ثم إنَّ حياتي لم تكن بالعظمة التي تجعلني أفتقدها، أتفهمين؟ لهذا وجدتُ في شدِّي إلى داخل ذلك العالم -عالم كتبَه لأجلي وحدي وأصبحتُ فيه كلَّ شيء، عزيزة المنال، النَّموذج المحتذى- شعورًا بالقوَّة البالغة.

عندما أنهى القصَّة وعدتُ إلى عالم الواقع، أوَّل ما فعلته أني ضاجعته حتى آلَمتني فخذاي. كانت مرَّتنا الأولى معًا، وقال إنها أفضل مرَّةٍ مارسَ فيها الجنس في حياته.

سألته هل سقطَ أحدهم من قبل في قصَّةٍ كتبَها، فقال ليس على حدِّ علمه. لا شكَّ طبعًا أنه يبني بعض شخصيَّاته على أناسٍ

يعرفهم، يختلس قطعًا صغيرةً من حيواتهم؛ إشارةً، عبارةً، لونًا معيَّنًا أو طريقة مشي. السَّرقات الزَّهيدة التي يرتكبها الكُتَّاب أجمعين.

سألته عمَّا اختلفَ هذه المرَّة.

- «بدأتُ أقعُ في حُبِّكِ على ما أظنُّ. كنتِ كلَّ ما استطعتُ التَّفكير فيه، لهذا لازمتِ عقلي دومًا وأنا أكتبُ مارا».

لم أسقط في القصَّة في الحال، ولم أعرف ما حدثَ في الأجزاء التي لم تظهر فيها مارا، وإذ قرأتُ المسوَّدة المنتهية صاحبَني مزيجٌ غريب من الأُلفة والغموض.

على ما يبدو، ألهمَه استهتاري الجنسي في عالم الواقع، وعليه كتبَني في المرَّة التَّالية في روايةٍ إيروتيكيَّة قصيرة. وجدتُ آلي أكثر مرونةً مني كثيرًا جدًّا، بدنيًّا وفي تفضيلاتها الجندريَّة، واستمتعتُ بالقصَّة حقًّا، لكنني جرَّبتُ ذات ليلةٍ شيئًا في الفِراش عدَّته آلي ممتعًا ووجدَه هو مفرطًا في الغرابة، وبعد ذلك لم تتضمَّن المشاهد الجنسيَّة التي كتبَني فيها إلَّا الجنس الفموي.

تصرُّفات الرِّجال متوقَّعة أحيانًا، حتى وهُم أدباء عباقرة.

أو ربَّما حينئذٍ تحديدًا.

المرَّة التَّالية التي كتبَني فيها في شيء، فقدتُ وظيفتي. كانت روايةً، ما عملَ عليه في ذلك الحين، وكلَّما كتبَ نورا اختفيتُ ببساطةٍ من حياتي بمجرَّد إمساكه القلم... اختفيتُ في المرَّة أيَّامًا -بل وأسابيعَ- حينما تقدَّم في كتابته على قدمٍ وساق. قال إنه يجهل

ما يَحدُث لي في تلك الأوقات، لكنه ذهبَ إلى شقَّتي وتفقَّد الأوضاع وسقى نباتاتي... عندما تذكَّر، عندما لم ينغمس في الكتابة إلى درجة أنَّ شيئًا آخَر لم يعلق بذهنه.

قال إنني مكثتُ في رأسه دائمًا في تلك الأوقات، على حافة خواطره، كأن المفترَض أن يُطمئِنني هذا.

بدأ الأمر يتسارَع. يشرع في الكتابة، وأدخلُ القصَّة، وأبقى هناك حتى تنتهي.

كلَّما عشتُ في كتابته أكثر عشتُ في عالم الواقع أقلَّ، وتضاءلَ ما أتذكَّره عن العيش في عالم الواقع بصفتي شخصًا حقيقيًّا، بصفتي أنا.

في الأوقات التي مضَت فيها الكتابة على ما يُرام، شملَني شعورٌ دافئ مريح بأن أحدًا آخَر يعرف ما يَحدُث ويتَّخذ القرارات كلَّها، أنَّ أحدًا آخَر بمثابة شبكة الأمان. كلُّ شيءٍ رقيقٌ شفَّاف، غشاوة ناعمة، ضبابيٌّ عند حدود الإدراك.

أمكنَني خوض المغامرات دونما قلقٍ من العواقب، فقد بقيتُ رغم كلِّ شيءٍ على حافة خواطره.

حتى جاءَ يومٌ ولم أعُد كذلك. تجمَّد كلُّ شيء، وألفيتُ نفسي في حُجرةٍ بيضاء باردة ملأى بتماثيل لأناسٍ كنتُ أكلِّمهم.

انتقلتُ من شخصٍ إلى شخصٍ محاولةً أن أفتح كلامًا، لكن شيئًا لم يَحدُث. درتُ في أنحاء الحُجرة ثانيةً بحثًا عن طريقٍ للخروج، ولا

شيء. الجُدران والأرضيَّة والسَّقف كلُّها بياض مصمت. الحُجرة كبيرة، إلَّا أنني شعرتُ بضغط جُدرانها على جلدي.

ذهبتُ إلى مركز الحُجرة وجلستُ على الأرض مربِّعةً ساقيَّ، وانتظرتُ.

هل سبقَ أن فرغَ عقلكِ تمامًا؟ تلك المسافة بين فكرةٍ والتَّالية حين لا يعدو ما في مُخِّكِ ضجيجًا أبيض، حين يخلو رأسكِ من الأفكار بالكامل... أتذكُرين ذلك الشُّعور؟ تخيَّلي تلك الغيبة تمتدُّ إلى الأبد. لا سبيل إلى الفرار منها لأنكِ لا تعرفين -لا أعني لا تَذكُرين، بل لا تعرفين- ما فكَّرتِ فيه قبل أن يَفرُغ مُخُّكِ، ومن ثمَّ تجهلين ما العمل لتُشغِّليه من جديد. لا شيء. صمت. بياض.

ولا زمن، لا وسيلة لتعرفي كم جلستِ في تلك الحُجرة البيضاء الخانقة، زيادةً فزيادةً تتضاءَل كينونتكِ.

لم أتمكَّن قَطُّ من معرفة الوقت الذي انتظرته هناك، ولكن إذا بي فجأةً في حُجرةٍ لم أرَها من قبل، حُجرةٍ في العالم الحقيقي، وها هو ذا.

عند أركان عينيْه تجاعيد، وفي شعره خيوط رماديَّة. شرحَ لي أنها قفلة الكاتب. حاولَ أن يتجاوَزها بالكتابة، بالعمل على مشروعاتٍ أخرى، لكن شيئًا لم يُساعِد. أخيرًا خلصَ إلى أنَّ الرِّواية غير قابلةٍ للكتابة، وهجرَها هذا الصَّباح.

سألته هل حاولَ إعادتي وهو متعطِّل.

الحقيقة أنه لم يُفكِّر في ذلك.

وعندئذٍ تركته.

اكتشفتُ أنه حقَّق في غيابي نجاحًا عظيمًا، باتَ محبوب النُّقَّاد، يُثنى عليه تحديدًا لتعقيد شخصيَّاته النِّسائيَّة وواقعيَّتها.

متحدِّثًا عن مارا في حوارٍ صحافي، وصفَها بحبيبته الضَّائعة الوحيدة، وهو ما وجدَته المحاورة رومنسيًّا. وجدتُ أنا المحاورة مملَّةً. الضَّياع ليس رومنسيًّا بالمرَّة.

أجزاء مني ظلَّت ضائعةً، أو غطَّتها النِّساء الأخريات اللاتي كنتهن له. أكيدٌ أنهن أنا، لكنهن رؤيته لي، مضخَّمةً، مبدَّلةً قليلًا، الحقيقة مرويَّةً بزاويةٍ مائلة.

أرفعُ صوت أغنيَّةٍ في الراديو، ثم أتذكَّرُ أنَّ آلي هي التي تحبُّ موسيقى البَنك الغجري.

انصرفتُ عن مخبزي المفضَّل أسبوعيْن إذ أقنعتُ نفسي بأنني مصابةٌ بحساسيَّة فيونا من الجلوتن.

طوال ثلاثة أشهُر ظننتُ أنَّ اسمي مارا.

خلال كلِّ هذا عشتُ فتراتٍ من الحياة العاديَّة، ورغم ذلك ظللتُ أشعرُ بالشَّدِّ وهو يستعير قطعًا صغيرةً مني لقصصه. أفقدُ عطري المفضَّل، أو ذكرى أوَّل مرَّةٍ انكسرَ فيها قلبي. شذورٌ ضئيلة من نفسي تنسلخ بلا ألم. أحيانًا ترجع عندما يَكتُب «النِّهاية»، لكنها في أغلب الأحيان تضيع بلا رجعة.

ذكَّرته بوعده بعدم الكتابة عني مجدَّدًا، فأكَّد لي أنه لا يقصد. إنها مجرَّد شذورٍ من هنا وهناك. سيتوخَّى مزيدًا من الحذر، وحقيقةً يَجدُر بي أن أشعر بالإطراء.

ثم اختفى أسبوعٌ من حياتي. أحببتُ تلك القصَّة القصيرة، وإيموجن شخصيَّةٌ مذهلة، المرأة التي أتمنَّى لو أكونها، لكن ذلك ليس بيت القصيد.

بيت القصيد أنه سرقَني من نفسي ثانيةً. اختفيتُ ولم أعرف أين ذهبتُ، ونسيتُ مزيدًا من الأشياء عن نفسي. هل الأخضر لوني المفضَّل حقًّا؟

شغَّلتُ الكمبيوتر وانطلقتُ أكتبُ بجنونٍ كلَّ ما استطعتُ تذكُّره عن نفسي، ولكن لمَّا راجعتُ الملفَّ وجدتُ ثغراتٍ علمتُ أني كنتُ أتذكَّرها قبلًا، وأحداثًا مكرَّرةً.

لاهثةً، تجرَّدتُ من ثيابي وحدَّقتُ إلى نفسي آملةً أنَّ جسدي حقيقيٌّ أكثر من عقلي، ولكن هل خلَّفت هذه النَّدبة في رُكبتي سقطتي عن الدرَّاجة وأنا في الثَّانية عشرة، أم صخرةٌ شديدة الحدَّة على الشَّاطئ وأنا في السَّابعة عشرة؟ أهذه هي الطَّريقة التي ألوِّح بها تحيَّةً فعلًا؟ أمن طبعي أن أبكي في وقتٍ كهذا؟

من شأن أيِّ أحدٍ أن يبكي على ما أظنُّ.

حاولتُ إعادة كتابة نفسي. نقَّبتُ في صناديق ملأى ببتلات الزُّهور الباهتة وأعقاب التَّذاكر المجعَّدة، وبهوسٍ تصفَّحتُ الحوليَّات

الدِّراسيَّة القديمة، واتَّصلتُ بصديقٍ تلو صديقٍ لنلعب «هل تَذكُر؟».

وهذا حينما تذكَّرتُ ما يكفي لأسأل، لأعرف مَن أصدقائي.

ولم تنجح محاولاتي. أيًّا كانت النِّعمة أو النِّقمة التي خضعتُ لها وأتاحَت له أن يشدَّني إلى داخل قصصه، فإن سحرها أشد إبهامًا من أن أنسخه.

وظلَّت الثَّغرات في دُنياي تتزايَد، ووجدتُ اختلافاتٍ جديدةً. ذات صباحٍ استيقظتُ لأرى أنَّ شعري أبيض، ليس كامرأةٍ عجوز بل أبيض بلاتيني كنجمة روك أو ملكةٍ من الجنِّيَّات.

ولم أُعِد صباغته.

نُشرَت مجموعةٌ من قصصه القصيرة، وظهرَ اسمه في لوائح الأفضل، وأُدرجَ في القوائم القصيرة لعددٍ من الجوائز الأدبيَّة المهمَّة.

وأنا نسيتُ هل أحبُّ إضافة الحليب إلى قهوتي.

اتَّصل وطلبَ أن يراني. قال إنه ما زال يحبُّني، تُطارِده ذكريات بشرتي وصوتي ورائحتي. فكَّرتُ أنني أفتقدُ تلك الأشياء أيضًا، وهكذا وافقتُ.

قال إنه استغرقَ لحظةً ليتعرَّف عليَّ عندما دخلتُ البار لأقابله. شيء ما مختلف. قلتُ له إنني لا أدري ماهيته.

طلبَ شرابًا لكلينا، وسمحتُ له لثقتي بأنه يعرف ما يُعجِبني.

شرحَ أنَّ لديه قصَّةً يظنُّها أفضل ما سيَكتُب في حياته على الإطلاق. إنه يَشعُر بكهربتها تُطقطِق على جلده، يَشعُر بالكلمات التي سيَكتُبها تدقُّ في عقله وتُصدي. لديه ملخَّص يُمكنني أن ألقي عليه نظرةً ليعرف رأيي. ثم دفعَ حافظة أوراقٍ رفيعةً عبر المائدة.

تساءلتُ بصوتٍ عالٍ لماذا يَطلُب الإذن هذه المرَّة.

هذه القصَّة أطول، ملحمة. لا يدري كم ستستغرق كتابتها، وبعد ما حدثَ المرَّة السَّابقة، حين... حسن، لقد أرادَ أن يَطلُب.

قدَّرتُ اللَّفتة. نقرتُ بأصابعي على الحافظة، وإن لم أفتحها.

بهدوءٍ وضعَ نادلٌ كأس مارتيني بجوار طبقي. غريب. ظننتُ أنَّ مادلين هي التي تشرب المارتيني. لكنني رشفتُ وأسبلتُ جفنيَّ متلذِّذةً بلذوعة الكحول.

ثم قلتُ نعم.

قلتُ نعم لقصَّةٍ أخرى، لهذه التُّحفة الأدبيَّة التي أراها متَّقدةً في عينيْه. إلَّا أنَّ عندي شرطًا واحدًا.

وقال لكِ أيُّ شيء، ما تحتاجين إليه أيًّا كان.

أريده أن يَترُكني داخل القصَّة حينما يَفرُغ.

أخبرَني أنَّ احتمال طلبي شيئًا كهذا جالَ بباله. فاجأني أنه لم يعرف. أومأ موافقًا، وسوَّينا المسألة.

تكلَّمنا في مختلف الأمور في أثناء العَشاء. أحيانًا فقدَت نظرته تركيزها لأرى خطوط الحبكة تنجدِل وراء عينيْه.

تساءلتُ عن الاسم الذي سيُطلِقه عليَّ هذه المرَّة، وكدتُ أسأله قبل أن أدرك أنه لا يهمُّ. ثم أدركتُ أنني لم أعُد متأكِّدةً من اسمي الحقيقي. جريس ربَّما؟ بدا لي هذا صحيحًا. جريس.

بدأ يُشخبِط على غلاف الحافظة فيما انتظرنا الفاتورة، وراقبته وهو يَكتُب.

- «وقعَت رافي في غرام صوتها أوَّلًا، هوَت فيه هويانًا عندما قدَّمت نفسها باعتبارها...».

مكتبة
t.me/soramnqraa

كات هاورد (١٩٨١-)، كاتبة ومحرِّرة أمريكيَّة معاصرة، بدأت النَّشر في عام ٢٠١٤ ورُشِّحت لعددٍ من الجوائز.

نُشرت القصَّة في عام ٢٠١٠ بعنوان «*A Life in Fictions*» في كتاب «*Stories: All-New Tales*»، الذي جمعَ عددًا كبيرًا من الكُتَّاب وحرَّره نيل جايمان وآل سارانتونيو.

أهميَّة أن تكون مهمًّا

* كالڤن و. دمون *

يُحكى أنَّ ستانلي شير عاشَ بمفرده في المدينة الكبيرة، في شقَّةٍ تطلُّ على شارعٍ مكتظ بحركة المرور، وتحتوي على تلفزيون ومشغِّل أسطوانات وستائر زرقاء على النَّوافذ.

اعتقدَ ستانلي شير أنه أهمُّ شخصٍ في العالم، اعتقدَ أنَّ كلَّ أحدٍ آخَر في الدُّنيا بأسرها لم يُوضَع فيها إلَّا لمساعدة ستانلي شير، والأدهى أنه حسبَ أنَّ النَّاس جميعًا يعلمون ذلك. خالَ ستانلي شير أنَّ لكلِّ ما يَحدُث له أهميَّةً عُظمى عند كلِّ أحدٍ آخَر، وأنَّ كثيرًا ممَّا يَحدُث له خطَّط لحدوثه كلُّ أحدٍ آخَر. خالَ أنَّ العالم مسرح، وأنه يُؤدِّي مونولوج مهمًّا تحت إشراف الآخَرين.

على سبيل المثال، اعتقدَ ستانلي شير اعتقادًا راسخًا أنه إذا لزمَه شيء فسيُوفِّرونه له، اعتقدَ أنه إذا استعجلَ النُّزول بالمصعد فسيحرصون أن يجده منتظرًا في طابقه، وأنه إذا أرادَ أن يأكل برُكولي على الغداء في الكافتيريا بوسط المدينة ولم يتبقَّ برُكولي إلَّا لفردٍ واحد فسيحتفظون به له، وأنه إذا احتاجَ إلى مساحةٍ ليركن سيَّارته

فسيتلقَّى منهم أحدٌ ما غير مهم رسالةً أو ما شابهَ وينقل سيَّارته أمام عينَي ستانلي شير.

والحقيقة أنه لم يظفر دائمًا بالمصعد أو مساحة الرَّكن أو البرُكولي، وهو ما أثبتَ له أنَّ عندهم له خطَّةً غامضةً. لأنه أهمُّ رجلٍ في العالم فلا بُدَّ أن يرعوه ويحرصوا على تحقيقه غايته الأسمى. بهذا أيقنَ ستانلي شير، وبهذا آمنَ. إنَّ في حُسبانهم له غايةً أسمى، ومنوط بهم أن يضمنوا ألَّا يقع له مكروه إلى أن يُحقِّقها، لأنه أهمُّ رجلٍ في العالم.

بلغَ الأمر أنَّ ستانلي شير بدأ يُدبِّر لهم حيلًا صغيرةً، كأن يأخذ دفتر التَّوفير من فوق الرَّف ويقود سيَّارته إلى وسط المدينة ويمشي نحو البنك، ثم يندفع فجأةً إلى الكافيه المجاور ليرى هل يُمكنه أن يُفاجِئهم قبل أن يدفعوا الحاضرين جميعًا إلى الحركة بهمَّة من جديد، أو ينحرف في طريقه إلى العمل يمينًا دون إنذارٍ بدلًا من الانعطاف يسارًا على أمل أن يضبطهم في سيَّاراتهم المتوقِّفة تحت أضواء الشَّوارع التي أطفؤوها، أو يقفز في منتصف برنامجٍ تلفزيوني ويُغيِّر القناة ليرى ما يتفرَّجون عليه في المساء. لم ينجح قَطُّ في ضبطهم متلبِّسين بشيء، إلَّا أنَّ هذا لم يهزَّ إيمانه بهم، واعتادَ أن يقول لنفسه: «أنت أيضًا لا ترى موجات الراديو».

ذات يومٍ أخذَ ستانلي شير دفتر التَّوفير من فوق الرَّف وركبَ المصعد المنتظر إلى أسفل وقادَ سيَّارته إلى البنك، وفيما دخلَ الموقف المزدحم انسحبَت سيَّارةٌ من المساحة أمامه مباشرةً تاركةً إيَّاها خاليةً

له، وهي المساحة الخالية الوحيدة في الموقف كلِّه. ابتسمَ ستانلي شير وركنَ سيَّارته ونزلَ، ثم دخلَ البنك وأودعَ شيك الرَّاتب في حسابه، وبعد ذلك عادَ إلى الموقف وركبَ السيَّارة وشغَّلها، ثم تراجعَ بها ودارَ ليُغادِر مساحته، متجنِّبًا بالكاد الاصطدام بسيَّارةٍ منتظرة خلفه. ضغطَ على دوَّاسة السُّرعة حتى ألصقَها بالأرض وخرجَ هادرًا من الموقف، يميل بضراوةٍ عند النَّواصي وينطلق كالصَّاروخ في الشَّوارع والدُّخان يتدفَّق من ماسورة العادم.

في الموقف، احتلَّت السيَّارة التي كانت منتظرةً وراء ستانلي شير مساحة الرَّكن، ونزلَ منها أهمُّ رجلٍ في العالم وهزَّ رأسه مبتسمًا بحُزن، ثم اتَّجه إلى البنك.

لقد حقَّق ستانلي شير -الذي قُتِلَ في حادثة تصادُم في طريقه إلى منزله- غايته الأسمى.

كالڤن وارن دمون (١٩٤٢-٢٠٠٧): مراسل ومحرِّر صحفي أمريكي، ظلَّ أعوامًا يَكتُب عمودًا أسبوعيًّا في جريدة «لوس آنجلس هيرلد إجزامنر»، ونشرَ عددًا قليلًا من قصص الخيال العلمي والفانتازيا القصيرة.
نُشرت القصَّة بعنوان «*The Importance of Being Important*» في مجلَّة «*The Magazine of Fantasy and Science Fiction*» في عام ١٩٦٣، وفي عام ١٩٨٢ أعادَ آيزاك أزيموف نشرها في مختاراته لأفضل ١٠٠ قصَّة فانتازيا قصيرة.

المبعوث

* راي برادبري *

عرفَ مارتن أنَّ الخريف عادَ لمَّا جرى دوج إلى داخل المنزل جالبًا معه الرِّيح والصَّقيع ورائحة ثمار التُّفَّاح السَّاقطة التي اختمرَت تحت الأشجار. في لوالب شعره الدَّاكن أتى دوج ببتلةٍ من زهر عصا الذَّهب، وتُرابٍ من زهر صيف الوداع، وقشرةٍ من جوز البلُّوط، وشُعيراتٍ من سنجاب، وريشةٍ من أبي حنَّاء نافق، ونُشارةٍ من خشب مقطَّع حديثًا للحطب، وأوراقٍ بلون الفحم من شجر قيقب. قفزَ دوج، فانهمرَت أمطارٌ من السَّرخس الهش وعناقيد التُّوت الأسود وعُشب البِرك على السَّرير الذي أخذَ مارتن يصيح فوقه. لا شكَّ، لا شكَّ على الإطلاق أنَّ هذا المخلوق المذهل هو أكتوبر!

– «تعالَ يا ولد، تعالَ!».

واستقرَّ دوج ليُدفِّئ جسد مارتن بكلِّ ما يحمله من شُعلات الموسم ولفحاته المرهفة، ليُفعِم الغُرفة بأرائج التَّرحال البعيد، الثَّقيل منها والخفيف، والبليل منها والجاف. في الرَّبيع تفوح منه

روائح اللَّيلك والسَّوسن والعُشب المجزوز، وفي الصَّيف يأتي بشارب آيس كريم يُلطِّخ خطمه، عابقًا بروائح مفرقعات (شموع رومانيَّة ودواليب نار)، وقد خبزَت جسمه الشَّمس. أمَّا الخريف! الخريف!

- «أخبِرني يا دوج، كيف العالم في الخارج؟».

وفي رقدته حكى دوج كما يحكي دومًا، وفي رقدته وجدَ مارتن الخريف كما عرفَه قديمًا قبل أن يُحيل المرض لونه إلى بياضٍ ممتقع على سريره. هو ذا رابطه، ناقل كلِّ شيء، الجزء سريع الحركة من نفسه الذي يُرسِله بصيحةٍ ليجري ويعود، يدور ويستروِح، يجمع ويُوصِّل إليه أزمنةً وأنسجةً من عوالم البلدة والرِّيف، عبر الجدول والنَّهر والبُحيرة، من تحت في الأقبية ومن فوق في العلالي، في خزائن الثِّياب ومخازن الفحم. عشرات المرَّات يوميًّا يُهدَى مارتن بذورًا من عبَّاد الشَّمس أو حصًى من الطُّرقات أو بتلةً من الصُّقلاب أو ورقةً من الكستناء الهندي أو رائحة اليقطين المحروق. عبر منوال الكون ينطلق دوج كالمكُّوك، والتَّصميم مخبَّأ في فروته. مدَّ يدك وستجده....

- «وأين ذهبت هذا الصَّباح؟».

لكنه عرفَ دون أن يسمع أين ركضَ دوج على تلالٍ حيث يستقرُّ الخريف ناضرًا كالحبوب الطَّازجة، حيث يَرقُد أطفالٌ في محارق جنائزيَّة تحفُّ، أمواتًا مدفونين بين ورق الشَّجر لكنهم ليسوا

غافلين إذ يندفع دوج والعالم مرورًا بهم. مدَّ مارتن أصابعه المرتجفة وفتَّش في الفرو الكثيف وقرأ الرِّحلة الطَّويلة عبر بقايا الحصاد في الحقول، وفي المياه المتلألئة في الجدول، ومن خلال ساحة المقبرة المفروشة بالرُّخام، وإلى الغابة. الآن في موسم التَّوابل والبخور النَّادر يتتبَّع مارتن مسار مبعوثه من هنا إلى هناك إلى البيت!

انفتحَ باب غُرفة النَّوم.

- «كلبك هذا أوقعَ نفسه في مشكلةٍ مجدَّدًا».

أحضرَت أمُّه صينيَّةً عليها سلطة فواكه وكاكاو وخُبز محمَّص، وفي عينيْها الزَّرقاويْن بدَت نظرةٌ حادَّة.

- «أمِّي...».

- «دائمًا يحفر في كلِّ مكان. صباح اليوم حفرَ حُفرةً في حديقة المِس تاركن. رابع حُفرة يحفرها هناك هذا الأسبوع».

- «ربَّما يبحث عن شيء».

- «هُراء. إنه فضولي إلى حدٍّ مزعج. إذا لم يُحسِن الأدب فسيُحبَس».

نظرَ مارتن إلى هذه المرأة كأنها غريبة، وقال: «أوه، لا يُمكنكِ أن تفعلي ذلك! كيف سأتعلَّمُ أيَّ شيء؟ كيف سأعرفُ الأشياء إذا لم يُخبِرني دوج؟».

هدأ صوت أمِّه وهي تسأله: «أهذا ما يفعله؟ يُخبِرك بأشياء؟».

- «لا يُوجَد شيء لا أعرفه عندما يَخرُج ويتجوَّل ويعود، لا شيء لا يُمكنني معرفته منه».

جلسَ كلاهما يَنظُر إلى دوج والفطريَّات والبذور الجافَّة المتناثرة على اللِّحاف.

ثم قالت أمُّه: «حسن، ما دامَ سيتوقَّف عن الحفر حيث لا يصحُّ فيُمكنه أن يجري كما يشاء».

- «تعالَ يا ولد، تعالَ!».

وعلَّق مارتن في طوق دوج ملاحظةً منقوشةً على بطاقةٍ من الصَّفيح تقول: «**صاحبي مارتن سمِث -عشرة أعوام- مريض في الفِراش - أهلًا بالزَّائرين**».

نبحَ دوج، وفتحَت الأمُّ الباب في الطَّابق السُّفلي وتركَته يَخرُج.

جلسَ مارتن منصتًا.

من بعيدٍ يُمكنك سماع دوج يجري في مطر الخريف الهادئ الذي يَسقُط الآن. يُمكنك سماع النِّباح وصلصلة الطَّوق يخفتان ويرتفعان ويخفتان من جديدٍ وهو يقطع زُقاقًا ويَعبُر مرجةً ليجلب المستر هولوواي والرَّائحة المعدنيَّة المزيَّتة من السَّاعات ذات المينا الرَّقيق التي يُصلِحها في ورشته المنزليَّة. أو قد يجلب المستر جيكبز، البقَّال الغنيَّة ثيابه بروائح الخس والكرفس والطَّماطم، أو الرَّائحة المتوارية للشَّياطين الحمراء المختومة بها عُلَب اللَّحم المتبَّل الحار.

عادةً يُلوِّح المستر جيكبز وشياطين لحمه الوردي الخفيَّة من الفِناء بالأسفل. يجلب دوج المستر جاكسن، أو المسز جيلسبي، أو المستر سمِث، أو المسز هولمز، ويجلب أيَّ صديقٍ أو شبه صديقٍ صادفَه أو حاصرَه أو استعطفَه أو أقلقَه وأخيرًا رافقَه في طريقه إلى البيت لتناوُل الغداء أو الشَّاي والبسكويت.

إذ أصغى مارتن، سمعَ دوج بالأسفل ومن خلفه خُطوات في المطر الخفيف. دقَّ الجرس، وفتحَت أمُّه الباب، وغمغمَت أصواتٌ مكتومة. اعتدلَ مارتن في جلسته بوجهٍ أشرقَ، وصرَّت درجات السُّلَّم، وضحكَ صوت امرأةٍ شابَّة بهدوء. إنها المسز هايت طبعًا، أستاذته في المدرسة!

انفتحَ باب غُرفة النَّوم.

والآن يحظى مارتن بصُحبة.

الصَّباح والأصيل والمساء، والفجر والغسق، والشَّمس والقمر، كلُّها يدور مع دوج الذي يجلب إليه بإخلاصٍ درجات الحرارة في الرَّوض والهواء، ولون التُّربة والشَّجر، وكثافة الضَّباب والمطر، لكن الأهمَّ على الإطلاق أنه -مرَّةً تلو مرَّةٍ تلو مرَّةٍ- يجلب المسز هايت.

السَّبت والأحد والاثنين خبزَت لمارتن كيكيك بالبرتقال وأحضرَت له من المكتبة كُتبًا عن الديناصورات وسُكَّان الكهوف.

الثُّلاثاء والأربعاء والخميس غلبَها بطريقةٍ ما في الدومينو، وبطريقةٍ ما انغلبَت أمامه في الدَّامة، وصاحَت أنه قريبًا سيغلبها بمنتهى المهارة في الشَّطرنج. الجمعة والسَّبت والأحد تكلَّما ولم يكفَّا عن الكلام، وكانت شابَّةً وضحوكًا وحسناء، وشعرها ناعمًا يلمع بنِّيٍّه كالفصل خارج النَّافذة، وتمشي برشاقةٍ وإشراقةٍ وسُرعة، دفؤها كدفء نبضات القلب في الأصيل القارس حينما يسمع خُطوتها. والأهمُّ من كلِّ ذلك أنها امتلكَت أسرار العلامات، واستطاعَت قراءة وترجمة دوج والرُّموز التي تعوَّدت التَّفتيش عنها وقطفِها من فروته بأصابعها المعجزة. بعينيْن مغمضتيْن، بضحكةٍ ناعمة، بصوت الغجريَّات، كهنَت له العالم بما في يديْها من كنوز.

الاثنين بعد الظُّهر ماتَت المسز هايت.

اعتدلَ مارتن جالسًا على الفِراش ببُطء، وهمسَ: «ماتَت؟».

ماتَت، هكذا قالت أمُّه، نعم، ماتَت، قُتلَت في حادثة سيَّارةٍ على بُعد ميلٍ خارج البلدة. ماتَت، نعم، ماتَت، وهو ما يعني لمارتن البرد، وهو ما يعني الصَّمت والبياض ومجيء الشِّتاء قبل أوانه بوقتٍ طويل. موت، صمت، برد، بياض. دارَت الأفكار في الهواء ثم سقطَت أرضًا واستقرَّت في همسات.

احتضنَ مارتن دوج مفكِّرًا، والتفتَ إلى الجِدار. السيِّدة ذات الشَّعر الملوَّن بالخريف. السيِّدة ذات الضَّحكة متناهية الرِّقَّة التي لم تسخر منك قَطُّ، والعينيْن اللتيْن تُراقِبان فمك لتريا كلَّ كلمةٍ تقولها. سيِّدة النِّصف الآخَر من الخريف التي تروي لك عن العالم

ما لم يروِه دوج. نبضة القلب في بؤرة الأصائل الغائمة، نبضة القلب التي تَضعُف...

- «ماما؟ ماذا يفعلون في المقابر تحت الأرض يا ماما؟ يتمدَّدون في أماكنهم وحسب؟».

- «يَرقُدون في أماكنهم».

- «يَرقُدون في أماكنهم؟ ألا يفعلون شيئًا آخَر؟ لا أرى في ذلك مُتعةً».

- «بالله عليك، لا يُفترَض أن تكون في الأمر مُتعة».

- «لِمَ لا يقفزون ويجرون هنا وهناك بين حينٍ وآخَر إذا سئموا الرُّقود؟ لا أفهمُ ما يفعله الله».

- «مارتن!».

- «تصوَّرته يُعامِل النَّاس معاملةً أفضل من أمرهم بالرُّقود هامدين للأبد. شيء مستحيل، لا أحد يقدر عليه! أنا حاولتُ مرَّةً. دوج يُحاوِل. أقولُ له: كلبٌ ميت! ويتظاهَر بالموت فترةً ثم يسأم ويتعب ويهزُّ ذيله أو يفتح عينًا ويَنظُر إليَّ بملل. أراهنُ أنَّ أولئك النَّاس في القبور يفعلون مثله، أليس كذلك يا دوج؟».

فنبحَ دوج.

قالت أمُّه: «كُفَّ عن هذا الكلام!».

نظرَ مارتن في الفراغ قائلًا: «أراهنُ أنَّ هذا بالضَّبط ما يفعلونه».

حرقَ الخريف الأشجار مجرِّدًا إيَّاها من ورقها وجرَّى دوج في نطاقاتٍ أوسع، ليخوض الجدول ويجوب المقابر كما هي عادته، قبل أن يعود مع الغسق وكالمدفع يُطلِق وابلًا من النِّباح الذي يرجُّ النَّوافذ حيثما دارَ.

في أواخر الأيَّام الأخيرة من أكتوبر بدأ دوج يتصرَّف كأنَّما تبدَّلت الرِّيح وراحَت تهبُّ من بلدٍ غريب. بدأ يقف مرتجفًا في الشُّرفة الأماميَّة بالأسفل، ويئنُّ وقد ثبَّت عينيْه على الأرض الخالية بعد البلدة، ولم يَعُد يأتي مارتن بزُوَّار. كلَّ يومٍ يقف ساعاتٍ كأنه مقيَّد، ويرتعش، ثم ينطلق مباشرةً كأن أحدًا ناداه، وكلَّ ليلةٍ يرجع لاحقًا دون أن يتبعه أحد، وكلَّ ليلةٍ يغوص مارتن أكثر فأكثر في وسادته.

قالت أمُّه: «النَّاس مشغولون، ليس عندهم وقت لملاحظة البطاقة التي يحملها دوج، أو إنهم ينوون الزِّيارة لكنهم ينسون».

لكن في المسألة ما هو أكثر: اللَّمعة المحمومة في عينَي دوج، الأنين المصحوب باختلاجٍ في وقتٍ متأخِّر من اللَّيل وهو يَحلُم أحلامه المطلسمة، ارتجافه في الظَّلام تحت السَّرير، الطَّريقة التي يقف بها أحيانًا نصف ساعات اللَّيل رامقًا مارتن كما لو أنه يحمل سرًّا عظيمًا مستحيلًا ولا يعرف وسيلةً للبوح به غير التَّلويح بذيله بعُنف أو الدَّوران في دوائر لا نهائيَّة، لا يستقرُّ أبدًا، يدور ويدور.

في الثَّلاثين من أكتوبر جرى دوج إلى الخارج ولم يَعُد، حتى عندما سمعَ مارتن والديْه بعد العشاء يُناديانه ويُناديانه. تأخَّرت السَّاعة، وخلَت الشَّوارع والأرصفة، وتحرَّك الهواء باردًا حول المنزل، ولا شيء، لا شيء.

بعد انتصاف اللَّيل بوقتٍ طويل رقدَ مارتن يُشاهِد العالم وراء زُجاج النَّوافذ الشفَّاف البارد. الآن لا وجود للخريف حتى، فلا دوج يجلبه إليه. ولن يُوجَد شتاء، فمَن سيجلب الثَّلج ليذوب بين يديْك؟ أمُّك أو أبوك؟ لا، إنهما ليسا مثله، لا يستطيعان أن يلعبا اللُّعبة بأسرارها وقواعدها الخاصَّة، بأصواتها وإيماءاتها. لا فصول بعد اليوم، لا زمن. الوسيط، المبعوث ضاعَ في زحام الحضارة، سُمِّمَ، سُرِقَ، صدمَته سيَّارة، تُرِكَ في مجرور....

منتحبًا، أولى مارتن الوسادة وجهه. العالم صورةٌ تحت الزُّجاج لا يُمكن لمسها. العالم ميت.

قُضَّ مضجع مارتن، وخلال أيَّامٍ ثلاثة كان آخِر ما تبقَّى من يقطين الهالووين يتعفَّن في سلال القمامة، وأُحرقَت الجماجم والسَّاحرات الورق، ورُصَّت الأشباح فوق الرُّفوف مع الأغطية الأخرى حتى العام التَّالي.

في نظر مارتن ليس الهالووين إلَّا أمسيةً واحدةً تَصرُخ فيها أبواقٌ صفيح تحت نجوم الخريف الباردة، ويطير الأطفال كأوراق

شجرٍ شيطانيَّة في الطُّرقات الصوَّان، يقذفون واجهات المنازل برؤوسهم أو رؤوس الكرنب، ويَكتُبون بالصَّابون أسماءهم أو ما شابهَها من الرُّموز السِّحريَّة على النَّوافذ المتجلِّدة. كلُّ ذلك بعيدٌ ومستغلِقٌ وكابوسيٌّ مثل مسرحيَّة عرائس تُشاهِدها من بُعد أميالٍ عديدة فلا تُدرِك منها صوتًا أو معنى.

طوال أيَّامٍ ثلاثة في نوڤمبر شاهدَ مارتن الأضواء والظِّلال المغربلة على سقفه. موكب النَّار مضى إلى الأبد، والخريف رمادٌ بارد. أكثر فأكثر غاصَ مارتن في طبقات فِراشه الرُّخام البيضاء، لا يتحرَّك، يُصغي، دائمًا يُصغي....

ليلة الجُمعة قبَّله والداه وخرجا من المنزل في الطَّقس السَّاكن ليُشاهِدا فِلمًا، وجلسَت جارتهم المِس تاركن في حُجرة الاستقبال بالأسفل إلى أن ناداها مارتن ليُبلِغها أنه ناعس، فأخذَت حياكتها عائدةً إلى بيتها.

في الصَّمت رقدَ مارتن يُتابع حركة النُّجوم في صفاء السَّماء المنيرة، يتذكَّر ليالِيَ كهذه جابَ فيها أرجاء البلدة ودوج يجري أمامه، خلفه، حوله، يتقصَّى الوهدة الخضراء اليانعة، يلغُ من جداول ناعسةٍ يُحاكي لونها الحليب لمَّا يتمُّ البدر، يقفز من فوق شواهد القبور وهو يهمس بالأسماء الرُّخاميَّة، ينطلق، بسُرعةٍ ينطلق عبر حقولٍ مجزوزة لا حراك فيها إلَّا لرجفة النُّجوم البعيدة، إلى شوارع لا تُفسِح لك فيها الظِّلال الطَّريق بل تتزاحَم على الأرصفة ميلًا بعد ميل. اركُض الآن اركُض! يُطارِد ويُطارِده الدُّخان اللَّاذع،

الضَّباب، الغيوم، أشباح العقل، مخاوف الذَّاكرة، يرجع إلى البيت، آمنًا، سالمًا، يستكين دافئًا، يغيب في النَّوم....

السَّاعة التَّاسعة.

رنين. السَّاعة النَّاعسة في بئر السُّلَّم العميقة بالأسفل. رنين.

دوج، عُد، واركُض ومعك العالم. دوج، اجلب لي نبتة شوكٍ يُغلِّفها الصَّقيع، أو لا تجلب شيئًا إلَّا الرِّيح. دوج، أين أنت؟! أوه، اسمعني الآن، سأناديك.

حبسَ مارتن أنفاسه.

وبعيدًا في مكانٍ ما: صوت.

اعتدلَ مارتن مرتجفًا.

ها هو ذا ثانيةً، الصَّوت.

صوتٌ خفيض جدًّا، مثل رأس إبرةٍ حاد يُلامِس السَّماء من بُعد أميالٍ طويلة وأميالٍ كثيرة.

صدى كأنَّما في حُلم لنباح كلب.

صوت كلبٍ يَعبُر حقولًا ومزارع، طُرقًا تُرابيَّةً ودروب أرانب، يجري، يجري، يُطلِق نباحًا متحمِّسًا مدوِّيًا يشقُّ اللَّيل. صوت كلبٍ يدور، أتى وذهبَ، ارتفعَ وخبا، جلجلَ وانكتمَ، تقدَّم، تراجعَ، كأن أحدًا ما يربط الحيوان بسلسلةٍ خارقة الطُّول، كأن الكلب كان يجري وأحدهم صفرَ تحت أشجار الكستناء في ظلِّ الفطريَّات، في

ظلِّ القطران، في ظلِّ القمر، يمشي فيدور الكلب عائدًا ثم يندفع من جديدٍ نحو البيت.

دوج! أوه دوج، ارجع يا ولد! أصغِ، أوه، أصغِ. أين كنت؟! هلمَّ يا ولد، انطلق بسُرعة!

خمس دقائق، عشر، خمس عشرة. قريب، قريب جدًّا، النِّباح، الصَّوت. صاحَ مارتن وطوَّح قدميْه من فوق السَّرير ومالَ على النَّافذة. دوج! أصغِ يا ولد! دوج! دوج! قالها مرَّةً بعد مرَّة. دوج! دوج! دوج الشرِّير الذي هربَ واختفى كلَّ هذه الأيَّام! دوج السيِّئ، دوج الطيِّب، إلى البيت يا ولد، أسرِع، واجلب ما تستطيع!

قريب الآن، قريب، في شارعهم، ينبح، بصوته يُسقِط ألواح التَّلبيس الخشبيَّة في واجهات المنازل، يُدوِّر الدِّيكة الحديديَّة فوق الأسطُح في نور القمر، يُطلِق قذائفه.. دوج! الآن عند الباب بالأسفل..

ارتجفَ مارتن.

هل يجري ليُدخِل دوج أم ينتظر ماما وبابا؟ ينتظر؟ ربَّاه، ينتظر؟ وإذا هربَ دوج ثانيةً؟ لا، سينزل ويفتح الباب عن آخِره ويصيح ويقبض على دوج ويعود إلى أعلى جريًا بكلِّ سُرعةٍ وهو يضحك ويبكي ويتمسَّك بهذا الـ...

كفَّ دوج عن النِّباح.

مهلًا! كادَ مارتن يكسر النَّافذة من فرط اهتزازه وهو مستندٌ إليها.

صمت، كأن أحدهم قال لدوج أن يَسكُت الآن، يَسكُت، يَسكُت. مرَّت دقيقةٌ كاملة، وكوَّر مارتن قبضتيْه.

أنينٌ خافت من تحت.

ثم، ببُطء، انفتحَ الباب الأمامي بالأسفل. أحدهم تلطَّف وفتحَ الباب لدوج. طبعًا! دوج جلبَ المستر جيكبز أو المسز جيلسبي أو المِس تاركن أو...

انغلقَ الباب.

هرعَ دوج إلى أعلى مطلقًا أنينه، وألقى بنفسه على الفِراش.

- «دوج، دوج، أين كنت؟! ماذا فعلت؟! دوج، دوج!».

وباكيًا، أخذَ مارتن دوج في حضنٍ ساحق طويل. دوج، دوج. ضحكَ وهتفَ. دوج! لكنه بعد لحظاتٍ توقَّف فجأةً عن الضَّحك والبُكاء.

تراجعَ ممسكًا الحيوان وناظرًا إليه بعينيْن أخذَتا في الاتِّساع.

الرَّائحة المنبعثة من دوج مختلفة.

إنها رائحة تُرابٍ غريب، رائحة ليلٍ في جوف ليل، رائحة حفرٍ عميق تكتنفه الظِّلال في تُربةٍ تُلاصِق أشياء لها زمنٍ طويل مخبَّأة تتعفَّن. من خطم دوج وكفوفه سقطَ ثرى التَّحلُّل المنتن الكريه. لقد حفرَ بعُمق، حفرَ بعُمق بالغ حقًّا. هكذا فعلَ، أليس كذلك؟ أليس كذلك؟ أليس كذلك!

أيُّ رسالةٍ هذه من دوج؟ ما الذي يُمكن أن تعنيه رسالةٌ كهذه؟ الرَّائحة الكريهة... تُربة المقابر العطنة الشَّنيعة.

دوج كلبٌ سيِّئ، يحفر حيث لا يصحُّ. دوج كلبٌ طيِّب، دائمًا يتعرَّف إلى أصدقاء جُدد. دوج يحبُّ النَّاس. دوج يُحضِرهم إلى البيت.

والآن، على السَّلالم المظلمة، على فتراتٍ منتظمة، يأتي صوت خُطوات، قدم مجرورة وراء الأخرى، بألم، ببُطء، ببُطء، ببُطء.

ارتعدَ دوج، وسقطَ وابلٌ من تُربة اللَّيل الغريبة فائرًا على الفِراش.

التفتَ دوج.

وانفتحَ باب غُرفة النَّوم بصوتٍ كالهمس.

والآن يحظى مارتن بصُحبة.

راي برادبري (١٩٢٠-٢٠١٢): مؤلِّف أمريكي كتبَ الفانتازيا والرُّعب والخيال العلمي والغموض والواقعيَّة السِّحريَّة، أشهر أعماله «٤٥١ فهرنهايت» و«السِّجلَّات المرِّيخيَّة»، حصلَ على جوائز عديدة، وتُقدِّم جمعيَّة كُتَّاب الخيال العلمي والفانتازيا الأمريكيَّة جائزةً باسمه.

نُشرت القصَّة بعنوان «*The Emissary*» في مجلَّة «*Weird Tales*» في عام ١٩٤٤، وحوَّلها برادبري في عام ١٩٨٨ إلى حلقةٍ تلفزيونيَّة في مسلسله «*The Ray Bradbury Theater*».

انتقام الفرعون

* ك. بروس هنتر *

نظرَ جوفري مرَّةً أخرى إلى البرديَّة التي بسطَها بجوار شمعةٍ فوق خزانة العرض. لا تلزمه قراءتها ثانيةً بالطَّبع، فقد ترجمَها وأعادَ ترجمتها مرارًا ليتأكَّد من غياب أيِّ خطأ، والآن يحفظ مضمونها عن ظهر قلب. تحتوي البرديَّة على الصَّلوات الواجبة لأوزيريس ورع، وقائمةٍ بالمكوِّنات وتعليمات تحضيرها، والوعد بحياةٍ أبديَّة وسُلطةٍ مطلقة، وتحتوي أيضًا على خرطوش في آخِرها لم يستطِع جوفري ترجمته، ولكن ليس ضروريًّا أن يعرف فحواه؛ لقد نجحَ فعلًا في حلِّ رموز المعلومات المهمَّة في البرديَّة.

من حُسن الحظِّ أنَّ المكوِّنات كلَّها لا تزال موجودةً، ولو أنَّ البحث عن أسمائها المعاصرة كلَّفه ثلاثة أشهُر، وجمعها استغرقَ شهرًا آخَر من استكشاف محال الكيميائيِّين وشركات التَّوابل والمؤسَّسات الصِّناعيَّة. لكنه أتمَّ المهمَّة أخيرًا، والآن تفور في دورقٍ أمامه مكافأته على جهوده.

أخذَ نفسًا عميقًا ومدَّ يده إلى تركيبة الخيميائيِّين المنسيَّة منذ

دهر، التي ستقذف بمنزلته المتواضعة من عالم مصريَّات صغير الشَّأن إلى ملك العالم.

أغمضَ عينيْه، وجرعَ السَّائل الدَّاكن اللَّاذع.

حرقَه السَّائل بعض الشَّيء وهو يبلعه، وأطلقَ جوفري زفيرًا خشنًا. استحالَ الحرق إلى ألم في منتصف صدره، ثم انتشرَ ببُطء في جسده. شهقَ محاولًا التقاطَ أنفاسه، لكن الألم استحالَ إلى هواءٍ صحراويٍّ لاهب، أشد حرارةً من أن يتنفَّسه.

كزَّ على أسنانه ومدَّ يديْه ليقبض على شيء... أيِّ شيءٍ يعتصره، فتعثَّر في خزانة العرض ليُسقِط الشَّمعة وهو يتخبَّط بعُنف، ثم في لحظة عذابٍ أخيرة غزا ظلامٌ دامس رأسه.

خارج الحُجرة أصدَت خُطوات أقدامٍ قاطعةً الرُّواق.

- «أنا واثقٌ بأنني سمعتُ ضجيجًا هنا». قالها صوتٌ مكتوم تبعَه سريعًا اهتزازُ مقبض الباب واحتكاكُ مفتاحٍ بالقفل.

انفتحَ الباب ودخلَ أمين المتحف الحُجرة المعتمة. قال الرَّجل: «سمِث، هلَّا أشعلت الضَّوء؟»، ولمَّا اشتعلَ مصباح السَّقف ورأى الجثَّة المرتمية أرضًا، صاحَ: «ربَّاه! سمِث، أليس هذا أحد المساعدين في قسمك؟».

أجابَ سمِث: «بلى. إنه جونز»، ثم سألَ: «ماذا جرى له؟».

- «يبدو أنه انتحرَ». فتحَ أمين المتحف أصابع الشَّاب قسرًا ليأخذ الورقة المكوَّرة في قبضته.

سألَه الآخَر: «ما هذا؟».

- «إحدى البرديَّات المحفوظة في المخزن على ما يبدو. لا بُدَّ أنَّ جونز ترجمَها».

التقطَ سمِث البرديَّة من يد زميله ليفحصها، ثم قال: «آه، نعم. إنها واحدةٌ من تلك التَّركيبات التي يُفترَض أن تمنح مَن يستخدمها الخلود والسُّلطة. المتحف يضمُّ عددًا مخزَّنًا منها. لا أهمِّيَّة تاريخيَّة لها حقًّا. الغريب أني لم أفهم قَطُّ ما يقوله الخرطوش الذي يُوضَع في آخِرها». مكتبة سُر مَن قرأ

- «دعني أرى». قالها أمين المتحف ملقيًا نظرةً على الوثيقة المكوَّرة، ثم شرحَ: «أوه، إنه مجرَّد تنبيه. التَّرجمة التَّقريبيَّة: للاستعمال الخارجي فقط».

كالڤن بروس هنتر (١٩٤٤-٢٠٠٩): مدرِّس لعلم الآثار في المتحف الأمريكي للتَّاريخ الطَّبيعي، ألَّف عدَّة كُتب عن آثار العالم، وكتبَ عددًا من القصص القصيرة المستوحاة من تخصُّصه.

نُشرت القصَّة بعنوان «*Pharaoh's Revenge*» في عام ١٩٨٢ ضمن مختارات آيزاك أزيموف لأفضل ١٠٠ قصَّة فانتازيا قصيرة.

قصَّة الزَّوجة

* إرسولا ك. لِجوِن *

كان زوجًا صالحًا، وأبًا صالحًا. لا أفهمُ. لا أصدِّقُ. لا أصدِّقُ أنَّ ما حدثَ حدثَ. لقد رأيته يَحدُث، لكنه ليس حقيقيًّا. لا يُمكن أنه حقيقي. لطالما اتَّسم بالحنان. لو أنكم رأيتموه يلعب مع الأطفال، لو رآه أيُّ أحدٍ مع الأطفال لعلمَ أنَّ نفسه خلَت من كلِّ سوء، من كلِّ الخصال الخبيثة. التقيته أوَّل مرَّةٍ وهو بعدُ مقيمٌ مع أمِّه قُرب بُحيرة الرَّبيع، واعتدتُ رؤيتهم معًا، الأم والأبناء، مفكِّرةً أنَّ أيَّ شابٍّ يُعامِل أُسرته بهذا اللُّطف يستحقُّ حقًّا أن أعرفه. ثم، في مرَّةٍ وأنا أتمشَّى في الغابة، قابلته عائدًا وحده من رحلة صيد. لم يظفر بأيِّ فرائس، ولا حتى فأر حقل، لكنني لم أجده مغتمًّا، بل يعبث ويمرح ويستمتع بهواء الصَّباح. كان هذا من أوائل الأشياء التي أحببتها فيه. لم يسمح للظُّروف بتكديره، ولم يتبرَّم ويشتكِ إذا جرى شيء على غير ما رامَ. يومها تكلَّمنا، وأظنُّ أنَّ العلاقة تطوَّرت سريعًا، فلم تمرَّ مُدَّة طويلة حتى بدأ يقضي وقته كلَّه تقريبًا عندنا. قالت أختي (أبوانا تركا لنا البيت في العام السَّابق عندما رحلا جنوبًا)

بنوعٍ من المزاح ولكن بجدِّيَّة: «ليكن! ما دامَ سيبقى طوال النَّهار ونصف اللَّيل فلا أظنُّ أنَّ لي متَّسعًا هنا!»، وتركَت البيت لتعيش في آخَر قريب على الطَّريق. لطالما كانت علاقتنا وطيدةً. شيء كهذا لا يتغيَّر أبدًا. لولا أختي لما تجاوزتُ هذا الوقت العصيب.

وهكذا أتى ليعيش هنا، وكلُّ ما يُمكنني أن أقوله إنها أسعد سنةٍ في حياتي. لم أرَ منه إلَّا الطِّيبة الخالصة. عاملٌ مجتهد لا يكسل أبدًا، وكبير جدًّا ومليح. الجميع أعجبوا به واحترَموه على الرغم من سنِّه الصَّغيرة، وفي ليالي تجمُّعات العشيرة تكرَّر أكثر فأكثر طلبهم أن يقود الغناء. تمتَّع بصوتٍ جميل بحق، ولمَّا غنَّى قادَ الآخَرين بقوَّةٍ ليتبعوه وينضمُّوا إليه بعالي أصواتهم وخفيضها. إنَّ بدني ليقشعرُّ الآن إذ أفكِّرُ في سماعي غناءه في اللَّيالي التي تغيَّبتُ فيها عن التَّجمُّعات لأبقى في البيت مع الأطفال وهُم بعدُ رُضَّع... الغناء يتسرَّب إليَّ من بين الأشجار، وضوء القمر، وليالي الصَّيف، والبدر التَّام السَّاطع. لن أسمع شيئًا بذلك الجمال ثانيةً. لن أعرف فرحةً كتلك أبدًا.

إنه القمر. هكذا يقولون. إنه خطأ القمر، والدَّم. اللَّعنة جرَت في دم أبيه. لم أعرف أباه، والآن أتساءلُ ماذا حدثَ له. كان من نواحي طريق الماء الأبيض، ولا أقارب له هنا. لطالما حسبتُ أنه عادَ إلى هناك، لكنني لا أدري. دارَ حوله كلام، حكايات انتشرَت بعد ما جرى لزوجي. إنه شيء يجري في الدِّماء على حدِّ قولهم، وقد لا يظهر أبدًا، ولكن إن ظهرَ فدوران القمر هو السَّبب. دائمًا يَحدُث ما

يَحدُث في أوان القمر المظلم والجميع في ديارهم نيام. شيء ما يعتري مَن في دمه اللَّعنة على حدِّ قولهم، فيقوم عاجزًا عن النَّوم، ويَخرُج في وهج الشَّمس، ويسرح بمفرده مشدودًا إلى العثور على مَن هُم مثله.

وقد يصحُّ قولهم، فزوجي فعلَ هذا. أستيقظُ قليلًا وأسأله: «أين ستذهب؟»، فيقول: «أوه، للصَّيد. سأرجعُ هذا المساء»، وهو ما يُخالِف عادته، وحتى نبرته تختلف. لكن النُّعاس الشَّديد يغلبني، ولا أريدُ إيقاظ الأطفال، وهو صالحٌ جدًّا ومسؤول، وليس لي أن أثقل عليه بسؤال أين ولماذا وما إلى ذلك.

حدثَ هذا ثلاث أو أربع مرَّاتٍ ربَّما. يعود متأخِّرًا منهَكًا، أقرب كثيرًا إلى النَّكد مع أنه عادةً رائق المزاج... ولا يُريد أن يتكلَّم. فكَّرتُ أنَّ الكيل يفيض بنا جميعًا أحيانًا، والإلحاح لا يُعالِج شيئًا أبدًا. على أنَّ الأمر بدأ يُقلِقني فعلًا. ليس مجرَّد ذهابه، بل عودته مرهَقًا غريبًا. حتى رائحته استغرَبتها وانتصبَ لها شعري كلُّه. لم أعُد أستطيعُ التَّحمُّل، وقلتُ: «ما هذه... هذه الرَّوائح الفائحة منك؟ إنها تُغطِّيك!»، فردَّ بمنتهى الاقتضاب: «لا أدري»، وتظاهرَ بالنَّوم. لكنه نزلَ عندما ظنَّني غافلةً، وغسلَ نفسه منها، غير أنَّ تلك الرَّوائح بقيَت في شعره وفي سريرنا أيَّامًا.

ثم الحادثة الشَّنيعة. لا أجدُ الحكي عنها سهلًا. حينما أضطرُّ إلى استعادتها في ذهني أشعرُ أنني أريدُ البُكاء. صُغرى أولادنا، طفلتي، نفرَت من أبيها، وبين ليلةٍ وضُحاها. دخلَ فلاحَ عليها الخوف وتيبَّست واتَّسعت عيناها وانفجرَت باكيةً محاولةً الاختباء ورائي.

لم يُمكنها بعدُ الكلام بوضوح، لكنها ما انفكَّت تقول: «اجعلي هذا الشَّيء يرحل! اجعلي هذا الشَّيء يرحل!».

النَّظرة في عينيْه التي دامَت لحظةً واحدةً لَمَّا سمعَها، هذا ما لا أريدُ أن أتذكَّره أبدًا، هذا ما لا أقدرُ على نسيانه، النَّظرة في عينيْه إذ رمقَ طفلته.

قلتُ للصَّغيرة: «عارٌ عليكِ! ماذا جرى لكِ؟»... أؤنِّبها، ومع ذلك أبقيها قريبةً مني لأني أيضًا ارتعبتُ، ارتعبتُ إلى حدِّ الارتجاف.

أشاحَ بوجهه عندئذٍ وقال شيئًا على غرار: «أظنُّها صحَت وهي لا تزال تَحلُم»، وأخذَ الأمر على هذا المحمل. أو إنه حاولَ، وأنا حاولتُ، وغضبتُ جدًّا من صغيرتي عندما ظلَّت تتصرَّف بخوفٍ مجنون من أبيها، وإن لم تقوَ على منع نفسها، ولم أقوَ على تغيير هذا.

غابَ ذلك النَّهار بطوله، لأنه عرفَ على ما أظنُّ. وقتها بدأ إظلام القمر.

كان الجوُّ حارًّا خانقًا في الدَّاخل، ومظلمًا، ونحن نائمين منذ مُدَّة. أيقظَني شيء ما، ولم أجده بجواري. سمعتُ حركةً خافتةً في الطُّرقة حين أرهفتُ سمعي، ثم نهضتُ لأني لم أعُد أحتمل. خرجتُ إلى الطُّرقة فرأيتها مضاءةً، يَدخُلها ضوء الشَّمس القويُّ من الباب المفتوح. ورأيته واقفًا في الخارج مباشرةً، وسط العُشب الطَّويل عند المدخل، ورأسه مطأطأ. بعد قليلٍ جلسَ كأنه متعَب، وخفضَ بصره. وقفتُ ثابتةً في الدَّاخل وشاهدتُ... ولم أدرِ لِمَ.

ورأيتُ ما رأيتُ. رأيتُ التَّبدُّل. حدثَ في أقدامه أوَّلًا؛ استطالَت، كلُّ قدمٍ صارَت أطول، تمدَّدت، الأصابع تتمدَّد والقدم تستطيل وتُصبِح لَحيمةً، وبيضاء، ولا شعر عليها.

بدأ الشَّعر يختفي من جسمه كلِّه كأن الشَّمس حرقَته. الآن يقف بكامله أبيض كجلد الدِّيدان. ثم التفتَ بوجهه، ورأيته يتبدَّل فيما نظرتُ، يتسطَّح ويتسطَّح، الفم مسطَّحٌ عريض، والأسنان مستويةٌ ثلمة، والأنف ليس إلَّا كُتلة لحم فيها منخران، والأُذنان اختفَتا، والعينان ازرقَّتا... ازرقَّتا وأحاطَت بالزُّرقة حافتان بيضاوان... ورمقَتاني من وجهٍ أبيض ليِّن مسطَّح.

ثم نهضَ واقفًا على قدميْن.

رأيته، مرغمةً رأيته، حبيبي الغالي يتحوَّل إلى الكائن الكريه.

عجزتُ عن الحركة، ولكن إذ قبعتُ في الطُّرقة ناظرةً إلى النَّهار ارتجفتُ وارتعشتُ وفيَّ زمجرةٌ تفجَّرت في عُواءٍ مجنون فظيع، عُواء أسى وعُواء هلع. والآخَرون سمعوه وهُم نائمون، واستيقَظوا.

حملقتُ وحدَّقتُ إلى الشَّيء الذي تحوَّل إليه زوجي ودفعَ وجهه في مدخل بيتنا. ظلَّ الخوف المميت يُكبِّلني، لكن من خلفي استيقظَ الأطفال وانتحبَت الصَّغيرة. تملَّكني غضب الأمِّ لحظتها، وزمتُ وتقدَّمتُ.

تلفَّت الشَّيء البشريُّ حوله. لم يحمل بندقيَّةً كما يفعل مَن

يأتون من أماكن البشر، لكنه التقطَ فرعَ شجرةٍ ثقيلًا ساقطًا بقدمه البيضاء الطَّويلة ودفعَ طرفه داخل بيتنا... في وجهي. أطبقتُ على الطَّرف بأسناني وبدأتُ أشقُّ طريقي إلى الخارج قسرًا، فقد علمتُ أنَّ البشريَّ سيَقتُل الأطفال إذا استطاعَ. إلَّا أنَّ أختي أتَت، رأيتها تَركُض نحو البشريِّ، رأسها منخفض ولبدتها مرتفعة وعيناها صفراوان كشمس الشِّتاء. التفتَ إليها ورفعَ الفرع ليضربها، لكنني خرجتُ من الباب هائجةً بغضبة الأمِّ، والآخَرون كلُّهم أتوا تلبيةً لندائي، القطيع كلُّه يتجمَّع في الوهج المُعمي وحرارة شمس الظَّهيرة.

نظرَ البشريُّ حوله إلينا وزعقَ ولوَّح بفرع الشَّجرة، ثم خارَت شجاعته وجرى متَّجهًا إلى الحقول الخالية والأراضي المحروثة على جنب الجبل. على ساقيْن جرى، يتوثَّب ويُلوِّح، وتبعناه.

كنتُ الأخيرة، فالحُبُّ ظلَّ يكبح ما في داخلي من غضبٍ وخوف، وفيما جريتُ رأيتهم يُسقِطونه. انغرسَت أنياب أختي في حلقه، ووصلتُ لأجده ميتًا. ابتعدَ الآخَرون عن القتيل بسبب مذاق الدَّم ورائحته، وانكمشَ الصِّغار وبكى بعضهم، وفركَت أختي فمها في قائمتيْها الأماميَّتيْن مرَّةً تلو مرَّةٍ لتتخلَّص من المذاق. اقتربتُ مفكِّرةً أنه ما دامَ الشَّيء ماتَ فلا بُدَّ أنَّ التَّعويذة، اللَّعنة، انتهَت، أنَّ زوجي سيعود... حيًّا، أو حتى ميتًا، لو أمكنَني فقط أن أراه، حبيبي الحقيقي، في هيئته الحقيقيَّة الجميلة. لكنني لم أرَ إلَّا البشريَّ الميت على الأرض، أبيض داميًا.

انسحبنا أكثر فأكثر مبتعدين عنه، ودُرنا وعدونا راجعين إلى التِّلال، إلى غابات الظِّلال والشَّفق والظُّلمة المباركة.

إرسولا كروبر لِجوِن (١٩٢٩-٢٠١٨)، مؤلِّفة أمريكيَّة من أهمِّ مَن كتبوا في أدب الفانتازيا والخيال العلمي، نشرَت عشرات الرِّوايات والمجموعات القصصيَّة وحصلَت على جوائز أدبيَّة عديدة، منها «هيوجو» و«نبيولا».
نُشرت القصَّة بعنوان «*The Wife's Story*» في مجموعة «*The Compass Rose*» في عام ١٩٨٢.

فلتر الحُب

* جرِج تشيمبرلن *

عاشَت العجوز موب دون أيِّ صُحبةٍ -باستثناء قطِّها المُسن كورف- في كوخٍ حقير على حافة الصَّحراء، بينها وبين أقرب قريةٍ صباحٌ من المشي أو نهارٌ كامل من العرج. أحيانًا تذهب موب هناك لتُقايِض بما لديها ما تحتاج إليه.

كلَّ يومٍ تقتفي موب وكورف آثار القوافل، يتنطَّط هو في شأنه في الرِّمال، وتُفتِّش هي فيها بطرف عُكَّازها عن أشياء سقطَت على الطَّريق وتستطيع بيعها.

وذات يومٍ كشفَ كورف عن جرَّة نبيذٍ ما زالَ ختمها سليمًا. تفقَّدت موب الوعاء بحذرٍ مفكِّرةً في الفضَّة التي سيدرُّها عليها في خان القرية، ثم قالت لنفسها: «سيطيب لي أن أشرب قليلًا من النَّبيذ عن نفسي. يجب أن أفحص المحتويات على كلِّ حال».

انكسرَ الختم الصَّلصال القديم بسهولة، وألقَت موب نظرةً في داخل الجرَّة... فارغة. قلبَتها... لا شيء.

لا شيء إلَّا هواء قديم فاسد إلى درجة أنه اخضرَّ. تدفَّق الهواء من الجرَّة وظلَّ يتدفَّق ويتدفَّق مشكِّلًا سحابةً خضراء صغيرةً فوق رأس موب، وفي السَّحابة ظهرَ وجه.

- «البركات عليكِ أيَّتها الحيزبون الهرمة، فقد حرَّرتِني من سجني. اذكُري مكافأتكِ وسأمنحكِ ما تتمنِّين لو أني أقدرُ عليه».

لعقَت العجوز موب لثتها، وقالت: «ما أريده هو أن أعود شابَّةً جميلةً وأعرف حُبَّ شابٍّ وسيم مفعم بالحيويَّة. اجعلني من جديدٍ المرأة التي كنتها في الثَّامنة عشرة...»، وأشارَت إلى كورف المرتجف مواصلةً: «... واجعل قطِّي شابًّا قويًّا وسيمًا».

- «لكِ هذا! غدًا عند مطلع الفجر ستتحقَّق أمنيتكِ».

وخبَت السَّحابة واختفَت.

صفَّقت موب بيديْها المتغضِّنتيْن، وأخذَت تُهمهِم بحماسةٍ لنفسها وهي تعرج عائدةً إلى بيتها، حيث طبخَت العشاء على عجلٍ ثم دسَّت نفسها والقطَّ في الفِراش.

وفي الصَّباح لمَّا استيقظَت، تذكَّرت موب من فورها كلام الجنِّي. لم تحسَّ بأيٍّ من الأوجاع التي ابتُليَت بها كلَّ صباحٍ في الآونة الأخيرة، وبتردُّدٍ بدأت يداها تستكشفان ما تحت الغطاء الخفيف، فوجدَتا ثديْن مستديريْن متينيْن يشمخان تحت الصُّوف الخشن، وبطنًا مستويًا أملس لم يمسسه حمل الأطفال، وفخذيْن طريَّتيْن

ناعمتيْن لا تشوبهما عروقٌ زرقاء قبيحة. ثم فكَّرت في كورف، فالتفتَت لترى مخلوقًا ربَّانيًّا متمدِّدًا إلى جوارها، يُسنِد رأسه إلى يده اليُمنى ويَنظُر في عينيْها مبتسمًا.

حدَّثت نفسها: «آهِ يا ربَّة الحُبِّ! مُحارب، عملاق، رجل!»، وبابتسامةٍ على وجهها مدَّت يدها وجذبَته إليها.

واتَّسعت ابتسامة كورف، وبصوت مغنِّي سوپرانو عذب قال: «ألا تندمين الآن على أخذي إلى جرَّاح القرية من أجل العمليَّة الصَّغيرة إيَّاها؟».

جرِج تشيمبرلن (١٩٤٥-): كاتب وشاعر كندي، كتبَ كثيرًا من قصص الفانتازيا والخيال العلمي والرُّعب القصيرة، وما زالَ يَنشُر قصائده.
نُشرت القصَّة بعنوان «*Love Filter*» في مجلَّة «*Asimov's Science Fiction*» في عام ١٩٨٤.

مولود من رجل وامرأة

* ريتشرد ماثيسن *

X- هذا اليوم عندما كان فيه ضوء نعتَتني أمِّي بالمسخ. أيُّها المسخ قالت. رأيتُ في عينيْها غضب. أتساءلُ ما هو المسخ. هذا اليوم كان فيه ماء يَسقُط من فوق. سقطَ في كلِّ مكان. رأيتُ ذلك. أرض الخلفيَّة شاهدتها من النَّافذة الصَّغيرة. الأرض امتصَّت الماء كالشِّفاه العطشانة. شربَت كثيرًا جدًّا ومرضَت وأصبحَت بنيَّة سائلة. لم أحبَّ هذا. أمِّي جميلة أعلمُ. في مكان فِراشي وحوله الحوائط الباردة عندي أشياء ورقيَّة وراء الفُرن. تقول عليها **سكرينستارز**. أرى في الصُّور وجوهًا مثل أمِّي وأبي. أبي يقول إنها جميلة. مرَّة قال هذا. وقال أمِّي أيضًا. أمُّك رائعة الجمال وأنا لا بأس بي. قال انظُر إلى نفسك ولم يكن له الوجه اللَّطيف. لمستُ ذراعه وقلتُ ما عليك يا أبي. ارتجفَ وسحبَ نفسه حيث لا أستطيعُ الوصول. اليوم أخرجَتني أمِّي من السِّلسلة قليلًا لأنظر من النَّافذة الصَّغيرة. هكذا رأيتُ الماء يَسقُط من فوق.

XX- هذا اليوم كان به جودة فوق. كما أعرفُ، عندما نظرتُ إليه آلَمتني عيناي. بعد أن أنظرُ إليه القبو أحمر. أظنُّها كانت الكنيسة. يَترُكون فوق. الماكينة الكبيرة تبتلعهم ويمرُّون ويختفون. في الجزء الخلفي الأم الصَّغيرة. إنها أصغر جدًّا مني. أنا كبير. إنه سرٌّ لكني نزعتُ السِّلسلة من الجدار. يُمكنني الرُّؤية من النَّافذة الصَّغيرة كما أريدُ. في ذلك اليوم لَمَّا أظلمَ أكلتُ طعامي وبعض الحشرات. أسمعُ ضحكًا فوق. أودُّ أن أعرف لماذا هناك ضحكات. أخذتُ السِّلسلة من الجدار ولففتها حولي. مشيتُ بالصَّوت الرَّخو إلى السَّلالم. السَّلالم تصرُّ عندما أمشي عليها. أنزلقُ عليها لأني لا أمشي على السَّلالم وألتصقُ بالخشب. صعدتُ وفتحتُ بابًا. كان مكانًا أبيض. أبيض مثل الجواهر البيضاء التي تأتي من فوق أحيانًا. دخلتُ ووقفتُ بهدوء. أسمعُ الضَّحك أكثر. أمشي نحو الصَّوت وألقي نظرةً على النَّاس. ناس أكثر ممَّا حسبتُ. فكَّرتُ أن أضحك معهم. خرجَت أمِّي ودفعَت الباب. ضربَني وأوجعَني. سقطتُ على ظهري على الأرض الملساء والسِّلسلة أحدثَت صوتًا. صحتُ. أصدرَت هسيسًا فيها ووضعَت يدها على فمها. كبرَت عيناها. نظرَت إليَّ. سمعتُ أبي يُنادي. نادى ماذا سقطَ. قالت لوح الكيِّ. قالت تعالَ ساعِدني على رفعه. أتى وقال أهو ثقيل لدرجة أن تحتاجي. رآني وتضخَّم. أتى الغضب في عينيْه. ضربَني. سكبتُ قليلًا من القطرات على الأرض من ذراعي. لم يكن هذا لطيفًا. عملَ أخضرَ قبيحًا على الأرض. قال لي أبي أن أذهب إلى القبو. يجب أن أذهب. الضوء آلَمني قليلًا الآن

في عينيَّ. ليس كما في القبو. قيَّد أبي ساقيَّ وذراعيَّ. وضعَني على فِراشي. فوق سمعتُ ضحكًا وأنا ساكت أنظرُ إلى عنكبوت سوداء تتأرجَح نحوي. فكَّرتُ ما قاله أبي. ربَّاه قال. وفي الثَّامنة فقط.

XXX- هذا اليوم قبل أن يكون فيه ضوء دقَّ أبي السِّلسلة ثانيةً. يجب أن أحاول انتزاعها ثانيةً. قال إنني سيِّئ لأني أتيتُ إلى فوق. قال لا تفعل هذا مرَّة أخرى وإلَّا فسيضربني بشدَّة. هذا مؤلم. أنا أتألَّمُ. نمتُ النَّهار وأرحتُ رأسي على الجدار البارد. فكَّرتُ في المكان الأبيض فوق.

XXXX- أخرجتُ من الجدار السِّلسلة. أمِّي كانت فوق. سمعتُ ضحكات صغيرة عالية جدًّا. نظرتُ من النَّافذة. رأيتُ أناسًا صغارًا مثل الأمِّ الصَّغيرة وآباء صغارًا أيضًا. شكلهم جميل. كانوا يُصدِرون أصواتًا لطيفة ويقفزون على الأرض. سيقانهم تتحرَّك بقوَّة. إنهم مثل أمِّي وأبي. أمِّي تقول إنَّ النَّاس السُّلماء يبدون مثلهم. أحد الآباء الصِّغار رآني. أشارَ إلى النَّافذة. تركتُ النَّافذة وانزلقتُ في الظَّلام. انكمشتُ على نفسي فلا يروونني. سمعتُ كلامهم عند النَّافذة والأقدام تجري. فوق سمعتُ بابًا يُضرَب. سمعتُ الأمَّ الصَّغيرة تُنادي فوق. سمعتُ خُطوات ثقيلة وهرعتُ إلى مكان فِراشي. دققتُ السِّلسلة في الجدار وتمدَّدتُ على واجهتي. سمعتُ أمِّي تنزل. قالت هل ذهبت عند النَّافذة. سمعتُ الغضب. لا تقترب من النَّافذة. لقد انتزعت السِّلسلة ثانيةً. أخذَت العصا وضربَتني بها. لم أبكِ. لا يُمكنني ذلك. لكن القطرات سالَت على

كلِّ الفِراش. رأتها وتراجعَت وأطلقَت صوتًا. قالت ربَّاه ربَّاه لماذا فعلت هذا بي؟ سمعتُ العصا ترتطم بالأرض الحجريَّة. جرَت إلى فوق. نمتُ النَّهار.

XXXXX- هذا اليوم كان فيه ماء مرَّة أخرى. عندما كانت أمِّي فوق سمعتُ الصَّغيرة تنزل السَّلالم ببُطء. أخفيتُ نفسي في صندوق الفحم لأن أمِّي سيكون عندها غضب إذا رأتني الأم الصَّغيرة. كان معها شيء صغير حي. مشى على ذراعيْه وله أذنان مدبَّبتان. قالت له أشياء. لا مشكلة لكن الشَّيء الحي شمَّني. جرى على الفحم ونظرَ إليَّ. انتصبَ شعره. في الحلق أصدرَ صوتًا غاضبًا. هسهستُ لكنه قفزَ عليَّ. لم أرِد أن أؤذيه. حدثَ لي الخوف لأنه عضَّني أقوى من الجرذ. تألَّمتُ والأم الصَّغيرة صرخَت. أمسكتُ الشَّيء الحي بقوَّة. أخرجَ أصواتًا لم أسمعها من قبل. ضغطته كلَّه في نفسه. كان متكتِّلًا وأحمر على الفحم الأسود. اختبأتُ هناك عندما نادَت أمِّي. خفتُ من العصا. غادرَت. زحفتُ فوق الفحم بالشَّيء. خبَّأته تحت وسادتي واسترحتُ فوقه. وضعتُ السِّلسلة في الجدار ثانيةً.

X- هذا أوقات آخَر. أبي قيَّدني بالسِّلسلة جيِّدًا. تألَّمتُ لأنه ضربَني. هذه المرَّة ضربتُ العصا من يده وأصدرتُ أصواتًا. ذهبَ وكان وجهه أبيض. هرعَ من مكان فِراشي وأوصدَ الباب. لستُ مسرورًا. طول اليوم برد هنا. السِّلسلة تَخرُج ببُطء من الجدار. وأنا عندي غضب سيِّئ من أمِّي وأبي. سأريهما. سأفعلُ ما فعلته من قبل. سأصرخُ وأضحكُ بصوت عالٍ. سأجري على الجُدران.

أخيرًا سأتدلَّى ورأسي إلى أسفل من سيقاني كلِّها وأضحكُ وتسيل مني قطرات الأخضر على كلِّ شيء إلى أن يندما أنهما لم يكونا لطيفيْن معي. إذا حاوَلا ضربي ثانيةً فسأؤذيهما. سأفعلُ.

ريتشرد ماثيسن (١٩٢٦-٢٠١٣)، كاتب خيال علمي ورُعب وفانتازيا أمريكي، من أهم أعماله «أنا أسطورة» و«منزل الجحيم» و«نزال».
نُشرت القصَّة بعنوان «*Born of Man and Woman*» في مجلَّة «*The Magazine of Science Fiction and Fantasy*» في عام ١٩٥٠.

حمراء كالدَّم وأبيض كالعظم

* ثيودورا جوس *

أنا يتيمة.

وُلِدتُ بين هذه الجبال لحطَّابٍ وزوجته. ماتَت أمِّي على فِراش الوضع، ومعها ماتَت أختي الوليدة، ولَمَّا شعرَ أبي أنه لن يستطيع الاحتفاظ بي أرسلَني إلى راهبات سانت مارجريت المقيمات في ديرٍ أقرب من بيتنا إلى سفح الجبل الذي عشنا فوقه، جبل كارهجي، وهناك رُبِّيتُ مع الرَّاهبات على الخُبز البنِّي والماء والصَّلوات.

طريقةٌ لا بأس بها لبدء حكايةٍ خُرافيَّة، أليس كذلك؟

في سنِّ الثَّانية عشرة أُرسِلتُ إلى دار البارون أورسو كالمان -الذي أُعدِمَ ابنه لاحقًا بتُهمة الخيانة- لأتدرَّب على العمل خادمةً. بدأتُ في المطبخ، أنظِّفُ القدور والمقالي بفُرشة، وأنظِّفُ الأرضيَّة على يديَّ ورُكبتيَّ بفُرشةٍ أكبر. اتَّسمت الطَّاهية الألمانيَّة جرِتا بحدَّة الطِّباع، وكذلك عاملة المطبخ الأولى آجنِتا التي أتَت من كاربرج، المدينة الكبيرة عند سفح جبل كارهجي... أو إنها بدَت كبيرةً على

الأقل للفتاة الرِّيفيَّة السَّاذجة التي كنتُها آنذاك. عُيِّنتُ عاملة مطبخٍ ثانيةً، ونمتُ على حشيَّة قشٍّ في حُجرةٍ صغيرة استُخدمَت قبل ذلك لحفظ المؤن على الأرجح، بها نافذةٌ صغيرة عالية. استحمَمتُ مرَّتيْن في الأسبوع بعد آجنِتا في مياه حمَّامها التي وجدتها بردَت دائمًا لمَّا حانَ دوري، وإضافةً إلى الطَّعام الماسخ الذي نلناه نحن الخدم، أُعطيتُ بقايا مائدة البارون بعد انتقاء جرِتا وآجنِتا أفضل الأصناف، وهكذا ذقتُ للمرَّة الأولى كعك الشُّكولاتة والسُّجق والبيرة. وأُعطيتُ أيضًا فُستانيْن لي وحدي. ألا يبدو هذا كثيرًا؟ إنه أكثر ممَّا نلتُ في الدَّير، وعددتُ نفسي محظوظةً!

علَّمتني القراءة الرَّاهبات، ولم أفضِّل قراءة شيءٍ على كتابٍ للحكايات الخُرافيَّة. طبعًا لم تُعطِني الرَّاهبات شيئًا كهذا، بل أعطانيه هديَّةً شابٌّ نزلَ وقتًا في دار الضِّيافة بالدَّير. كنتُ في العاشرة في ذلك الحين، وأحد واجباتي رعاية قطيع المواعز، إذ اشتهرَت الرَّاهبات بجُبنة حليب المواعز، وهكذا تعلَّق كثيرٌ من أشغالنا بالمواعز والعناية بها وإطعامها. مرَّاتٍ عديدةً قابلتُ ذلك الرَّجل في المراعي الجبليَّة (أقولُ رجل، ولكن مؤكَّد أنه كان شابًّا حديث التَّخرُّج في الجامعة، وإن بدا لي كبيرًا للغاية) وأنا أسوقُ المواعز ويتجوَّل هو بساقيْن طويلتيْن، في يده عصا مشيٍ وفوق رأسه قبَّعة من القشِّ. دائمًا توقَّف ليُكلِّمني، وبمنتهى التَّهذيب كأنه يُخاطِب سيِّدةً شابَّةً ذات حسبٍ ونسب.

في يومٍ قال لي: «تُذكِّرينني بأميرةٍ متنكِّرة يا كلارا، هنا وأنتِ

بين مواعزكِ»، وحين أخبرته أنني لا أدري ما يعنيه، رمقَني بدهشةٍ قائلًا: «ألم تقرئي أيَّ حكاياتٍ خُرافيَّة من قبل؟». نعم طبعًا، لم أقرأ إلَّا الكتاب المقدَّس وكُتيِّب تعليم القراءة. قبل أن يُغادِر الدَّير أعطاني الرَّجل كتابًا للحكايات الخُرافيَّة، صغيرًا لكن رسومه رائعة الجمال، وقال: «صغيرٌ بما يكفي لتُخبِّئيه تحت حشيَّتكِ. لا تدعي الرَّاهبات يرينه وإلَّا أخذنَه منكِ حاسباتٍ أنه سيُفسِدكِ. لكنه لن يُفسِدكِ. الحكايات الخُرافيَّة نوعٌ آخَر من الكُتب المقدَّسة، لمَن يعرفون كيف يقرؤونها».

بعد سنواتٍ رأيتُ اسمه مرَّةً أخرى في واجهة مكتبة، وأدركتُ أنه صارَ شاعرًا شهيرًا. حدثَ ذلك بعد موته. لقد ماتَ في الحرب ككثيرين جدًّا من شُبَّاننا.

اتَّبعتُ تعليماته، فخبَّأتُ الكتاب تحت حشيَّتي ولم أُخرجه إلَّا في غياب أيِّ أحدٍ يُمكن أن يراني. صعبَ عليَّ هذا في الدَّير، حيث نمتُ في غُرفةٍ مع ثلاث فتياتٍ أخريات، لكنني وجدته أسهل في قلعة البارون، حيث نمتُ بمفردي في حُجرةٍ لم يُرِدها أحدٌ ولو لتخزين اللِّفت. وحقًّا أصبحَ الكتاب كتابًا مقدَّسًا عندي، دليلًا أنجع من ذلك الكتاب المقدَّس الآخَر الذي كتبَه الله نفسه كما علَّمتنا الرَّاهبات، لأنني لم أعرف شيئًا عن بني إسرائيل أو بناء الأهرامات أو شقِّ البحر، لكنني عرفتُ أشياء كثيرةً عن الفتيات اللاتي يُنظِّفن الأرضيَّات ويُوسِّخهن السُّخام من نومهن قُرب المستوقد، والأسماك التي تُلبِّي للمرء الأماني (ولو أنَّ واحدةً لم

تُلَبَّ لي قَطُّ)، وأليست طاهيتنا جرِتا غولةً؟ أنا واثقةٌ بذلك. عددتُ الحكايات الخُرافيَّة أدلَّةً منزَّهةً إلى الحياة، ولذا لم أشتكِ من العمل الشَّاق الذي كُلِّفتُ به، فعلِّي ألتقي يومًا ما امرأةً عجوزًا في الغابة تُخبِرني أنني أميرةٌ متنكِّرة. علِّي.

اليوم الذي وصلَت فيه حفَّه البرد والظَّلام. قبل أسبوعٍ بدأت الأمطار تنهمر، وانصبَّ الماء من السَّماء مدرارًا كأنَّما ليُغرِقنا جميعًا، ولم يتوقَّف. جلستُ في المطبخ أقشِّرُ البطاطس، في حين ذهبَت جرِتا وآجنِتا للقاء مدبِّرة المنزل الفراو هوفمان بشأن حفلٍ سيُقام خلال ثلاثة أيَّام، احتفالًا بخطبة ڤادك نجل البارون وابنة جنرال شهير قاتلَ في سبيل إمبراطور النمسا-المجر في الحرب الأخيرة. أقامَ الأمير رادومير نفسه في قلعة البارون، وخرجَ للصَّيد مع ڤادك كالمان في الغابة التي تُغطِّي جبل كارهجي حتى بدأ ما وصفَته جرِتا بالمطر الدَّنِس. أخبرَتني آجنِتا أنهما كانا زميلَي دراسة، فاستغربتُ أنَّ أميرًا ذهبَ إلى المدرسة، ففي حكاياتي لا يفعل الأمراء ذلك أبدًا. ما حاجة أميرٍ إلى التَّعليم لو أنَّ غايته في الحياة إنقاذ العذراوات الحسناوات من التِّنانين التي تَحرُسهن، ومقاتلة الغيلان، وركوب بُسط تُحلِّق في الهواء كالطَّائرات؟ حتى ذلك الحين لم أرَ في حياتي قَطُّ بساطًا طائرًا أو طائرةً، وعليه عددتُ الاثنيْن وسيلة نقلٍ أسطوريَّةً. في اليوم السَّابق أدركتُ لمحةً من ابنة الجنرال عند وصولها مع أبيها ووصيفتها، ورأيتُ أنها ذهبيَّة الشَّعر، وتبدو كدُميةٍ من البورسلين تحت قبَّعتها التي أخبرَتني آجنِتا لاحقًا أنها من پاريس. هكذا قالت الوصيفة للفراو

هوفمان، التي أخبرَت جرِتا، وتدرَّج تسرُّب الخبر حتى بلغَني. على أنني فكَّرتُ أنَّ قبَّعةً من باريس تُشبِه أيَّ قبَّعةٍ أخرى، ولم أهتمَّ بابنة الجنرال، فهي لم تنتعل حذاءً من الزُّجاج، ووجدتُ نفسي على ثقةٍ تامَّة بأنها لا تستطيع غزل القشِّ محيلةً إيَّاه إلى ذهب، فما جدواها إذًا؟

كما قلتُ، جلستُ في المطبخ بجوار المستوقد الحجريِّ الكبير، أقشِّرُ البطاطس بجانب نارٍ عليَّ أن أبقيها مشتعلةً لكي يُشوى عليها اللَّحم لاحقًا، وقد أظلمَ المطبخ من جرَّاء العاصفة بالخارج، وتناهَت إلى سمعي نقرات المطر الثَّابتة على النَّافذة وطقطقة الحطب في النَّار. فجأةً سمعتُ *طَق طَق طَق* على الباب الذي يقود إلى حديقة المطبخ. مَن الطَّارق يا تُرى؟ للحظةٍ استحضرَ عقلي صُورًا من كتابي: ساحرة بتُفَّاحةٍ مسمومة، أو الموت نفسه. ثم أدركتُ أنه بالتَّأكيد يوسف مساعد البُستاني، فعادةً يَطرُق هذا الباب حينما يجلب البازلَّاء أو الهليون من الحديقة ويُحمِلق إلى آجنِتا بعينيْن ولهانتيْن.

صحتُ: «لحظة!»، ووضعتُ البطاطس التي أقشِّرها تاركةً السكِّين مغروزًا في ثمرةٍ قُرب قمَّة السلَّة لأجده ثانيةً بسهولة، ثم ذهبتُ إلى الباب.

عندما فتحته سقطَ شيء ما مستندٌ إليه إلى الدَّاخل. لم أميِّز ماهيته في البداية، لكنه تأوَّه وانقلبَ، ورأيتُ أنه امرأةٌ في معطفٍ أسود طويل. ارتمَت منهارةً على أرضيَّة المطبخ، عاريةً تحت معطفها، تَبرُق ساقاها البيضاوان في ضوء النَّار، وعلى الأرض بجوارها سقطَت صُرَّة. فكَّرتُ: *شحَّاذة. لا بُدَّ أنها سقيمة من شدَّة الجوع.*

رغم قسوتها عليَّ، لطالما أشفقَت جرِتا على المتسوِّلات اللائي طرَقن بابنا، معظمهن من أرامل الحرب، واعتادَت أن تُعطي كلًّا منهن كِسرةً من الخُبز ووعاءً من الحساء، وربَّما قطعةً من بواقي اللَّحم. لكن جرِتا ليست هنا، وأنا لا أملكُ مجرَّد سُلطة إطعام نفسي، ناهيني بامرأةٍ هامَت إلى هنا في البرد والبلل.

ولكن ها هي ذي، وحريٌّ بي أن أفعل شيئًا.

انحنيتُ وهززتها من كتفيْها، فانقلبَت على ظهرها واستطعتُ رؤية وجهها للمرَّة الأولى. ليس ما ترتديه معطفًا، بل شعرها الأسود الذي يُغطِّيها حتى الرُّكبتيْن تاركًا ذراعيْها البيضاويْن مكشوفتيْن. أمَّا وجهها... وجهها مسألة مختلفة تمامًا، ينتمي رغم كلِّ شيءٍ إلى مجال خبرتي، فرغم أني لم أعرف شيئًا بالمرَّة عن أرامل الحرب، فقد عرفتُ كثيرًا جدًّا عن الأميرات الضَّائعات، وها هي ذي واحدةٌ أخيرًا، وأخيرًا يَحدُث شيء غير تقليديٍّ في حياتي. لقد قضيتُ وقتًا طويلًا في انتظار هذا، انتظار إقرارٍ بأني جزء من القصَّة. لستُ واحدةً من الشَّخصيَّات الرَّئيسيَّة طبعًا، ولكن شخصيَّة مساعدة ربَّما: المُرافق الذي يسحب حصان الأمير، الخادمة التي تُمشِّط شعر الأميرة مئة مرَّةٍ في اللَّيلة. والآن حطَّت القصَّة أمامي مرتطمةً بأرضيَّة المطبخ.

ولكن ماذا يفعل المرء بأميرةٍ ضائعة وهي مرتمية على أرضيَّة المطبخ؟ لا أستطيعُ رفعها، فأنا طفلة وهي امرأة بالغة، ولو أنها ليست كبيرة الحجم، بل تتمتَّع برقَّةٍ فكَّرتُ أنها تليق بالأميرات.

ولا أستطيعُ رشَّها بالماء، فهو يُغرِقها بالفعل. في أيِّ لحظةٍ ستعود جرِتا أو آجنِتا وتتولَّى مسؤوليَّة أميرتي (فهكذا عددتُها بالفعل). في النِّهاية لجأتُ إلى صفع وجنتيْها حتى فتحَت عينيْها العميقتيْن الدَّاكنتيْن مثل بِرك الغابة.

قلتُ لها: «تعالي معي يا سموَّ الأميرة. سأساعدكِ على الاختباء»، فنهضَت متعثِّرةً بضع مرَّاتٍ حتى ظننتها ستَسقُط، لكنها تبعَتني إلى المكان الوحيد الذي عرفتُ أنَّ بإمكاني أن أخفيها فيه: حُجرتي الصَّغيرة.

غمغمَت: «أين...». أوَّل كلمةٍ تقولها لي وهي تتلفَّت حولها كأنها تبحث متخوِّفةً متوجِّسةً. عدتُ إلى المطبخ وجلبتُ صُرَّتها الغارقة بالماء أيضًا، ولمَّا ناولتها إيَّاها قبضَت عليها وضمَّتها إلى صدرها.

قلتُ: «أعرف ماذا تكونين».

- «ماذا... أكونُ؟ وما هذا؟». خرجَ صوتها خفيضًا تشوبه لُكنة. ليست ألمانيَّةً كالفراو هوفمان، ولا فرنسيَّةً كالمدام فرانسين التي تُصفِّف شعر البارونة. لم أسمع لُكنتها هذه من قبل في حياتي القصيرة.
- «أنتِ أميرة متنكِّرة». على الرغم من عُريها أعلنَ مُحيَّاها الشَّاحب الرَّقيق وعيناها الدَّاكنتان الكبيرتان وحركاتها الرَّشيقة كنهها، وقد رأيتُ أنا التي قرأتُ الحكايات العلامات

بوضوح. «هل أتيتِ من أجل الحفل؟». أردتُ أن أسألها: *من أيِّ بلدٍ أتيتِ؟ أين يَحكُم والدكِ؟* ولكن لربَّما عُدَّ سؤالي وقاحةً، وقد لا يليق أن يُلقي المرء أسئلةً كهذه على الأميرات.

أجابَت: «نعم... نعم، طبعًا. ولِمَ آتي بخلاف هذا؟».

أعطيتها قميص نومي لترتديه، فوصلَ إلى قصبتَي ساقيْها لا أكثر، لكنه باستثناء ذلك ناسبَها كفايةً بسبب نحافتها الشَّديدة. أحضرتُ لها عشاءً، عشائي، إلَّا أنَّ الإثارة حالَت دون شعوري بالجوع. أكلَت لحم الدَّجاج بعد إزالة العظم (بأناقةٍ كما تخيَّلتُ طريقة أكل الأميرات)، ولم تأكل البطاطس أو الكرنب. خطرَ لي أنهما صنفان تقليديَّان للغاية في نظرها، فأتيتُ عليهما بنفسي.

سمعتُ صوتَي جرِتا وآجنِتا في المطبخ، فخرجتُ لأفرغ من تقشير البطاطس، ووبَّختني آجنِتا لأنني تركتُ النَّار تَخمُد. لم يزَل عليَّ شواء اللَّحم لأجل عشاء البارون، في حين أعدَّت جرِتا حساء الكَريمة وتبَّلت آجنِتا سلطة الخيار، وبعد ذلك تبقَّى غسل الآنية والقدور وتنظيف الأرضيَّة المسودَّة. طوال الوقت ابتسمتُ لنفسي، ففي حُجرتي أميرة.

فرغتُ من كنس الأرضيَّة الحجريَّة التي ترجع إلى عصر الرومان، فيما راحَت جرِتا تتكلَّم عمَّا يلزمنا للتَّحضير للحفل، وكم امرأةً من القرية ستستأجر للمساعدة في الطَّهو والخبز ليلتها. وابتسمتُ أنا لأن لديَّ سرًّا: أميرتي ستحضر الحفلة، ولن تعرف جرِتا أو آجنِتا.

عندما رجعتُ إلى حُجرتي وجدتُ الأميرة غائبةً في النَّوم على فِراشي، تحت دثاري الصُّوف القديم مهترئ الحافات. استعددتُ للنَّوم على الأرض، لكنها فتحَت عينيْها وقالت رافعةً الدِّثار: «تعالي أيَّتها الصَّغيرة»، فدخلتُ تحت الغطاء وتمدَّدتُ إلى جوارها. أحسستُ بجسدها دافئًا، وتكوَّرت هي حولي واضعةً ذقنها على كتفي، وهذه أكثر مرَّةٍ شعرتُ فيها بالدِّفء والرَّاحة على الإطلاق، ونمتُ بعُمق ليلتها.

في الصَّباح التَّالي صحوتُ لأجدها سبقَتني إلى الاستيقاظ وارتدَت فُستاني الآخَر.

قالت: «اليوم يجب أن تُريني القلعة يا كلارا». هل سمعَت جرِتا أو آجنِتا تُناديني باسمي البارحة؟ الباب ليس سميكًا. لم تُخبِرني الأميرة باسمها، ولم أكن بالنَّزق الكافي لسؤالها.

- «لكن إذا قُبِضَ علينا فسنقع في ورطةٍ كبيرة!».

- «يجب إذًا ألَّا يُقبَض علينا». قالتها وابتسمَت، ابتسامتها لطيفة، لكن فيها أيضًا شيئًا من الخجل والجموح لم أفهمه. كأن القمر يبتسم، أو زهرة.

قلتُ: «ليكن»، وفتحتُ باب الحُجرة بحذر. إنه الفجر، والضَّوء بدأ لتوِّه يَسقُط على أحجار المطبخ، على الأرض والمستوقد الكبير. بمعجزةٍ ما انقطعَ المطر خلال اللَّيل، وجرِتا وآجنِتا... أين هما؟ على الأرجح ما زالَت جرِتا تغطُّ تحت قبَّعة نومها، إذ لم تعتَد

الاستيقاظ لإعداد الفطور إلَّا بعدي بساعة. أمَّا آجنِتا التي تستيقظ دائمًا مع مطلع الفجر فخرجَت غالبًا لإحضار البيض والخضراوات من يوسف. أحبَّت آجنِتا أن تأخذ وقتها وتُدخِّن سيجارةً في الحديقة، فليس مسموحًا لأيٍّ من الخادمات بالتَّدخين داخل القلعة. أمامي أعمالي الصَّباحيَّة، فعليَّ تقشير مزيدٍ من البطاطس للفطور، وبمجرَّد أن تعود آجنِتا يجب أن أساعدها في عمل المايونيز.

ولكن متى ستسنح فُرصة مماثلة؟ البارون وضيوفه لن يصحوا قبل ساعات، ومعظم الخدم لم يستيقظوا بعدُ. أدنانا فقط، عاملات المطبخ وماسحة الأحذية، مفروضٌ عليهن الاستيقاظ فجرًا.

قلتُ لأميرتي: «من هنا»، وقُدتها من المطبخ إلى أروقة القلعة الشَّبيهة بمتاهةٍ عظيمة. مرعوبةً من احتمال القبض علينا، ومع ذلك مأخوذة بالمخاطرة التي أقدمنا عليها، أريتها البهو الأماميَّ حيث شعار نبالة عائلة كالمان المرسوم على السَّقف، ثم قاعة الاستقبال حيث حدَّقت إلينا صُور آل كالمان وخيولهم باستنكار، ولم تقلَّ الخيول استنكارًا عن سادتها. ثم فتحتُ باب المكتبة التي اعتبرتها الغُرفة الأشد سحرًا في المنزل كلِّه... طابقان من كُتبٍ لن يُسمَح لي بقراءتها أبدًا، وسلالم ملولبة تصعد إلى الشُّرفة المحيطة بالطَّابق الثَّاني.

نظرنا من النَّوافذ إلى الحديقة فرنسيَّة الطِّراز ذات الأنماط المتناظرة والطُّرقات المنتظمة والأسوجة المشذَّبة بعناية، وسألتها: «أليست قلعةً عظيمةً؟».

ردَّت: «ليست بعظمة منزلي»، فتذكَّرتُ أنها أميرة، وغالبًا لها قلعة أعظم مرارًا من قلعة بارون.

أخيرًا أريتها قاعة الحفلات بسقفها المرسوم ليُحاكي سماءً يحتلُّها آلهةٌ وإلهات من العصور الوثنيَّة بدرجاتٍ مختلفة من العُري، يَنظُرون إلى الرَّاقصين بالأسفل. «هنا ستَرقُصين مع الأمير رادومير».

- «بالتَّأكيد. رأيتُ ما يكفي يا كلارا. فلنرجع إلى المطبخ قبل أن تقعي في مشكلة».

بينما تسلَّلنا عائدتيْن إلى المطبخ عبر رُواقٍ طويل، سمعنا صوتيْن يتكلَّمان في إحدى الحُجرات، وما إن سمعَتهما الأميرة حتى مدَّت يدها لأتوقَّف، وبخفَّةٍ دنَت من الباب الموارب. من الفتحة رأيتُ ما بدا أنه غُرفة جلوسٍ مريحة، في مدفأتها نارٌ هادئة، وعلى الأريكة يستلقي رجلٌ رافعًا قدميْه. تحرَّكتُ بضع بوصاتٍ لأرى وجهه، وميَّزتُ ڤادك كالمان.

قال رجلٌ آخَر جالس حيث لا أستطيعُ رؤيته: «سنفتقدك في كارلشتاد. لن تعود بعد الزِّفاف، أليس كذلك؟».

هل استيقظا مبكِّرًا؟ لا، ما زالَ ابن البارون يرتدي ثيابه المسائيَّة. لقد سهرا طوال اللَّيل، يشربان حسبما تشي الرَّائحة، يشربان بإفراط.

قال ڤادك: «ولِمَ لا أعودُ؟ سأتزوَّجُ لكنني لن أترهبَن، وأنوي الحفاظ على حياتي الاجتماعيَّة. أتتخيَّل أن أبقى هنا في هذا المكان

البائس فيما يعيش بقيَّتكم حياتهم من غيري؟ لأماتَني ذلك مللًا يا رادومير». يُكلِّم الأمير إذًا. تحرَّكتُ قليلًا لأحاول رؤيته، فحتى الآن لم ألمحه إطلاقًا، فأنا مجرَّد عاملة مطبخٍ رغم كلِّ شيء. ما شكله؟

- «وإذا اعترضَت زوجتك؟ لست تعرف بعدُ... لعلَّها سريعة الغضب».

- «لستُ أعرفُ شيئًا واحدًا عنها. لم تُوجِّه إليَّ كلمتيْن منذ وصولها. إنها كالفأر المذعور، تفعل كلَّ ما يُمليه عليها والدها الجنرال، تمامًا مثلما حدثَ في ڤيينا. كما أقولُ لك، الأمر بأكمله رتَّبه والدها ووالدي. المفترَض أنه تحالُف عظيم. تحالُف عظيم. ما أسخفه من تعبير...».

سمعتُ زُجاجًا ينكسِر، و«اللَّعنة على كلِّ شيء»، ثم ضحكًا. وقفَت الأميرة بثباتٍ تام بجواري، بالكاد تتنفَّس.

- «يظنُّ إذًا أن حربًا أخرى ستقوم؟».

- «ألا تظنُّ أنت ذلك؟ ستكون ألمانيا هذه المرَّة، ووالدي يُريد أن يضمن لنا صلاتٍ بالطَّرف الصَّحيح، الطَّرف الرَّابح».

ردَّ الأمير: «تقصد الطَّرف الرايخ، إه؟»، وسمعتهما يضحكان ثانيةً، ولم أفهم ما الطَّريف في ما قيلَ. «ليت والدي يفهم هذا. إنه لا يُريد العمل مع الألمان، وكارل يُوافِقه... تعلم كيف يتحوَّل أخي إلى وغدٍ مُراءٍ أحيانًا. قلتُ له عليك أن تعمل معهم وإلَّا عملوا هُم معك، وعليك».

قال ڤادك: «ما دُمت ستتكلَّم في السِّياسة فسأذهبُ لأنام. إنني أنالُ كفايتي منها من والدي. يبدو أنَّ المطر توقَّف أخيرًا. هل نذهب لنتمشَّى في الغابة في وقتٍ لاحق؟ ما زالَ الذِّئب الآخَر هناك».

- «أواثقٌ بأنك رأيته؟».

- «طبعًا واثق. تحت الشَّجر، بين الظِّلال. أكادُ أقسمُ أنني رأيته يُراقِبك. على كلِّ حال، العُمدة قال إنَّ ذئبيْن شُوهِدا في الغابة، زوجيْن صيَّاديْن. الأهالي يُبقون أطفالهم داخل المنازل تحسُّبًا لاقترابهما من القرية. أتعرف ماذا قال لي حين أخبرته أنك أرديت أحدهما؟ *قتلُ ذئاب كارهجي السَّوداء فألٌ سيِّئ*. قلتُ له إنَّ الأحرى به أن يمتنَّ، إنك على الأرجح أنقذت حياة أحد أطفال القرية التُّعساء، لكنه هزَّ رأسه فحسب. فلَّاح متطيِّر».

- «المرَّة التَّالية ذكِّره أنه يُمكن أن يُوضَع في السِّجن لانتقاده وليَّ العهد. ستختلف الأوضاع في هذا البلد حينما أصبحُ ملكًا يا ڤادك، أؤكِّدُ لك».

وسمعتُ ضحكة امتنان.

- «وماذا ستفعل بالفروة؟ إنها ممتازة فعلًا... هكذا قالَ الدبَّاغ عندما أوصلَها».

- «ستُوضَع على أرضيَّة مكتبي على أحد جانبَي منضدتي. سأحتاجُ إلى واحدةٍ أخرى لأجل الجانب الآخَر. نعم،

لنذهب لصيد الذِّئب الآخَر... لو أنَّ له وجودًا كما تقول».

ثم سحبَتني الأميرة وابتعَدنا.

لم أحبَّ هذا الأمير الذي يتحدَّث متندِّرًا عن قتل الذِّئاب السَّوداء. إنني ابنة كارهجي، نشأتُ على قصص الذِّئاب السَّوداء كاللَّيل التي لا تعيش في أيِّ مكانٍ آخَر في أوربا، وأخبرَتني الرَّاهبات أنها تنتمي إلى الشَّيطان الذي يُلاحِق أيَّ بشريٍّ يُؤذيها. على أنَّ صديقي الشَّاعر أخبرَني أنها سُلالة قديمة سكنَت الجبال قبل مجيء الرومان بزمنٍ طويل وقبل أن يَطرُدهم مورِك قائدًا بني جلدته على أفراسهم القزمة القويَّة وفارضًا سيطرته على أراضي سلڤانيا.

لِمَ تُريد أميرتي أن تتزوَّجه؟ إنَّما هذا منطق الحكايات الخُرافيَّة رغم كلِّ شيء: الأميرة تتزوَّج الأمير. قد لا يَجدُر بي إذًا أن أشكِّك فيه مثلما لا أشكِّكُ في الإرادة الإلهيَّة.

قادَتني الأميرة عائدةً عبر الأروقة، وواضحٌ أنها ألَمَّت بالطَّريق أفضل ممَّا ألممتُ به عن نفسي. تبعتها إلى المطبخ آملةً أن جرِتا لا تزال نائمةً... ولكن لا، ها هي ذي واقفةٌ هناك وقد استيقظَت مبكِّرًا لتُجهِّز فطورًا خاصًّا للبارونة المقبلة، تُمسِك مرقاق عجينٍ وتُخاطِبني بعبوسٍ قائلةً: «أين ذهبتِ يا كلارا؟ ومَن سمحَ لكِ بالتَّسكُّع؟ انظُري، البطاطس لم تُقشَّر بعدُ. أريدها لعمل الپانكيك، وما زالَ عليكِ سلقها وهرسها. مَن هذه بحقِّ الشَّيطان؟».

نظرتُ إلى أميرتي خائفةً لا أدري ماذا أقولُ، إلَّا أنها انحنَت بكلِّ رشاقةٍ وقالت: «أتيتُ من القرية يا سيِّدتي. الأب إلڤان قال لي إنك محتاجةٌ إلى مساعدةٍ في المطبخ للتَّجهيز للحفل».

رمقَتها جرِتا بارتياب، وأدركتُ فيمَ تُفكِّر... هذه المرأة الصَّغيرة بشعرها الفاحم الطَّويل واللُّكنة في صوتها، أهي سلاڤيَّة؟ غجريَّة؟ قسُّ القرية معروفٌ بورعه، وبالمثل بنزوعه إلى الثِّقة بأشد النَّاس طلحًا، وعلى حدٍّ سواءٍ يُعامِل الباعة المتجوِّلين واللُّصوص بكرم.

لكنها أومأت برأسها، وقالت: «حسن. أربع أيدٍ أسرع من اثنتيْن. قشِّرا هذه البطاطس».

في ذلك الصَّباح قشَّرنا وسلقنا وهرسنا، وخفقنا البيض حتى أوجعَتنا أذرُعنا، وغمرنا اللَّوز في الماء المغلي. فيما انشغلَت جرِتا مع الفراو هوفمان، وانهمكَت آجنِتا في النَّميمة مع يوسف، سألتُ أميرتي عن بلدها: من أين أتَت؟ وما طبيعته؟ قالت إنه ليس بعيدًا، وجميلٌ مثل سلڤانيا، ونعم، يتحدَّثون لُغةً أخرى هناك. «تحدُّث لُغتكم صعبٌ عليَّ أيَّتها الصَّغيرة». كنا نطحن اللَّوز لأجل حلوى المرصبان.

سألتها: «هل تحكون قصصًا هناك؟».

- «طبعًا. القصص في كلِّ مكان، والكلُّ يحكيها. لكن قصصنا قد تختلف عن قصصكم. عندنا قصصٌ عن

امرأة الغابة العجوز التي تُلبِّي لك مُنية قلبكِ إذا سألتِها بالطَّريقة السَّليمة، والسيِّدات الحسناوات اللاتي يعشن فوق الأشجار، والوعل الأبيض الذي يُمكن أن يُضلِّلك أو يُرشِدك إلى الوطن...».

أردتُ أن أسمع تلك القصص، غير أنَّ آجنِتا دخلَت ولم نستطِع مواصلة الكلام عن الأشياء التي تهمُّني دون أن تسمعنا هي أو جرِتا. لدى فروغنا من العمل بعد العشاء بوقتٍ طويل كنتُ متعبةً إلى درجة أنني ارتميتُ على الفِراش بثيابي. محاولةً أن أبقى مستيقظةً رغم أنَّ عينيَّ ظلَّتا تُحاوِلان الانغلاق، شاهدتُ أميرتي تجذب الصُّرَّة التي جلبَتها معها من الرُّكن الذي وضعتها فيه. حلَّتها، ومنها سقطَ شيء أسود طويل... أهو فُستان؟ نعم، فُستان أسود كاللَّيل، يصل إلى الأرض، واضحٌ أنه فُستان حفلات، وقد رُبِطَ بكُمَّيْه. وقعَ منه شيء لامعٌ برَّاق على الأرض، واعتدلتُ أجلسُ منتبهةً راغبةً في الرُّؤية بمزيدٍ من الوضوح.

التفتَت وأرَتني ما وقعَ: قلادة من الخرز الأحمر، لكلِّ خرزةٍ عدَّة وجوهٍ تعكس ضوء مصباح حُجرتي العاري الوحيد.

سألَتني: «هل تُعجِبك؟».

- «إنها... ما هذه؟». لم أرَ قَطُّ جواهر كهذه، ولو أنني قرأتُ عن أحجارٍ كريمة خلَّابة في كتاب الحكايات الخُرافيَّة. كلٌّ من هذه الخرزات بحجم بيضة طائر طنَّان، وحمراء كالدَّم،

ويبدو كأن في مركز كلٍّ منها نجمةً. فردَت الأميرة الفُستان على فِراشي، ومددتُ يدي أتحسَّسه خلسةً. أنعم مخملٍ يُمكن أن يتخيَّله إنسان. ثم وضعَت الأميرة القلادة حول عُنقها، ويا لتنافُرها مع الفُستان المرقَّع الذي ترتديه... فُستاني الأفضل الثَّاني.

- «مهلًا. أين...». نظرَت إلى الأرض حيث سقطَت القلادة، ثم ركعَت على رُكبتيْها ونظرَت تحت الفِراش، ثم فتَّشت بهياجٍ بين طيَّات الفُستان. «آه، وجدته! كان عالقًا بالعُروة». أرَتني مشطًا كبيرًا من النَّوع الذي استخدمَته النِّساء لتثبيت شعرهن في القرن الماضي، وسألَتني: «هلَّا ثبَّتِّ شعري يا كلارا؟»، فأومأتُ برأسي إيجابًا، وفيما جلسَت على حافة فِراشي مشَّطتُ شعرها بشيءٍ من الخرَق ولكن بالطَّريقة التي رأيتُ البارونة تستخدمها مع شعرها الطَّويل أيضًا، وليس مقصوصًا أو مدرَّجًا. في النِّهاية غرزتُ المشط الأبيض كالعظم في شعرها... إنه مصنوعٌ من العظم على الأرجح، وعليه نقوشٌ منمَّقة، وأسنانه طويلةٌ بما يكفي لتثبيت الشَّعر.

سألتها: «أتودِّين النَّظر في مرآة؟»، ورفعتُ لها مرآة حلاقةٍ عثرتُ عليها ذات صباحٍ فوق كومة القمامة في آخِر الحديقة، واستخدمتها أحيانًا للبحث في وجهي عن أيِّ علامات جمال، لكنني لم أجد ولو واحدةً بعدُ. لطالما خيَّب أملي أن أجد نفسي فتاةً تقليديَّةً.

رمقَت نفسها من جانبٍ ثم آخَر، وقالت: «وجهٌ غريب. لا أستطيعُ اعتياده».

قلتُ: «أنتِ رائعة الجمال». وهي كذلك حقًّا رغم الفُستان المرقَّع. هكذا الأميرات دومًا، حتى وهنَّ متنكِّرات. بهذه الطَّريقة يعرف المرء أنهن أميرات.

قالت: «شُكرًا أيَّتها الصَّغيرة. آملُ أنني جميلةٌ بما فيه الكفاية»، وابتسمَت.

ليلتها نامَت مرَّةً أخرى متكوِّرةً حولي ومُسندةً ذقنها إلى كتفي. حلمتُ أنني أتجوَّلُ في ظلام الغابة تحت الأشجار. عبرتُ جدولًا من فوق أحجارٍ مكسوَّة بالطَّحالب، وأحسستُ بالسَّراخس تمسُّ قصبتَي ساقيَّ وتُبلِّل جوربي بالنَّدى، ووجدتُ الفطر السَّام، ورأيتُ ظباء كارهجي البرِّيَّة الخجولة مع شوادنها المرقَّطة. لمَّا استيقظتُ وجدتُ أميرتي استيقظَت قبلي وارتدَت ثيابها. قالت لي: «بطاطس. حياتكِ حقل بطاطس بلا نهاية يا كلارا»، فأومأتُ موافقةً وضحكتُ لأن ما قالته صحيح.

في ذلك اليوم ساعَدنا في الإعداد للحفل، وانضمَّت إلينا مارتا ابنة خبَّاز القرية، وآنا زوجة السَّائس التي بدأت تُمارِس أعمالًا متنوِّعةً منذ رفسَ أحد خيول البارون زوجها وسقطَ الرَّجل طريح الفِراش حتى شفاء ساقه، وبنصف راتبه. حلَّينا البرتقال وقشر اللَّيمون، ورقَّقنا العجين حتى أصبحَ رفيعًا كملاءات الأسرَّة ثم طويناه حتى أصبحَ كصفحات الكُتب، ونقعنا الكرز في الرَّم، ودهنَّا اللَّوز والجوز

بالعسل (الذي لعقتُ قليلًا منه عن أصابعي)، وأرَتنا مارتا كيف نَسلُق الفُندان، وحتى أنا سُمِحَ لي بعمل وردةٍ واحدة من عجينة السُّكَّر.

طيلة الوقت غسلنا الأطباق وكنسنا الأرض التي غطَّاها الطَّحين سريعًا. لم تشتكِ أميرتي ولو مرَّةً، مع أنه من الواضح تمامًا أنها لم تعتَد ذلك العمل. فاقتَني خرَقًا، وأظنُّ أنه لولا حاجتنا إلى العون لصرفَتها جرِتا، لكنها اكتفَت بالنَّظر إليها بشكٍّ عدَّة مرَّات. كيف تجهل أيُّ امرأةٍ طريقة ترقيق العجين؟ ما لم تكن غجريَّةً قضَت حياتها في قراءة البخت والسَّفر في مقطورة...

لم نجد وقتًا للكلام يومها، ولم أستطِع أن أسألها كيف ستَدخُل الحفل، وليلتها غبتُ في النَّوم حالما لامسَ رأسي الوسادة.

في اليوم التَّالي، يوم الحفل، انضمَّت إلينا اثنتان من خادمات الطَّوابق العُلويَّة: كاترينا الآتية من كاربرج مثل آجنِتا، وابنة خالتها التي نسيتُ اسمها، شابَّتان ساميتان، ولما وطأت أقدامهما أرض المطبخ إلَّا لأجل حدثٍ جلل كهذا. يا للنَّشاط الذي سادَ يومها المطبخ الهادئ عادةً! جرِتا تزعق بالأوامر، وآجنِتا تُردِّدها زعيقًا بدورها، وثرثرة النِّساء العاملات، ولو أنَّ أميرتي لم تتكلَّم بالطَّبع، بل أدَّت عملها صامتةً. أعددنا كلَّ شيءٍ لم يُمكن إعداده مسبقًا، فخفقنا البشامل، وسلقنا السَّمك، وشوينا الخنزير الفاخر الذي سيتصدَّر قاعة الطَّعام ببرتقالةٍ مطعَّمة بالقرنفل في فمه، وصفَّينا المرق حتى راقَ تمامًا، وشكَّلنا زلابية الكبد بمختلِف الأشكال، وسلقنا الهليون.

حلَّ علينا اللَّيل جاهزاتٍ ولكن مرهَقات. عادَت جرِتا مسرعةً من لقاءٍ أخير مع الفراو هوفمان، لتُخبِرنا أنَّ السيَّارات بدأت تصل. عندما خرجتُ لأطلب بضعة أعواد نعناع من يوسف لمحتها، ويا لها من سيَّارات! كبيرة وسوداء وتهدر كالتِّنانين إذ دارَت حول السَّاحة الحجريَّة مُنزلةً الضُّيوف، رجالًا في بدلاتٍ سوداء مذيَّلة أو أرديةٍ عسكريَّة، ونساءً في فساتين مسائيَّة بألوان قزحيَّة متلألئة. كيف ستبدو أميرتي بينهن بفُستانها الأسود البسيط؟

أخيرًا حمَلَ الخدم كلَّ ما على طاولة المطبخ الطَّويلة من أطعمة -هُلام اللَّحم والحساء الصَّافي، وأسماك الترويت الكاملة المسلوقة باللَّيمون، والهليون المصحوب بصلصة الهولنديز- إلى قاعة الطَّعام بالأعلى، وتطلَّب حمل الخنزير اثنيْن معًا. لاحقًا سيأخذون الكعك والمعجَّنات والشُّكولاتة والفواكه المحلَّاة.

همسَت لي الأميرة: «كلارا، أحتاجُ إلى مساعدتكِ». لا أحد أولانا اهتمامًا، إذ عادَت كاترينا وابنة خالتها إلى أعلى لمساعدة الضَّيفات على خلع أوشحتهن، وانغمسَت مارتا وآنا وآجنِتا في الضَّحك والنَّميمة، وذهبَت جرِتا لتُلبِّي أمرًا مهمًّا للفراو هوفمان. قالت الأميرة: «يجب أن أغتسل وأبدِّل ثيابي». بالفعل، على إحدى وجنتيْها لطخة من الطَّحين المزبَّد، وتبدو كعاملة مطبخٍ بقدر ما يُمكن أن تبدو أميرةٌ لها وجهٌ شاحب جادٌّ وعينان عميقتان كبِركِ الغابة وشعرٌ أسود طويل لا ينفكُّ يتملَّص من الضَّفيرة التي عقصَته فيها.

قلتُ: «طبعًا. في آخِر الرُّواق حمَّام، بعد دورة المياه. لا أحد سيستخدمه اللَّيلة».

لم يلحظ أحد حين انسللنا من المطبخ. أحضرَت أميرتي فُستانها، ثم أريتها الطَّريق إلى الحمَّام العتيق بحوضه المعدنيِّ الذي تستخدمه الخادمات.

أخبرتها: «لا أعرفُ طريقةً لتسخين الماء. عادةً تغليه آجنِتا في قدر، وأستحمُّ أنا بعدها».

قالت مبتسمةً: «لا بأس. لم أستحمَّ بماءٍ ساخن في حياتي كلِّها».

ما أقسى النِّظام الذي تتَّبعه الأميرات! لم تستحمَّ بماءٍ ساخن قَطُّ... مع أني لم أستحمَّ به قَطُّ عن نفسي إذا تحرَّينا الدقَّة، لكن على الأقل يبقى مائي فاترًا عندما تَفرُغ منه آجنِتا.

ناولتها إحدى المناشف الخفيفة من الخزانة، ثم جلستُ على كُرسي موليةً الحوض ظهري لأعطيها ما أقدرُ عليه من خصوصيَّةٍ فيما تستحمُّ.

أخيرًا قالت: «فرغتُ. كيف أبدو أيَّتها الصَّغيرة؟».

التفتُّ لأجدها ترتدي الفُستان الأسود كاللَّيل، الذي برزَت منه كتفاها وعُنقها كما لو أنها القمر يتجلَّى من سحابة، وقد انسدلَ شعرها الأسود حتى الخصر.

قلتُ: «سأثبِّته لكِ»، فجلسَت على الكُرسي وأعدتُ ضبط

التَّصفيفة المنمَّقة من اللَّيلة السَّابقة، وثبَّتُّه بالمشط الأبيض، ووضعَت هي قلادة الخرزات الحمراء حول رقبتها، ثم نهضَت.

ها هي ذي أميرتي كما تخيَّلتها على الدَّوام، رشيقة أنيقة كبجعةٍ سوداء. وفجأةً اغرورقَت عيناي بالدُّموع.

قالت ماسحةً دمعةً عن وجنتي بإبهامها: «لِمَ تبكين يا كلارا؟».

أجبتُ: «لأن الحكايات كلَّها حقيقيَّة».

قبَّلتني على جبهتي برزانةٍ كأنها تُؤدِّي طقسًا، ثم ابتسمَت قائلةً: «هلمِّي، لنذهب إلى قاعة الحفلات».

- «لا يُمكنني الذَّهاب. إنني مجرَّد عاملة مطبخٍ ثانية، أتَذكُرين؟ اذهبي أنتِ... المفترَض أن تذهبي».

ابتسمَت ومسَّت وجنتي ثانيةً وأومأت برأسها، وشاهدتها تبتعد عني قاطعةً الرُّواق الذي يقود إلى بقاعٍ أخرى من القلعة، البقاع المحرَّج عليَّ دخولها، والتمعَ المشط الأبيض في شعرها الأسود.

ثم عكفتُ على غسل الأواني.

لم أرجع قبل ساعاتٍ عدَّة إلى حُجرتي لأستلقي على فِراشي منهكةً وأفكِّر في أميرتي وهي تُراقِص الأمير رادومير. ليت بإمكاني رؤيتها... ثم فكَّرتُ: *مهلًا، وماذا عن الشُّرفة؟* من شُرفة الطَّابق العُلوي يستطيع المرء مشاهدة قاعة الحفلات بالأسفل عبر سلسلةٍ من خمس حلقات. يُمكنني الصُّعود إلى الطَّابق الثَّاني على السُّلَّم

الخلفي، ولكن عليَّ عندئذٍ أن أقطع عدَّة أروقةٍ طويلة قد أصادفُ فيها ضيوفًا للبارون. قد يُقبَض عليَّ وأُرسَل ثانيةً إلى الرَّاهبات... مكلَّلةً بالخزي.

لكنني أردتُ رؤيتها تَرقُص مع الأمير، رؤية ذُروة الحكاية الخُرافيَّة التي شاركتُ فيها.

قبل أن أطيل التَّفكير تسلَّلتُ خارجةً من المطبخ إلى الرُّواق الخلفيِّ ومنه إلى السُّلَّم. لحُسن الحظِّ وجدتُ طُرقات الطَّابق الثَّاني خاليةً، وبدا أنَّ الضُّيوف جميعًا بالأسفل، وفيما أسرعتُ أعبرُ الشُّرفة ملازمةً الجِدار سمعتُ أصوات الموسيقى والثَّرثرة تطفو إلى أعلى. على أحد جانبَي الشُّرفة لوحات لآل كالمان غير المهمِّين كفايةً ليُعلَّقوا في الغُرف الرَّئيسيَّة، وقد رمقوني كأنهم يتساءَلون ماذا أفعلُ هنا. في منتصف الشُّرفة على الجانب الآخَر الحلقات، نوافذ دائريَّة يَسقُط عبرها الضَّوء على اللَّوحات. نظرتُ من الأولى. نعم، ها هي ذي، سهلة التَّمييز، بُقعة من السَّواد في منتصف القاعة، مثل مركز زهرة الجزر البرِّي، تَرقُص مع رجلٍ في زيٍّ عسكري. أهو... الرُّؤية أفضل من النَّافذة الثَّانية. نعم، الأمير، فالرَّاقصون الآخَرون كلُّهم يُفسِحون لهما الحلبة. أميرتي تُراقِص الأمير... ڤالس كما قدَّرتُ من الموسيقى. حتى أنا تعرَّفتُ على إيقاع الثَّلاثة أربعة. دارا ودارا، يدها على كتفه وقلادتها الحمراء تتألَّق في ضوء الثُّريَّات.

هل سمعتُ خُطوات أقدام؟ نظرتُ عبر الرُّواق، لكنها مرَّت متَّجهةً إلى مكانٍ آخَر. وضعتُ يدي على قلبي الذي تسارعَت

ضرباته بشدَّة، وأخذتُ نفس صُعداء طويلًا، ثم عدتُ أنظرُ من النَّافذة.

لكن الأمير رادومير اختفى، وفقدَت زهرة الجزر البرِّي مركزها.

لعلَّهما انتقَلا إلى قاعة الطَّعام؟ انتظرتُ، لكنهما لم يعودا، وللمرَّة الأولى قلقتُ على أميرتي. كيف ستنتهي قصَّتها؟ لا بُدَّ أنها ستعيش في تباتٍ ونبات. بكلِّ جوارحي أردتُ أن تتحقَّق القصص.

انتظرتُ فترةً أطول، وفي النِّهاية عدتُ أقطعُ الشُّرفة مجرجرةً قدميَّ بإرهاقٍ وقنوط. مؤكَّد أنَّ السَّاعة تُداني منتصف اللَّيل، وأنا مستيقظةٌ منذ الفجر. لا شكَّ أنني أخذتُ منعطفًا خطأ من شدَّة تعبي، فعلى حين غرَّةٍ لم أعُد أعرفُ أين أنا. واصلتُ المشي عالمةً أنني إذا ظللتُ أمشي عبر أروقة القلعة فسأبلغُ في النِّهاية مكانًا مألوفًا.

ثم سمعتُ صوتها، ورأيتُ بابًا مفتوحًا... الباب نفسه -كما أدركتُ فجأةً- الذي اختلسنا منه السَّمع قبل يومَيْن.

إنها في هذه الغُرفة، فلِمَ؟ كان الباب مواربًا عدَّة بوصات، ولمَّا نظرتُ منه بحذرٍ رأيتها واقفةً عند المدفأة، وبجوارها ممسكًا يدها الأمير، تُواجِهه وقد انطفأت قلادتها الحمراء في الضَّوء المعتم الذي يبعثه مصباحٌ وحيد.

قالت ناظرةً إليه وذقنها مرفوعٌ بإباء: «أقرب وأبعد ممَّا تتصوَّر».

- «بوداپست؟ لعلَّكِ من بوداپست. أو پراج؟ أأنتِ من پراج؟ أخبِريني باسمكِ. إذا أخبرتِني باسمكِ فأراهنُ أنني أستطيعُ تخمين بلدكِ في ثلاث محاولات. وإذا خمَّنته، ألي بُقبلة؟».

- «وإذا لم تُخمِّنه؟».

- «لكِ أنتِ بقُبلة. اتِّفاقٌ عادل، أليس كذلك؟».

اقتربَ منها مطوِّقًا خصرها بذراعه، ووضعَت هي ذراعها حول عُنقه ليقفا متعانقيْن، وظلَّ ممسكًا يدها. أدركتُ أنها لحظة خصوصيَّة، واستشعرتُ أنَّ عليَّ الذَّهاب... لكنني لم أستطِع. في حياتي القصيرة لم أحضر قَطُّ مسرحيَّةً، غير أنني شعرتُ كما يَشعُر الجمهور في لحظة الذُّروة، وكتمتُ أنفاسي.

قالت: «اسمي بلا معنى في لُغتك»، فضحكَ ومالَ عليها طابعًا قُبلةً على فمها. وقفا هناك عند المدفأة، شفتاه على شفتيْها، وفكَّرتُ: *نعم، هكذا ينبغي أن تنتهي الحكاية الخُرافيَّة.*

تنهَّدتُ ولكن دون أن أصدر صوتًا يُزعِجهما، ثم مدَّت الأميرة الذِّراع التي طوَّقت بها عُنقه، وخلعَت المشط منمَّق النُّقوش من شعرها ليسترسل كهبوط اللَّيل، وبحركةٍ سريعة غرزَت الأسنان الحادَّة في جنب عُنق الأمير.

ألقى الأمير برأسه إلى الوراء وصرخَ كحيوانٍ في غابة، وتراجعَ متعثِّرًا متخبِّط الأطراف، يُلطِّخ الدَّم بزَّته العسكريَّة باديًا أقرب إلى السَّواد على حُمرة سُترته. من شدَّة الفزع لم أقوَ على فعل شيءٍ لحظةً،

ثم صرختُ بدوري، وأصدَت هاتان الصَّرختان -صرخته المجنونة ألمًا وصرختي المجنونة خوفًا- عبر أروقة القلعة.

في لحظةٍ هرعَ إليَّ خادم، ولمَّا رآني قال: «اخرسي يا هذه»، ولكن بمجرَّد أن نظرَ داخل الغُرفة امتقعَ وجهه وبدأ يصيح، وسرعان ما أتى خدمٌ آخَرون، والبارون، والجنرال، ثم الأب إلڤان، ووسط كلِّ هذا وقفَت أميرتي بمنتهى السُّكون عند المدفأة والمشط الذَّامي في يدها.

عندما أخرَجوا الأمير على محفَّةٍ أقعيتُ عند الجدار، لكن أحدًا لم يُعِرني انتباهًا. كان رأسه ملتفتًا نحوي، ورأيتُ عينيْه الزَّرقاويْن الشَّاحبتيْن اللتين لم يُغلِقهما الأب إلڤان بعدُ.

قادوها إلى الخارج وعن جانبيْها خادمان يقبضان على عضديْها، ولمحتُ يدها ممسكةً بشيءٍ ما بدا كجزءٍ من فُستانها وبسواده ذاته، لكنه أثقل. لم تَنظُر ناحيتي، ولكن من موقعي القريب رأيتُ كم هي هادئة... كبِركةٍ في الغابة، عميقة وغامضة.

ببُطء مشيتُ عائدةً إلى المطبخ، وفي حُجرتي رفعتُ رُكبتيَّ إلى صدري واحتضنتهما مُسندةً إليهما ذقني. ظلَّت الصُّور تتتابَع في رأسي مرَّةً تلو مرَّةٍ كشريطٍ سينمائي: هو يميل ليُقبِّلها، وهي تسحب المشط من شعرها، والطَّعنة السَّريعة الماضية. لم أملك وسيلةً لفهمها، لم أعرف قصصًا تُفسِّر ما جرى.

أخيرًا غبتُ في النَّوم، وطول اللَّيل حلمتُ بتلك الصُّور مرَّاتٍ ومرَّاتٍ.

في الصَّباح وجبَ تحضير الفطور، وفيما حمَّرتُ السُّجق والبطاطس سمعتُ جرِتا تحكي لآجنِتا ما حدثَ بعدما سمعَته من الفراو هوفمان نفسها. جاسوسةٌ أجنبيَّة اخترقَت القلعة، أو يُفترَض على الأقل أنها جاسوسةٌ أجنبيَّة، ولو أنَّ أحدًا لا يعرف من أين أتَت. أهي سلوڤاكيَّة؟ يوغوسلاڤيَّة؟ بلغاريَّة؟ لماذا أرادَت موت الأمير؟

حتى الآن تَرفُض الكلام، لكنها ستُجبَر عليه. البارون هاتفَ القصر الملكيَّ بالفعل، وأُرسِلَ حرسٌ لأخذها وجُثمان الأمير إلى كارلشتاد. سيصلون في وقتٍ ما اليوم بعد الظُّهر، وحتى ذلك الحين ستبقى حبيسة زنزانةٍ لم تشهد سُجناء منذ مئة عام.

بعد الإفطار نزلَ البارون بنفسه ليستجوبنا. عُرِضَ على الخدم رسمٌ للأب إلڤان يُصوِّر امرأةً صغيرة الحجم شاحبة الوجه ذات شعرٍ أسود طويل، وتعرَّفت عليها كاترينا قائلةً إنها إحدى نسوة القرية اللواتي ساعدن في المطبخ على التَّحضير للحفل. لماذا أُشرِكَت في العمل؟ قالت جرِتا لأن الأب إلڤان أرسلَها، لكن الأب إلڤان أعلنَ أنه لا يعرف بامرأةٍ مثلها. هكذا أُمرَت جرِتا وآجنِتا بحزم أمتعتهما. ما الذي دارَ برأسيْهما حين سمحَتا لامرأةٍ غريبة بالعمل في القلعة؟ وتحديدًا في وجود وليِّ العهد؟ إذا لم تُغادِرا اليوم فستُودَعان الزِّنزانة بدورهما، ولا، لن تُعطيا شهادات.

أعجزَني الخوف عن الكلام، عن إخبار البارون أنني أنا التي أدخلتها، لكن لا أحد أعارَني اهتمامًا. كنتُ أحطَّ من أن أُلام حتى.

بحلول أصيل ذلك اليوم أصبحَت مارتا بنت الخبَّاز الطَّاهية الجديدة، وأصبحتُ مساعدتها. خلال يومَيْن سبَّبتُ موت الأمير ورُقِّيتُ.

قالت لي مارتا: «لا فكرة لديَّ كيف ستُطعِم كلتانا فقط كلَّ هؤلاء. والفراو هوفمان تقول إنَّ الحرس الملكيَّ سيصل في وقت الغداء! أتتخيَّلين؟».

الآن أو لا للأبد إذًا. خلال ساعةٍ أو اثنتيْن سأنشغلُ بتحضير الغداء، وبحلول المساء سيأخذون الأميرة -جاسوستي؟- إلى العاصمة لتُحاكَم. أرعبَني ما عزمتُ على فعله، وإن شعرتُ أنَّ عليَّ فعله. في سنوات حياتي التَّالية كثيرًا ما تذكَّرتُ لحظة الخوف والشَّجاعة تلك، عندما خلعتُ مئزري وتسلَّلتُ من الباب إلى حديقة المطبخ. تلك أوَّلُ لحظةٍ آثرتُ فيها الشَّجاعة على الخوف، ولطالما لزمتُ الاختيار ذاته منذ ذلك الحين.

طبعًا شُيِّدَت القلعة قبل اختراع الأضواء الكهربائيَّة، ومن ثمَّ للزِّنزانة نفسها نوافذ. في مرَّةٍ أراني يوسف إيَّاها وأنا أقطفُ التُّوت الأحمر؛ أزاحَ أعواد التُّوت قائلًا: «هناك أيَّتها الفأرة الصَّغيرة ترين زنزانة القلعة المظلمة العميقة!». حسبما رأيتُ، مجرَّد حُجرةٍ حجريَّة عارية، في حوائطها دعامات معدنيَّة للسَّلاسل. من الخارج بدَت النَّوافذ منخفضةً للغاية في جدار القلعة، أمَّا من الدَّاخل فترتفع في جدار الزِّنزانة حتى إنَّ رجلًا طويلًا لا يستطيع بلوغها، وعليها قضبان.

كنا في أواخر الأصيل، ولا أثر ليوسف أو صبيِّ البُستاني الذي يُساعِده في أيِّ مكان. زحفتُ وراء أعواد التُّوت الأحمر لتُصيبني عدَّة خدوش، ونظرتُ من إحدى النَّوافذ المقضَّبة. رأيتها هناك، أميرتي، جالسةً على الأرض الحجريَّة بفُستانها الأسود المكوَّم حولها وشعرها الأسود الطَّليق، وبين ذراعيْها تقبض على شيءٍ أسود، وتَنظُر أمامها مباشرةً، كأنها ببساطةٍ تنتظر.

بصوتٍ خفيض قلتُ لكيلا يسمعني أحد: «أيَّتها الأميرة». مؤكَّد أنَّ على الباب حُرَّاسًا، لكنني لم أرَ أحدًا منهم. على باب الزِّنزانة أيضًا قضبان، وما من مخرج.

نظرَت حولها، ثم إلى أعلى، وقالت مبتسمةً: «كلارا»، فبدَت ابتسامتها غريبةً حزينةً. نهضَت وذهبَت عند النَّافذة ووقفَت تحتها رافعةً إليَّ عينيْها، وجهها شاحبٌ متعَب في الإضاءة المعتمة. عندئذٍ رأيتُ ما تقبض عليه: فروة ذئبٍ تتدلَّى منها الكفوف الأربع والرَّأس عديم العينيْن.

سألتها: «لماذا؟»، وللمرَّة الأولى أجهشتُ بالبُكاء. لا أبكي الأمير رادومير، بل القصَّة، لأنها ليست حقيقيَّةً، لأنها تركَتني أصدِّقُ كذبةً، لأنه عندما قالت جرِتا إنها جاسوسةٌ أجنبيَّة رأيتُ الحياة بغتةً أقبح وأشد تقليديَّةً ممَّا تخيَّلتُ، وأغثاني هذا الإدراك.

– «كلارا». قالتها رافعةً يدها إلى أعلى موضع أمكنَها بلوغه من الجِدار، تحت النَّافذة بعدَّة أقدام. «أيَّتها الصَّغيرة، لا تبكي. سأحكي لكِ قصَّةً. يُحكى أنَّ... هكذا تبدأ قصصكِ، أليس

كذلك؟ سأتكلَّمُ بهدوءٍ كي لا يسمع الحُرَّاس. إنهم قريبون، يتناوَلون غداءهم. أشمُّ اللَّحم الذي يأكلونه. يُحكى أنَّ ذئبيْن عاشا على جبل كارهجي، ذئبيْن أسوديْن من العشيرة التي قطنَت الجبل منذ زمنٍ لا ترقى إليه الذَّاكرة. كانت الغابة وطنهما بظُلمتها وسلامها وأمانها، وهناك عاشا، وهناك أملا أن يُربِّيا أطفالهما يومًا ما. لكن ذات يوم أتى أميرٌ ببُندقيَّته وأردى أحد الذِّئبيْن، ثم أخذَه رجال الأمير من أجل فروته النَّاعمة، وأقسمَت الذِّئبة الأخرى، قرينته، أن تَقتُل الأمير».

أصغيتُ باهتمامٍ مجفِّفةً وجهي بحاشية تنُّورتي.

- «وهكذا ذهبَت الذِّئبة إلى امرأة الغابة العجوز، وقالت لها: *أيَّتها الجدَّة، صفقاتكِ قاسيةٌ لكنها عادلة. سأمنحكِ أيَّ شيءٍ لقاء انتقامي.* وقالت العجوز: *ستنالينه، لكن عليكِ التَّخلِّي عن فروتكِ السَّوداء الجميلة وأسنانكِ البيضاء الخطيرة والدَّم الذي يجري في جسمكِ. من أجل الانتقام عليكِ التَّخلِّي عن كلِّ شيء.* ووافقَت الذِّئبة، وأعطَت هذه الأشياء كلَّها للعجوز، التي صنعَت منها فُستانًا أسود كاللَّيل وقلادةً حمراء كالدَّم ومشطًا أبيض كالعظم، ثم أعطَت ما صنعَته للذِّئبة وقالت: *الآن اكتملَت صفقتكِ.* ثم أخذَت الذِّئبة الصُّرَّة التي أعطَتها لها العجوز وخرجَت من الغابة تترنَّح إذ استعصى عليها المشي على قدميْن. في ليلةٍ مطيرة وصلَت إلى القلعة التي يُقيم فيها الأمير، وبقيَّة القصَّة تعرفينها».

رمقتُها لا أدري ماذا أقولُ. أينبغي أن أصدِّق القصَّة؟ أو أصدِّقها هي؟ قال لي صوت العقل إنها كاذبة، إنها جاسوسةٌ أجنبيَّة وأنا حمقاء. على أنني لم أتمتَّع قَطُّ بوفرةٍ من العقل، وهذا أيضًا أجداني نفعًا.

قالت: «كلارا، مدِّي يدكِ من بين القضبان».

تردَّدتُ، ثم فعلتُ كما قيلَ لي.

وضعَت الفروة أرضًا بجوارها، بحرصٍ كأنها طفل، ثم حلَّت قلادة الخرز الأحمر قائلةً: «أمسِكي!»، ورمَتها لي. التقطتها... ثم سمعتُ وقع أحذيةٍ في الممرِّ، وقالت هي: «اذهبي الآن! إنهم قادمون ليأخذوني».

سحبتُ يدي الممسكة بالقلادة وزحفتُ مبتعدةً عن النَّافذة. كانت الشَّمس تَغرُب، وحانَ الوقت لأعود إلى المطبخ وأجهِّز الغداء. لا شكَّ أنَّ مارتا تتساءَل أين أنا.

عندما رجعتُ إلى المطبخ عرفتُ أنَّ رجال الحرس الملكيِّ وصلوا، ولكن بعد فوات الأوان... بواسطة الدِّعامات المعدنيَّة في الجُدران، شنقَت أميرتي نفسها بشعرها الأسود الطَّويل.

في سنِّ السَّادسة عشرة تركتُ دار البارون وقد أجدتُ الطَّهو إلى أقصى درجةٍ استطاعَت مارتا تعليمي إيَّاها. تعلَّمتُ كيف أعدُّ الأطباق السَّبعة لعَشاءٍ رسمي، وبرعتُ تحديدًا في المجال الذي تميَّزت فيه مارتا: المعجَّنات، وأظنُّ أنَّ الپات آشُو الذي أخبزه يُماثِل ما اعتادَت خبزه في الجودة.

حزمتُ في حقيبةٍ صغيرة ثيابي وكتاب الحكايات الخُرافيَّة والقلادة التي أعطتها لي أميرتي الذِّئبة واحتفظتُ بها تحت حشيَّة الفِراش عدَّة سنين.

ربَّما لم يُعَدَّ من الحكمة أن أنتقل إلى كارلشتاد في أثناء الاحتلال الألماني، ولكن كما قلتُ: إنَّ لديَّ نقصًا في العقل، العقل الذي يُبقي الآخَرين آمنين بعادًا عن المتاعب. أمَّا أنا فأسمحُ للأميرات الممرَّغات بالوحل بالدُّخول من المطر، وأحزمُ حقيبتي وأنتقلُ إلى العاصمة وليس معي إلَّا أجر أسبوعيْن وشهادة من البارونة، وأنضمُّ إلى المقاومة.

مع أنني لم أعِ ذلك، كان المقهى الذي عملتُ فيه ملتقًى للمقاومة، وقد انتمى إليها شابٌّ ممَّن تردَّدوا إلى المكان لشُرب القهوة وقراءة الصُّحف، شابٌّ ذو شعرٍ طويل لا يغسله كفايةً، وعينيْن مذهلتَي الزُّرقة كالمساء في الجبال. اسمه آنتال أودون، من نسل شاعر القرن التَّاسع عشر أماديو أودون. اعتادَ التَّودُّد إليَّ حتى صرنا صديقيْن، ثم كفَّ عن التَّودُّد وبدأ يُخاطِبني بجدِّيَّةٍ عن أشعار سلڤانيا وسياستها. جاءَ الألمان في وقت دراسته بالجامعة، وعندها لم يَعُد يبدو هدفه أن يُصبِح أستاذ أدبٍ مهمًّا، فتركَ الجامعة. سألته عمَّا يفعله بنفسه الآن.

هو مَن أخذَني أوَّل مرَّةٍ إلى اجتماعٍ للمقاومة في قبو المقهى الذي عملتُ فيه. أخبرَتنا المالكة -امرأةٌ حنون اسمها مالينا أعطَتني وظيفةً وغُرفةً فوق المقهى- عن السلڤانيِّين الذين اعتُقِلوا

هذا الأسبوع، منهم يهود وسياسيُّون، وفي اليوم التالي ذهبتُ إلى الصَّائغ في مورِك شتراس بقلادتي الحمراء كالدَّم. سألته كم ثمنها، وهل لهذه الخرزات أيُّ قيمة، ففحصَها بمنظارٍ صغير، ثم أخبرَني أنَّ قيمة كلٍّ منها أعلى على حدة، ففي الأوقات الحاليَّة لا يضمن استطاعته أن يجد مشتريًا للقلادة كاملةً، وقال إنه لم يرَ مثل هذا الياقوت قَطُّ.

واحدةً تلو أخرى باعَها من أجلي، غالبًا لزوجات الضُّبَّاط الألمان اللاتي لم يعرفن أنهن يُموِّلن المقاومة. احتفظتُ بخرزةٍ واحدة فقط لنفسي، أصغرها على الإطلاق، وأعلَّقها الآن في سلسلةٍ حول عُنقي لتري أيَّتها الجدَّة أنَّ قصَّتي حقيقيَّة.

بصفتي عُضوةً في المقاومة، سافرتُ إلى فرنسا وبلجيكا والدنمارك، ونقلتُ رسائل مخيطةً داخل حمَّالة صدري. لا أحد يرتاب في فتاةٍ شابَّة ما دامَت تنتعل حذاءً طويل الكعبيْن وتطلي شفتيْها بالأحمر وتضحك مع الضُّبَّاط الألمان وتخفض بصرها بحياءٍ حينما يُشعِلون سيجارتها. في مرَّةٍ نقلتُ رسالةً إلى بلدةٍ صغيرة في الجبال السويسريَّة إلى رجلٍ قُدِّم لي باسم المسيو رينار. شابهَ الرَّجل أباه كما دلَّتني اللَّوحات الرَّسميَّة التي عُلِّقَت إحداها في فصل الدِّراسة بالدَّير، وقد قيلَ لي ألَّا أنحني، بل أكتفي بمصافحته كأنه رجلٌ سلفاني تقليدي. لم أقل له: *لقد رأيتُ أخاك الأكبر يموت. آملُ أن ترجع يومًا ما إلى سلفانيا وتتقلَّد ملكيَّتها.*

مع صديقي آنتال هرَّبتُ اللَّاجئين السِّياسيِّين من البلد، وفي

ذلك الحين كنا قد غدونا أكثر من صديقيْن... أملنا أن نتزوَّج في يوم من الأيَّام بعد أن تضع الحرب أوزارها، لكنهم قبضوا عليه وعذَّبوه. لم يُفصِح عن أيِّ أسماء، أي إنه ماتَ بطلًا. الرَّجل الذي أحببته ماتَ بطلًا.

عندما انتهَت الحرب وبدأ الاحتلال الروسي، لم أعرف ماذا أفعلُ بنفسي. لقد تخيَّلتُ حياةً مع آنتال، وآنتال ماتَ. على أنَّ الجامعة قدَّمت دروسًا مجَّانيَّة للفلَّاحين إن نجحوا في الاختبارات. لم أعُد فلَّاحةً بالضَّبط، لكنني قلتُ للممتحِنين إنَّ أبي عملَ حطَّابًا على جبل كارهجي، ونجحتُ بدرجاتٍ مرتفعة، والتحقتُ بالدُّروس. انغمستُ في الاستذكار، وخلال سنواتٍ ثلاث حصلتُ على درجتي... في الأدب السلڤاني على غرار آنتال لو عاشَ. فكَّرتُ أن أبحث عن عملٍ في العاصمة، لكن وزارة التَّعليم أعلنَت عن حاجتها إلى معلِّمين في كاربرج والمناطق المحيطة، فأُرسِلتُ إلى هناك، إلى مدرسةٍ في قريةٍ عالية في الجبال تُسمَّى أورسولاڤيلاج، وهناك أعلِّمُ التَّلامذة الذين يعمل أهاليهم في صناعة الأخشاب أو في أحد فنادق السُّيَّاح الروس والنمساويِّين.

لدى عودتي إلى كارهجي مباشرةً حاولتُ العثور على أبي، لكنني علمتُ أنه ماتَ قبل سنوات. كان يُقطِّع الخشب وهو سكران، فضربَ ساقه بالبلطة، وتلوَّث جرحه وماتَ. قصَّة قاسية بسيطة. لم يتبقَّ لي أحدٌ في العالم إذًا. ليس لديَّ إلَّا عملي.

أعلِّمُ أطفال أورسولاڤيلاج الأدب والتَّاريخ... أو المسموح

به من الأدب والتَّاريخ. لا نُدرِّس الحكايات الخُرافيَّة التي تعدُّها وزارة التَّعليم مَفْسدةً، بل قصصًا عن الصِّبيان والصَّبايا السلڤانيِّين الصَّالحين الذين يتعلَّمون خدمة الدَّولة، وفي تلك القصص لا ضفادع تتحوَّل إلى أمراء، ولا أميرات يحضرن حفلاتٍ بفساتين كالشَّمس والقمر والنُّجوم، ولا طيور ناريَّة، ولا ذئاب كارهجي، ولا سيِّدات حسناوات يعشن فوق الأشجار، ولا وعل أبيض يقود المرء إلى داره إذا ضلَّ الطَّريق. إنها لا تَذكُرك أنتِ حتى أيَّتها الجدَّة. أتتخيَّلين؟ لا قصص عن امرأة الغابة العجوز التي تَنبُع منها القصص كلُّها.

خلال جيلٍ واحد ستضيع هذه القصص.

لهذا أتيتكِ يا مَن صفقاتها قاسيةٌ لكنها عادلة. أعطيني قصصًا. أعطيني قصص سلڤانيا جميعًا لكي أدوِّنها وتَنشُرها مطبعتنا السرِّيَّة في كاربرج، التي يُمكن أن نُعتقَل بسببها. سننقلها من يدٍ إلى يد، من بيتٍ إلى بيت. لأجل هذا أيَّتها الجدَّة سأمنحكِ ما منحَتك إيَّاه أميرتي منذ زمنٍ طويل: ما تَطلُبينه أيًّا كان. لا أملكُ إلَّا قليلًا على كلِّ حال. الشَّيء الوحيد ذو القيمة الذي أقتنيه هو خرزةٌ حمراء واحدة معلَّقة في سلسلةٍ كقطرة دم.

إنني ابنة هذه الجبال، وابنة الحكايات. ذات يوم أردتُ أن أعيش في داخل تلك الحكايات، وفي صِغري لعبتُ دورًا في واحدة... دورًا صغيرًا، لكنه مهمٌّ. حين كبرتُ لعبتُ دورًا في قصَّةٍ من نوعٍ آخَر، لكنني أريدُ الآن أن أكون حكَّاءةً، ولذا سأجلسُ ها

هنا مقرفصةً في كوخكِ الذي يتمايَل بعض الشَّيء كقاربٍ في الماء.
احكي لي حكاياتكِ أيَّتها الجدَّة. إنِّي مصغية...

مكتبة
t.me/soramnqraa

ثيودورا جوس (١٩٦٨-)، مؤلِّفة وشاعرة أمريكيَّة مجريَّة، نشرَت حتى الآن خمس روايات ومجموعةً قصصيَّةً من أدب الفانتازيا، وعشرات القصص القصيرة والقصائد في مختلف المجلَّات والمواقع، ورُشِّحَت لعددٍ كبير من الجوائز.

نُشرت القصَّة على الإنترنت بعنوان «*Red as Blood and White as Bone*» في عام ٢٠١٦، ورُشحَّت لجائزة «لوكَس» في قائمة أفضل قصَّة قصيرة في عام ٢٠١٧.

الحارس

* آرثر ت. كلارك *

عندما ترى القمر بدرًا عاليًا في الجنوب المرَّة القادمة، دقِّق النَّظر إلى حافته اليُمنى ودع عينيْك تُسافِران صعودًا على امتداد منحنى قُرصه. في موضع السَّاعة الثَّانية تقريبًا ستلحظ شكلًا بيضاويًّا صغيرًا قاتمًا. أيُّ أحدٍ يتمتَّع ببصرٍ عادي سيجده بمنتهى السُّهولة. إنه السَّهل المسوَّر العظيم -أحد أبدع السُّهول على سطح القمر- المعروف باسم ماريه كريسيَم (بحر الشَّدائد)، الذي يَبلُغ قُطره ثلاثمئة ميل، وشبه مُحاط بالكامل بحلقةٍ من الجبال المهيبة، ولم يُستكشَف إطلاقًا حتى دخلناه في أواخر صيف ١٩٩٦.

كانت بعثتنا كبيرةً، ضمَّت سفينتَي شحن ثقيلتيْن طارَتا بمؤننا ومعدَّاتنا من القاعدة القمريَّة الرَّئيسيَّة في الماريه سرنيتاتِس (بحر الصَّفاء) التي تَبعُد خمسمئة ميل، كما ضمَّت ثلاثة صواريخ صغيرةً معدَّةً للنَّقل قصير المدى فوق المناطق التي يتعذَّر عبورها بعرباتنا السَّطحيَّة. من حُسن الحظِّ أنَّ أرض الماريه كريسيَم معظمها مستوٍ بشدَّة، ليس فيها أيٌّ من الصُّدوع العظيمة المنتشرة جدًّا والخطرة

جدًّا في بقاعٍ أخرى، وما فيها من فوَّهاتٍ أو جبالٍ من أيِّ حجمٍ قليلٌ للغاية. على حدِّ تقديرنا، لن تُواجِه جرَّاراتنا المجنزَرة صعوبةً في حملنا إلى أيِّ مكانٍ نشاء.

أنا جيولوجي -أو سلينولوجي (جيولوجي قمري) إذا أردت الحذلقة- مسؤول عن المجموعة المكلَّفة باستكشاف القطاع الجنوبي من الماريه. خلال أسبوعٍ قطعنا منه مئة ميل، دائرين من حول التِّلال السَّفحيَّة التي تقود إلى الجبال المرتفعة على طول ساحلِ ما كان البحر العتيق قبل ألف مليون سنة أو نحوها. في الوقت الذي بدأت فيه الحياة على الأرض، كانت هنا في طور الموت، والمياه تنحسر إلى أجناب تلك الجروف الهائلة، تنسحب إلى قلب القمر الخالي. الأرض التي نقطعها الآن احتلَّها سابقًا المحيط عديم المدِّ الذي بلغَ عُمقه نصف ميل، وحاليًّا الأثر الوحيد للنَّداوة هو الصَّقيع الأبيض الذي يجده المرء أحيانًا في كهوفٍ لم ينفذ إليها قَطُّ ضوء الشَّمس الحارق.

بدأنا رحلتنا مبكِّرًا في الفجر القمري البطيء، ولم يزَل لدينا نحو أسبوعٍ بزمن الأرض قبل هبوط اللَّيل. نحو ستِّ مرَّاتٍ يوميًّا اعتدنا ترك عرباتنا والخروج ببِذلنا الفضائيَّة للتَّنقيب عن معادن تُثير الاهتمام، أو لوضع علاماتٍ إرشاديَّة للمسافرين في المستقبل. روتين هادئ لا يُميِّزه شيء، فاستكشاف القمر لا ينطوي على خطورةٍ أو حتى إثارةٍ معيَّنة. يُمكننا العيش شهورًا في جرَّاراتنا مكيَّفة الضَّغط، وإذا صادفنا مشكلةً فيُمكننا دائمًا أن نَطلُب النَّجدة

باللا سلكي ونجلس في أماكننا إلى أن تأتي إحدى السُّفن الفضائيَّة لإنقاذنا. حينما يَحدُث ذلك تتبعه دومًا جعجعةٌ مخيفة عن تبديد وقود الصَّواريخ، ولذا لا تُرسِل الجرَّارات إشارة استغاثة إلَّا في حالات الطَّوارئ الفعليَّة.

قلتُ لتوِّي إنَّ استكشاف القمر يخلو من الإثارة، إلَّا أنَّ ذلك ليس صحيحًا بالطَّبع. لا يُمكن أن يملَّ المرء أبدًا تلك الجبال المذهلة، الأشد وعورةً من تلال الأرض الرَّقيقة. لم نعرف قَطُّ ونحن ندور من حول رؤوس ذلك البحر الزَّائل ورُعونه أيَّة عجائب ستتبدَّى لنا. منحنى الماريه كريسيَم الجنوبيُّ بأكمله عبارةٌ عن دلتا شاسعة حيث انصبَّت في الماضي مياه نحو عشرين نهرًا في المحيط، غذَّتها ربَّما الأمطار الغزيرة التي انهمرَت لا شكَّ على الجبال خلال العصر البُركاني الوجيز في شباب القمر. كلٌّ من هذه الوديان العتيقة كان بمثابة دعوةٍ تتحدَّانا أن نتسلَّق النُّجود المجهولة وراءه، ولكن لم تزَل علينا تغطية مئة ميلٍ أخرى، ولم نستطِع إلَّا النَّظر بشوقٍ إلى المرتفعات التي يجب أن يرتقيها آخَرون.

التزمنا زمن الأرض على متن الجرَّار، وفي تمام السَّاعة ٢٢:٠٠ كانت رسالة اللا سلكي الأخيرة تُرسَل إلى القاعدة ونختم البثَّ لهذا اليوم. في الخارج تظلُّ الصُّخور تلتهب تحت الشَّمس شبه العموديَّة، أمَّا عندنا فهو اللَّيل حتى نستيقظ ثانيةً بعد ثماني ساعات. عندئذٍ يُحضِّر أحدنا الفطور، ويرتفع أزيزٌ عظيم من ماكينات الحلاقة الكهربائيَّة، ويُشغِّل أحدهم راديو الموجات القصيرة على إذاعة

الأرض. في الحقيقة، لَمَّا كانت رائحة القديد المحمَّر تملأ القمرة، صعبَ أحيانًا أن نُصدِّق أننا لسنا في عالمنا الأصلي، فكلُّ شيءٍ كان عاديًّا أنيسًا، باستثناء إحساس الوزن المخفَّض والبُطء غير الطَّبيعي الذي تَسقُط به الأشياء.

حانَ دوري لتحضير الفطور في رُكن القمرة الرَّئيسيَّة الذي استخدمناه مطبخًا. أذكرُ تلك اللَّحظة بمنتهى الوضوح حتى بعد كلِّ تلك السِّنين، إذ بثَّ الراديو لتوِّه أحد ألحاني المفضَّلة، الأغنيَّة الشَّعبيَّة الولشيَّة «ديڤد صاحب الصَّخرة البيضاء». كان سائقنا قد خرجَ مرتديًا بذلته ليفحص جنازير الجرَّار، واستقرَّ مساعدي لويس جارنت في وضع التَّحكُّم في المقدِّمة ليُدرِج بعض البيانات المتأخِّرة في سجل اليوم السَّابق.

فيما وقفتُ عند المقلاة أنتظرُ -مثل أيِّ ربَّة بيتٍ أرضيَّة- أن يحمرَّ السُّجق، تركتُ نظري يجوس بشرودٍ في الجُدران الجبليَّة التي تُغطِّي الأفق الجنوبيَّ كاملًا، وتمتدُّ لتغيب عن مرمى البصر إلى الشَّرق والغرب تحت منحنى القمر. من الجرَّار بدَت كأنها تَبعُد ميلًا أو اثنيْن لا غير، وإن علمتُ أنَّ بيننا وبين أقربها عشرين ميلًا. لا يعرف القمر بالطَّبع مضيعةً للتَّفاصيل مع المسافات البعيدة، لا شيء من تلك الضَّبابيَّة التي تكاد لا تُلحَظ وتُنعِّم -وأحيانًا تُحوِّل- أشكال الأشياء البعيدة كلِّها على الأرض.

تُناهِز تلك الجبال عشرة آلاف قدمٍ طولًا، وترتفع من السَّهل بانحداراتٍ حادَّة، كأن ثورانًا بُركانيًّا اخترقَ بها القشرة المنصهرة في

اتِّجاه السَّماء قبل عصور. حتى أقربها سفحه محجوبٌ عن الأنظار وراء سطح السَّهل المنحني بحدَّة، فالقمر عالمٌ صغير جدًّا، وحيث وقفتُ بدا أنَّ الأفق يَبعُد ميليْن فحسب.

رفعتُ ناظريَّ إلى القمم التي لم يتسلَّقها قَطُّ إنسان، القمم التي -قبل مجيء الحياة الأرضيَّة- شهدَت المحيطات المنحسرة تغيض بجهامةٍ في قبورها، آخذةً معها الأمل والوعد بنشأة عالمٍ بِكر. بوهجٍ يُوجِع العيون لفحَ ضوء الشَّمس تلك الرَّواسي، ومع ذلك، فوقها بمسافةٍ قصيرة، تألَّقت النُّجوم بثباتٍ في سماءٍ أحلك من منتصف اللَّيل في شتاءٍ أرضي.

بينما أشحتُ بوجهي لمحَت عيني بريقًا معدنيًّا عاليًا فوق قمَّة رعنٍ عظيم يمتدُّ شاقًّا البحر على بُعد ثلاثين ميلًا إلى الغرب. كانت نُقطةً من الضَّوء بلا أبعاد، كأنَّما انتزعَت مخالب إحدى تلك الذُّرى القاسية نجمًا من السَّماء، وتخيَّلتُ سطحًا صخريًّا أملس يصيد ضوء الشَّمس ويعكسه في عينيَّ مباشرةً. أشياء كهذه ليست خارقةً للعادة، فحين يَدخُل القمر تربيعه الثَّاني، يستطيع المراقبون على الأرض أحيانًا أن يروا السَّلاسل الجبليَّة العظيمة في أوسيانِس پروسلارم (محيط العواصف) تتَّقد بتفزُّحٍ أبيض مزرق، إذ يُومِض ضوء الشَّمس من المنحدرات ويثب من عالمٍ إلى عالم. على أنني شعرتُ بالفضول نحو نوع تلك الصَّخرة التي تَبرُق بهذا السُّطوع هناك بالأعلى، وتسلَّقتُ إلى بُريج المراقبة، وحرَّكتُ مرصادنا الذي يَبلُغ طوله أربع بوصاتٍ إلى الغرب.

رأيتُ ما يكفي لأن أتحمَّس. واضحةً وبارزةً في مجال البصر، بدا كأن قمم الجبال تَبعُد نصف ميلٍ فقط، لكن ما يعكس ضوء الشَّمس أيًّا كان ظلَّ أصغر من أن تُحدَّد ماهيته، ورغم ذلك بدا أنَّ له تمائُلًا شكليًّا محيِّرًا، والقمَّة التي يستقرُّ فوقها مسطَّحةٌ على نحوٍ يُثير الفضول. حدَّقتُ وقتًا طويلًا إلى ذلك اللُّغز المتلألئ، أدقِّقُ نظري إلى الفضاء حتى أعلمَتني رائحة احتراقٍ من المطبخ أنَّ سُجق الفطور قطعَ رحلة رُبع مليون ميل عبثًا.

طيلة ذلك الصَّباح انهمَكنا في الجدل ونحن نقطع طريقنا عبر الماريه كريسيَم فيما ظلَّت الجبال الغربيَّة تتعالى في السَّماء. حتى في أثناء خروجنا بالبِذل الفضائيَّة للتَّنقيب استمرَّت المحادثة عبر اللا سلكي. حاجَّني رفيقاي قائلين إنه ممَّا لا شكَّ فيه على الإطلاق أنَّ حياةً ذكيَّةً لم تُوجَد قطُّ على القمر؛ الكائنات الحيَّة الوحيدة التي وُجدَت هنا يومًا ليست إلَّا قليلًا من النَّباتات البدائيَّة وأسلافها الأقل تخلُّفًا بقليل. كنتُ أعلمُ هذا كأيِّ أحدٍ آخَر، لكن في أوقاتٍ معيَّنة على العالِم ألَّا يخاف أن يجعل من نفسه موضع استهزاء.

أخيرًا قلتُ: «اسمعا، سأصعدُ إلى هناك ولو لمجرَّد راحة بالي. ذلك الجبل يرتفع أقلَّ من اثني عشر ألف قدم -أي إنها ألفا قدمٍ فقط تحت جاذبيَّة الأرض- ويُمكنني أن أقطع الرِّحلة خلال عشرين ساعةً على الأكثر. لطالما أردتُ أن أتسلَّق تلك التِّلال عمومًا، والآن لديَّ ذريعة ممتازة».

قال جارنت: «إذا لم تكسر عُنقك فستُصبِح أضحوكة البعثة عندما نعود إلى القاعدة. على الأرجح سيُسمَّى ذلك الجبل «حماقة ويلسن» من الآن فصاعدًا».

رددتُ بحزم: «لن أكسر عُنقي. مَن أوَّل رجلٍ تسلَّق جبل پيكو وفوَّهة هليكون؟».

سألَني لويس برفق: «ولكن ألم تكن أكثر شبابًا آنذاك؟».

قلتُ بإباءٍ عظيم: «وهو سببٌ لا يقلُّ وجاهةً عن غيره للذَّهاب».

خلدنا إلى النَّوم مبكِّرًا ليلتها بعد أن تقدَّمنا بالجرَّار إلى قُرب نصف ميلٍ من الرَّعن. قرَّرنا أن يأتي معي جارنت في الصَّباح، فهو ماهرٌ في التَّسلُّق، وكثيرًا ما رافقَني في مثل تلك المهام الجريئة، أمَّا سائقنا فسُرَّ أيَّما سرورٍ ببقاء الماكينة في عُهدته.

لأوَّل وهلةٍ بدَت الجروف غير قابلةٍ للتَّسلُّق بالمرَّة، غير أنَّ التَّسلُّق يَسهُل على شخصٍ بارع في ارتقاء المرتفعات في عالمٍ تَبلُغ فيه الأوزان جميعًا سُدس قدرها العادي. الخطر الحقيقي في تسلُّق جبال القمر يَكمُن في الإفراط في الثِّقة بالنَّفس، فالسُّقوط من ارتفاع ستمئة قدمٍ على القمر كفيلٌ بقتلك مثل السُّقوط من ارتفاع مئة قدمٍ على الأرض.

توقَّفنا في محطَّتنا الأولى على إفريزٍ صخريٍّ عريض يرتفع أربعة آلاف قدمٍ فوق السَّهل. لم يشقَّ عليَّ التَّسلُّق، لكن أطرافي تيبَّست

من الجهد الذي لم تعتَده، وسرَّني أن أستريح قليلًا. لم يزَل يُمكننا أن نرى الجرَّار كحشرةٍ معدنيَّة ضئيلة عند سفح الجُرف البعيد، وأبلغنا السَّائق بتقدُّمنا قبل بدء المرحلة التَّالية.

ساعةً بعد ساعةٍ اتَّسع الأفق ولاحَ لنا مزيدٌ ومزيدٌ من السَّهل العظيم. الآن أمكنَنا أن نرى على مسافة خمسين ميلًا عبر الماريه، بل وأيضًا قمم الجبال على السَّاحل المقابل الذي يَبعُد أكثر من مئة ميل. قليلٌ من السُّهول القمريَّة العظيمة مستوٍ مثل الماريه كريسيَم، وقد تخيَّلنا أنَّ بحرًا من الماء لا الصَّخر يمتدُّ أسفلنا بميليْن. وحدها مجموعةٌ من الفوَّهات الوطيئة في خطِّ الأفق أفسدَت الصُّورة الوهميَّة.

ظلَّ هدفنا خفيًّا فوق ذُروة الجبل، في حين وجَّهنا نفسيْنا بالخرائط مستخدميْن الأرض دليلًا. إلى شرقنا تقريبًا تدلَّى الهلال الفضِّي الهائل منخفضًا فوق السَّهل وقد دخلَ تربيعه الأوَّل. قريبًا ستبدأ الشَّمس والنُّجوم زحفها البطيء عبر السَّماء وتغوص غائبةً عن الأنظار، أمَّا الأرض فستبقى دائمًا، لا تتحرَّك من مكانها المحدَّد، تَكبُر وتَصغُر على مرِّ السِّنين والفصول. في غضون عشرة أيَّام ستُصبِح قُرصًا مُعمِيًا يغمر هذه الصُّخور بضياء منتصف اللَّيل، ولكن علينا أن نُغادِر الجبال قبل نزول اللَّيل وإلَّا فسنبقى بينها إلى الأبد.

كانت الحرارة داخل بذلتيْنا باردةً مريحةً إذ كافحَت وحدات التَّبريد الشَّمس الشَّعواء وتخلَّصت من حرارة جسديْنا التي ولَّدها

المجهود. قلَّما تكلَّمنا إلَّا للإشارة إلى تعليمات التَّسلُّق أو مناقشة أفضل الخُطط للصُّعود. لا أدري فيمَ كان جارنت يُفكِّر. غالبًا أنه لم يتصدَّ قَطُّ لمهمَّةٍ يائسة بهذا الجنون. وإلى حدٍّ لا بأس به أيَّدته، إلَّا أن بهجة التَّسلُّق، معرفتي أنَّ إنسانًا لم يَسلُك هذا الطَّريق قَطُّ، ونشوتي بالمنظر الطَّبيعي المتَّسع باطِّراد، منحَتني كلَّ ما احتجتُ إليه من مكافأة.

لا أظنُّني شعرتُ بإثارةٍ خاصَّة حين رأيتُ أمامنا الجِدار الصَّخري الذي عاينته بالمرصاد من بُعد ثلاثين ميلًا. فوق رأسيْنا بنحو خمسين قدمًا سيستوي، وهناك فوق الهضبة يقبع الشَّيء الذي استدرجَني إلى قطع هذه القِفار الجدباء. كنتُ شبه موقنٍ أنه لا يعدو جُلمودًا شظَّاه قبل زمنٍ طويل شهابٌ ساقط، وما زالَت سطوحه المشقَّقة جديدةً بارقةً في هذا الصَّمت البِكر المقيم.

لم نجد في وجه الصَّخرة شيئًا نقبض عليه لنتسلَّق، فاضطررنا إلى استخدام كُلَّاب. بدا أنَّ ذراعيَّ المتعبتيْن اكتسبَتا قوَّةً جديدةً إذ دوَّرتُ الهِلب المعدنيَّ ذا الخطاطيف الثَّلاثة حول رأسي ثم قذفتُ به ليُبحِر صوب النُّجوم. في المرَّة الأولى انخلعَ وعادَ ساقطًا ببُطء حين شددنا الحبل، وفي المحاولة الثَّالثة علقَت الخطاطيف بإحكامٍ ولم يقوَ وزنانا مجتمعيْن على تحريك الكُلَّاب.

رمقَني جارنت بقلق. رأيتُ أنه يُريد أن يصعد أوَّلًا، لكنني رددتُ عليه بابتسامةٍ عبر زُجاج خوذتي وهززتُ رأسي رفضًا، وبتؤدةٍ وتأنٍّ بدأتُ مرحلة الصُّعود الأخيرة.

حتى ببذلتي لم يزِد وزني هنا على أربعين رطلًا، وهكذا سحبتُ نفسي إلى أعلى واضعًا يدًا فوق يدٍ دون أن أكلِّف نفسي استخدام قدميَّ. عند الحافة توقَّفتُ ولوَّحتُ لرفيقي، ثم رفعتُ نفسي ووقفتُ منتصبًا أحدِّقُ أمامي.

يجب أن تفهموا أنني حتى تلك اللَّحظة كنتُ على قناعةٍ شبه تامَّة بأنني لن أجد هنا شيئًا غريبًا أو خارجًا عن المألوف. قناعة شبه تامَّة لا تامَّة، فذلك الشَّكُّ الممضُّ هو ما دفعَني إلى الأمام. حسن، الشَّكُّ لم يَعُد شكًّا، لكن المضض بالكاد بدأ.

وقفتُ فوق هضبةٍ عرضها مئة قدم أو نحوها. كانت ملساء يومًا -أكثر ملاسةً من أن تكون طبيعيَّةً- إلَّا أنَّ الشُّهب السَّاقطة نقَّرت سطحها وخدَّشته على مرِّ دهورٍ لا تُحصى، وقد سُوِّيَت لتدعم هيكلًا برَّاقًا شبه هرمي، بلغَ طوله ضعفَي قامة رجل، وثُبِّتَ في الصَّخر مثل جوهرةٍ عملاقة متعدِّدة الوجوه.

على الأرجح، لم تُفعِم عقلي أيَّة مشاعر على الإطلاق خلال تلك الثَّواني الأولى. ثم إنني شعرتُ بانشراحٍ عظيم في قلبي، وببهجةٍ غريبة تستعصي على الوصف. ذلك أنني أحببتُ القمر، والآن عرفتُ أنَّ الطَّحالب المعترشة في فوَّهتَي أرسطرخس وإراتوستنيس ليست صورة الحياة الوحيدة التي تمخَّض عنها في شبابه. حُلم المستكشفين الأوائل الذي طُعِنَ فيه قديمًا حقيقة. اتَّضح إذًا أنَّ حضارةً قمريَّةً قامَت في الماضي... وأنا أوَّل من يكتشفها. لم يُزعِجني وصولي متأخِّرًا بمئة مليون سنةٍ تقريبًا؛ كفاني أنني جئتُ أصلًا.

عادَ عقلي يعمل عمله الطَّبيعي، يُحلِّل ويطرح الأسئلة. أهذا بناء أو مَقام؟ أم إنه شيء لا تحوي لُغتي اسمًا يصفه؟ لو أنه بناء فلِمَ أقيمَ في بُقعةٍ تتفرَّد بعُسر الوصول إليها؟ تساءلتُ هل هو معبد، وتخيَّلتُ كهنة طائفةٍ غريبة يتضرَّعون إلى آلهتهم أن يحفظوهم إذ تدهورَت الحياة على القمر مع احتضار المحيطات، يتضرَّعون إلى آلهتهم بلا طائل.

تقدَّمتُ دستةً من الخُطوات لأفحص الشَّيء من كثب، لكن حاسَّة حذرٍ ما منعَتني من الاقتراب أكثر من اللَّازم. كنتُ أعرفُ قليلًا من علم الآثار، وحاولتُ أن أخمِّن المستوى الثَّقافي الذي بلغَته الحضارة التي لا بُدَّ أنها سوَّت هذا الجبل ورفعَت الأسطُح العاكسة اللَّامعة التي لم تزَل تُبهِر بصري.

فكَّرتُ أنَّ المصريِّين القُدماء كانوا سيقدرون على ذلك إذا امتلكَ عُمَّالهم المواد والأدوات العجيبة التي استخدمَها هؤلاء المعماريُّون الأقدم بعصور. بسبب صِغر حجمه، لم يَخطُر لي أنه لعلِّي أنظرُ إلى عملٍ يدويٍّ قامَ به جنسٌ أكثر تقدُّمًا من جنسي. فكرة أنَّ القمر ضمَّ حياةً ذكيَّةً أصلًا لم تزَل أفدح من أن أستوعبها، وكبريائي حالَت دون أن أسلِّم بالحقيقة المهينة.

ثم لاحظتُ شيئًا زحفَت له القشعريرة على مؤخِّرة عُنقي... شيئًا في غاية البساطة والبراءة حتى إنَّ كثيرين ما كانوا ليلحظوه على الإطلاق. ذكرتُ من قبل أنَّ سطح الهضبة شوَّهته الشُّهب، وأضيفُ أنه مغلَّف أيضًا بطبقةٍ عُمقها بوصات عدَّة من الغُبار

الكوني الذي ينفذ دومًا إلى سطح أيِّ عالمٍ حيث لا تُوجَد رياحٌ تذروه. ولكن فجأةً ينتهي الغُبار وخدوش الشُّهب في دائرةٍ واسعة تُحوِّط الهرم الصَّغير، كما لو أنَّ سورًا خفيًّا يحميه من عيث الزَّمن والقصف المستمر -رغم بُطئه- من الفضاء.

سمعتُ أحدهم يصيح في سمَّاعة الأذن، وأدركتُ أنَّ جارنت يُناديني منذ مُدَّة. مشيتُ بلا ثباتٍ إلى حافة الجُرف وأشرتُ له باللَّحاق بي غير واثقٍ بقُدرتي على الكلام، ثم رجعتُ إلى الدَّائرة في الغُبار. التقطتُ شظيَّةً من صخرةٍ ورميتها برفقٍ نحو اللُّغز اللَّامع. لو اختفَت الحصاة عند ذلك الحاجز الخفي لما اندهشتُ، ولكن بدا أنها اصطدمَت بسطحٍ نصف كروي أملس وانزلقَت بهدوءٍ إلى الأرض.

علمتُ عندئذٍ أنني لا أنظرُ إلى شيءٍ يُمكن أن يُضاهيه أثرٌ من آثار جنسي العتيقة. ليس هذا بناءً، بل آلة تحمي نفسها بقُوى تتحدَّى الأبديَّة، وتلك القُوى -أيًّا كانت- ما زالَت تعمل، وربَّما دنوتُ منها أكثر من اللَّازم عن نفسي. فكَّرتُ في مختلف أنواع الإشعاع التي سيطرَ عليها الإنسان وروَّضها خلال القرن الماضي. على حدِّ علمي، قد أكونُ هالكًا لا محالة كأنني دخلتُ في الهالة المميتة الصَّامتة المحيطة بكومة نُفاياتٍ نوويَّة مكشوفة.

أذكرُ التفاتي لحظتها إلى جارنت الذي انضمَّ إليَّ ويقف الآن بجانبي بلا حراكٍ وقد بدا غافلًا عن وجودي تمامًا، فلم أزعجه وسرتُ إلى حافة الجُرف سعيًا لاستجماع أفكاري. هناك أسفلي امتدَّ

الماريه كريسيَم -بحر الشَّدائد حقًّا- غريبًا وعجيبًا في نظر معظم النَّاس ومألوفًا لي على نحوٍ مُطَمئِن. رفعتُ عينيَّ إلى هلال الأرض الرَّاقدة في مهدٍ من النُّجوم، وتساءلتُ ماذا غطَّت سُحبها حينما أنهى أولئك البنَّاؤون المجهولون عملهم. أهي غابةٌ ينبعث منها البُخار من العصر الكربوني؟ أم ساحلٌ كئيب تزحف عليه البرمائيَّات الأولى لتغزو اليابسة؟ أم إنها -في زمنٍ أقدم وأقدم- العُزلة الطَّويلة قبل ظهور الحياة؟

لا تسألوني لِمَ لم أخمِّن الحقيقة في وقتٍ أبكر... الحقيقة التي تبدو في منتهى الوضوح الآن. في خضمِّ إثارة الاكتشاف التي استحوذَت عليَّ، افترضتُ دونما شكٍّ أنَّ هذا الطَّيف البلَّوري بناه جنسٌ ما انتمى إلى ماضي القمر البعيد، ولكن فجأةً، وبقوَّةٍ غامرة، تملَّكني الاعتقاد أنه غريبٌ على القمر مثله مثلي.

على مرِّ عشرين عامًا لم نجد أثرًا لحياةٍ باستثناء نباتاتٍ مضمحلَّة. لا حضارة قمريَّة مهما كان مصيرها يُمكن أن تَترُك أثرًا واحدًا لا أكثر يدلُّ على وجودها.

مرَّةً أخرى نظرتُ إلى الهرم اللَّامع، فبدا أبعد وأبعد عن أيِّ شيءٍ له علاقة بالقمر. وفجأةً شعرتُ بضحكٍ هستيري أحمق يهزُّني، دفعَتني إليه الإثارة والإجهاد المفرط، إذ تخيَّلتُ الهرم الصَّغير يُخاطِبني قائلًا: «معذرةً، أنا نفسي غريبٌ هنا».

استغرقنا عشرين عامًا حتى استطعنا اختراق ذلك الحاجز الخفي وبلوغ الماكينة خلف الجُدران البلَّوريَّة. ما لم يُمكننا فهمه

حطَّمناه أخيرًا بجبروت الطَّاقة الذرِّيَّة، ورأيتُ شظايا الشَّيء المتألِّق الجميل الذي وجدته فوق الجبل.

وإنها بلا معنى. آليَّات الهرم -لو أنها آليَّات حقًّا- تنتمي إلى تكنولوجيا تتجاوَز آفاقنا بمسافاتٍ شاسعة، ربَّما إلى تكنولوجيا تعمل بقُوى من وراء الطَّبيعة.

والغموض يمضُّنا أكثر فأكثر الآن بعدما بلغنا كواكب مجموعتنا الشَّمسيَّة الأخرى وعلمنا أنَّ الأرض وحدها كانت يومًا دارًا لحياةٍ عاقلة. ولا يُمكن أنَّ أيَّ حضارةٍ بائدة في عالمنا بنَت تلك الماكينة، فسُمك طبقة غُبار الشُّهب على الهضبة مكَّننا من حساب عُمرها، ولقد وُضعَت هناك فوق جبلها قبل أن تَخرُج الحياة من بحار الأرض.

عندما كان عالمنا في نصف سنِّه الحاليَّة، انطلقَ شيء ما من بين النُّجوم عبر المجموعة الشَّمسيَّة وتركَ هذا الدَّليل على مروره قبل أن يُواصِل طريقه. حتى دمَّرناها، ظلَّت الماكينة تُؤدِّي غرض بنَّائيها، وفيما يتعلَّق بذلك الغرض، إليكم تخميني.

في دائرة الطَّريق اللَّبني يدور نحو مئة ألف مليون نجم، ومؤكَّد قبل زمنٍ طويل أنَّ أجناسًا أخرى على عوالم شموسٍ أخرى ارتقَت الأعالي التي بلغناها وتجاوزَتها. فكَّروا في تلك الحضارات الموغلة في القِدم التي ظهرَت فيما خفتَ وهج الخلق، سادة كونٍ حديث الميلاد لم تنشأ فيه الحياة إلَّا على حفنةٍ من الكواكب. مؤكَّد أنَّ وحدتهم كانت وحدةً نعجز عن تخيُّلها، وحدة آلهةٍ يجوسون بأبصارهم في عوالم لا نهائيَّة ولا يجدون أحدًا يُشارِكونه أفكارهم.

لا بُدَّ أنهم استقصوا عناقيد النُّجوم مثلما استقصينا الكواكب، فوجدوا في كلِّ مكانٍ عوالم لكنها خاليةٌ أو مأهولةٌ بكائناتٍ زاحفة غير عاقلة. هكذا كانت أرضنا التي لم يزَل دُخان براكينها العُظمى يُلطِّخ السَّماء حين جاءَت سفينة شعوب الفجر الأولى من الهاوية بعد پلوتو. حينئذٍ مرُّوا بالعوالم الخارجيَّة المتجمِّدة عالمين أنَّ الحياة لن تلعب دورًا في مصايرها، واستقرُّوا بين الكواكب الدَّاخليَّة التي تُدفِّئ أنفُسها حول نار الشَّمس في انتظار أن تبدأ قصصها. لا بُدَّ أنَّ هؤلاء الرحَّالة نظروا إلى الأرض الدَّائرة بأمانٍ في النِّطاق الضيِّق بين النَّار والجليد، ولا بُدَّ أنهم خمَّنوا أنها طفلة الشَّمس الأثيرة. هنا في المستقبل البعيد ستظهر حياةٌ عاقلة، إلَّا أنَّ أمامهم نجومًا بلا عدد، وقد لا يعودون إلى هذه الأنحاء ثانيةً.

وهكذا تركوا حارسًا، واحدًا من ملايين نشروهم في أنحاء الكون ليسهروا على العوالم الواعدة بالحياة. كان الحارس منارةً ظلَّت على مرِّ العصور تُرسِل بصبرٍ إشارةً بحقيقة أنَّ أحدًا لم يكتشفها بعدُ.

لعلَّكم تفهمون الآن لماذا وُضِعَ الهرم البلَّوري فوق القمر لا الأرض. الذين بنوه لم يعبؤوا بالأجناس التي ما زالَت تُكافِح للخروج من طور الهمجيَّة، ولن يكترثوا لحضارتنا إلَّا إذا أثبتنا أهليَّتنا للنَّجاة... بعبور الفضاء ومن ثمَّ الهرب من الأرض، مهدنا. هذا هو التَّحدِّي الذي يجب أن تُواجِهه الأجناس العاقلة كلُّها عاجلًا أو آجلًا، وهو تحدٍّ مزدوج لأنه معتمد بدوره على تسخير الطَّاقة الذرِّيَّة والخيار النِّهائي بين الحياة والموت.

وبمجرَّد اجتيازنا تلك الأزمة كانت مسألة وقتٍ فقط قبل أن نَعثُر على الهرم ونفتحه عنوةً. والآن انقطعَت إشاراته، وإلى الأرض ستتوجَّه عقول مَن كان واجبهم متابعتها. قد يرغبون في مساعدة حضارتنا الطِّفلة، ولكن مؤكَّد أنهم قُدماء جدًّا جدًّا، والقُدماء عادةً يغارون بجنونٍ من الجُدد.

لا يُمكنني الآن النَّظر إلى الطَّريق اللَّبني دون أن أتساءَل من أيِّ سُحب النُّجوم المتراكمة تلك سيأتي المبعوثون. إذا سمحتم لي باستخدام تشبيهٍ مبتذل: لقد كسرنا زُجاج إنذار الحريق، وليس بوسعنا إلَّا الانتظار.

ولا أظنُّنا سنضطرُّ إلى الانتظار طويلًا.

آرثر تشارلز كلارك (١٩١٧-٢٠٠٨): كاتب خيال علمي وباحث ومخترع بريطاني، من أهم من كتبوا في الخيال العلمي على الإطلاق، حصلَ عدَّة مرَّات على جوائز «هيوجو» و«نبيولا» وغيرهما، كما رُشِّح لجائزة نوبل للسَّلام في عام ١٩٩٤.

كتبَ كلارك القصَّة في عام ١٩٤٨ من أجل مسابقةٍ أدبيَّة أعلنَت عنها *BBC*، ولمَّا لم تَفُز نشرَها بعنوان «*Sentinel of Eternity*» في مجلَّة «*10 Story Fantasy*»، وعُرِفَت بعدها بعنوان «*The Sentinel*». غيَّرت القصَّة مسار كلارك المهني في الكتابة، بخاصَّةٍ عندما اعتمدَ عليها المخرج ستانلي كوبرِك في قصَّة فيلمه «2001: A Space Odyssey».

آلة شهرزاد الكاتبة

* جو هيل *

على قدر ما ترجع ذاكرة إلينا، تعوَّد أبوها أن ينزل إلى القبو كلَّ ليلةٍ بعد العمل، فلا يَخرُج إلَّا بعد كتابة ثلاث صفحاتٍ على الآلة الكاتبة الكهربائيَّة الطنَّانة التي ابتاعَها في أثناء دراسته بالجامعة، وهو بعدُ مؤمنٌ بأنه سيُصبِح يومًا ما روائيًّا مشهورًا. أيَّامٌ ثلاثة مرَّت على وفاته قبل أن تسمع ابنته صوت الآلة الكاتبة في القبو في الوقت المعتاد، دفقةً من نقراتٍ ونقراتٍ ونقراتٍ سريعة، متبوعةً بصمتٍ مترقِّب لا يملؤه إلَّا طنين الماكينة السَّخيف.

نزلَت إلينا السَّلالم في الظَّلام على ساقيْن ضعيفتيْن، وقد ملأ زنُّ الآلة الـ«آي بي إم سلكترك» الظُّلمة زنخة الرَّائحة، حتى بدا كأنما يتردَّد فيها تيَّارٌ كهربيٌّ كالذي يسبق العواصف الرَّعديَّة. مدَّت يدها إلى المصباح المجاور لآلة أبيها، وفي اللَّحظة التي أشعلَت فيها الضَّوء انطلقَت الآلة في فورةٍ جديدة من ضجَّة النَّقرات المتتابعة. صرخَت إلينا، وصرخَت ثانيةً لمَّا رأت المفاتيح تتحرَّك من تلقاء ذاتها، وكُرة الكتابة الكروم تندفع محتكَّة بالأسطوانة السَّوداء العارية.

أوَّل مرَّةٍ رأت فيها إلينا الآلة الكاتبة تعمل من تلقاء نفسها، شعرَت كأنها ستَسقُط مغشيًّا عليها من الصَّدمة. أمُّها أيضًا كادَ يُغشى عليها حين أرَتها إلينا في اللَّيلة التَّالية مباشرةً. عندما دبَّت الحياة في الآلة وبدأت تَكتُب، رفعَت أمُّها يديْها بحدَّةٍ وصرخَت وتمايلَت ساقاها تحتها، حتى إنَّ إلينا أمسكَتها من ذراعها لتحول دون سقوطها. على أنهما اعتادَتا الأمر خلال أيَّام قليلة، ثم وجدَتاه مثيرًا. خطرَت لأمِّها فكرة أن تضع ورقةً قُبيل تشغيل الآلة نفسها في الثَّامنة مساءً، إذ أرادَت أن ترى ما تَكتُبه، وهل هو رسالةٌ من العالم الآخَر. قبري باردٌ. أحبُّكما وأفتقدكما. لكن ما كُتِبَ ليس إلَّا واحدةً أخرى من قصصه القصيرة، وليس من البداية حتى، بل بدأت الصَّفحة في منتصف جُملة.

أمُّ إلينا هي التي فكَّرت في الاتِّصال بوكالات الأنباء المحلِّيَّة.

أتَت مُنتجة من القناة الخامسة لترى الآلة الكاتبة، ومكثَت حتى شغَّلت نفسها وكتبَت بضع جُمل، ثم نهضَت المرأة وأسرعَت تصعد السَّلالم. هرعَت أمُّ إلينا وراءها مفعمةً بالأسئلة التوَّاقة، وقالت المُنتجة بنبرةٍ مقتضبة: «تحكُّم من بُعد»، ثم نظرَت من فوق كتفها والاشمئزاز بادٍ عليها، وأضافَت: «متى دفنتِ زوجكِ يا سيِّدتي؟ منذ أسبوع؟ ما خطبكِ؟».

لم يهتمَّ أيٌّ من المحطَّات الأخرى، والرَّجل في الجريدة قال إنَّ الموضوع لا يبدو مناسبًا لهم، وحتى الأقارب شكَّ بعضهم أنها حيلة تفتقر إلى الذَّوق. ذهبَت أمُّ إلينا إلى فِراشها قانطةً حائرةً، وظلَّت

هناك أسابيع عدَّةً إذ طرحَها عليه صداعٌ نصفيٌّ فظيع. وفي القبو، كلَّ ليلة، ظلَّت الآلة الكاتبة تعمل ملقيةً بالكلمات على الورق في دفقاتٍ من النَّرثرة الصَّاخبة.

اعتنَت ابنة الرَّجل الميت بالـ«سلكترك»، فتعلَّمت متى بالضَّبط تُدرِج ورقةً جديدةً لكي تُنتِج الآلة كلَّ ليلةٍ ثلاث صفحاتٍ من الحكي، تمامًا كما فعلَت وأبو إلينا حيٌّ. الحقيقة أنَّ الماكينة بدَت كأنها تنتظرها، تطنُّ بنوعٍ من المرح إلى أن تُوضَع فيها ورقةٌ جديدة لتُلطِّخها بالحبر.

طويلًا بعدما لم يَعُد أحدٌ يُريد التَّفكير في الآلة الكاتبة، واظبَت إلينا على النُّزول إلى القبو ليلًا لتسمع الراديو وتطوي الغسيل وتُدرِج ورقةً جديدةً في الـ«آي بي إم» عند الحاجة. طريقةٌ بسيطة كفايةً لتزجية الوقت، لا تحتاج إلى تفكيرٍ ولا تعوزها العذوبة، أقرب كثيرًا إلى زيارة قبر أبيها يوميًّا لتضع عليه زهورًا طازجةً.

علاوةً على ذلك، بدأت إلينا تحبُّ قراءة القصص عندما تتمُّ. قصصٌ عن الأقنعة والبيسبول والآباء وأولادهم... وعن الأشباح. بعضها قصص أشباح، وهي أكثر ما راقَها. أليس هذا أوَّل ما يتعلَّمه المرء في كلِّ ورشة كتابةٍ في كلِّ مكان؟ اكتُب ما تعرفه؟ والشَّبح في الماكينة كتبَ عن الموتى بمنتهى الثِّقة.

بعد وقتٍ لم تَعُد شرائط الآلة الكاتبة متاحةً إلَّا بطلبٍ خاص، ثم كفَّت شركة «آي بي إم» نفسها عن تصنيعها. بليَت كُرة الكتابة، واستبدلَتها إلينا، لكن العربة بدأت تلتصق، وفي ليلةٍ علقَت تمامًا

ورفضَت أن تتحرَّك، وبدأ دُخان زيتيٌّ ينبعث من تحت غطاء الماكينة الحديديِّ. دقَّت الآلة الكاتبة حرفًا بعد حرفٍ وحرفًا فوق حرفٍ بنوعٍ من الغضب المجنون، حتى هرعَت إليها إلينا وأطفأتها.

أخذَتها إلى رجلٍ يُصلِح الآلات الكاتبة القديمة وغيرها، وأعادَها في حالة عملٍ مثاليَّة، إلَّا أنها لم تُعاوِد الكتابة من تلقاء ذاتها قَطُّ. خلال الأسابيع الثَّلاثة التي قضَتها في المحلِّ فقدَت عادتها.

ذات مرَّةٍ في صِغرها سألَت إلينا أباها لماذا ينزل إلى القبو كلَّ ليلةٍ ليختلق أشياءَ، فقال لأنه لا يستطيع النَّوم ما لم يَكتُب، فالكتابة تُسخِّن خياله للعمل المتمثِّل في خلق ليلةٍ ملأى بالأحلام الحُلوة. والآن تُقلِقها فكرة أنَّ موته يخلو من الرَّاحة والنَّوم، ولكن ما بيدها حيلة.

عندما تعطَّلت الآلة تمامًا كانت إلينا في عشرينيَّاتها، وعندما ماتَت أمُّها عجوزًا تعيسةً في قطيعةٍ مع العالم كلِّه لا أسرتها فحسب، قرَّرت أن تنتقل إلى سكنٍ آخَر، ومعنى هذا بيع المنزل بكلِّ ما فيه. بالكاد شرعَت إلينا تفرز الفوضى في القبو قبل أن تجد نفسها تجلس على الدَّرجات وتُعيد قراءة القصص التي كتبَها أبوها بعد أن ماتَ. في حياته امتنعَ الرَّجل عن نشاط تقديم عمله للنَّاشرين وقد سئمَ الرَّفض، لكن العمل الذي أنتجَه بعد موته بدا للفتاة أكثر حيويَّةً بكثيرٍ من عمله السَّابق، وأحسَّت أنَّ قصصه عن المنازل المسكونة والأحداث الخارقة للطَّبيعة تحديدًا آسرة. على مرِّ الأسابيع القليلة التَّالية جمعَت إلينا أفضل القصص في كتابٍ واحد وبدأت تُرسِله إلى

النَّاشرين، الذين قال معظمهم إنَّ المجموعات القصصيَّة للكُتَّاب المجهولين لا سوق لها، لكنها سمعَت بعد فترةٍ من محرِّرٍ في دار نشرٍ صغيرة قال إنَّ الكتاب أعجبَه، إنَّ أباها تمتَّع بإحساسٍ رفيع بما وراء الطَّبيعة.

قالت إلينا: «أليس كذلك؟».

هذه هي القصَّة كما سمعتها بنفسي من صديقٍ في صناعة النَّشر، وقد أثارَ جهله التَّفاصيل فائقة الأهمِّيَّة جنوني، ولذا لا يُمكنني أن أخبركم أين نُشِرَ الكتاب أخيرًا أو متى، أو بأيِّ شيءٍ يخصُّ تلك المجموعة العجيبة. ليتني أعرفُ أكثر. باعتباري رجلًا مفتونًا بالماورائيَّات، أودُّ أن أقتنى نُسخةً.

لكن للأسف يبقى عنوان ذلك الكتاب النَّادر ومؤلِّفه طيَّ المجهول.

جو هيل (١٩٧٢-)، كاتب رُعب أمريكي مثله مثل أبيه ستيفن كينج، من أهم أعماله «الشَّبح» و«صندوق بشكل قلب».

نُشرت القصَّة بعنوان «*Scheherazade's Typewriter*» في صيغة كتابٍ صوتي في عام ٢٠٠٧.

حامي كاميلوت الأخير

* روجر زلازني *

لم يتوقَّع قُطَّاع الطَّريق الثَّلاثة الذين اعترَضوا سبيله في تلك اللَّيلة الأكتوبريَّة في سان فرانسسكو مقاومةً من العجوز رغم حجمه. لقد رأوه حسن الهندام، وكفاهم هذا.

تقدَّم إليه الأوَّل مادًّا يده، في حين تخلَّف الآخَران بضع خُطوات، وقال قاطع الطَّريق: «أعطِني محفظتك وساعتك وستُوفِّر على نفسك الأذى».

اعتدلَت يد العجوز على عُكَّازه، واستوَت كتفاه، وهفهفَ شعره الأبيض إذ أدارَ رأسه ليَنظُر إلى الآخَر قائلًا: «لِمَ لا تأتي وتأخذهما؟».

بدأ قاطع الطَّريق خُطوةً أخرى لكنه لم يُتمَّها. من فرط سُرعة الضَّربة بدا العُكَّاز شبه خفيٍّ وهو يُصيب صُدغه الأيسر ويُسقِطه.

دون أن يتوقَّف، التقطَ العجوز بيُسراه العُكَّاز من منتصفه، وتقدَّم ليهوي به على بطن أقرب الاثنيْن الآخَريْن، ولمَّا انثنى الرَّجل

على نفسه دفعَ العجوز رأس العُكَّاز إلى أعلى بحركةٍ خُطَّافيَّة أصابَته في الموضع الطَّري تحت فكِّه ووراء ذقنه، وفيما سقطَ الرَّجل ضربَه العجوز بعقب العُكَّاز على مؤخِّرة عُنقه.

في تلك الأثناء كان الثَّالث قد مدَّ يده ممسكًا عضد العجوز، ليُفلِت هذا العُكَّاز ويقبض بيُسراه على قميص قاطع الطَّريق وبيُمناه على حزامه، وينتشله عن الأرض حتى رفعَه فوق رأسه على طول ذراعيْه، ثم يضرب به جِدار المبنى إلى يمينه ويَترُكه في الآن نفسه يَسقُط.

سوَّى العجوز هندامه ومرَّر يده بين خُصل شعره واستعادَ عُكَّازه. للحظةٍ رمقَ الأجسام الثَّلاثة السَّاقطة، ثم هزَّ كتفيْه وواصلَ طريقه.

من مكانٍ ما إلى يساره بلغَت مسامعه أصوات حركة المرور. انعطفَ يمينًا عند النَّاصية التَّالية، وفيما مشى ظهرَ القمر فوق البنايات العالية، وقد حملَ الهواء رائحة المحيط. في وقتٍ سابق من اليوم نزلَ مطر، وما زالَ الرَّصيف يلمع في ضوء أعمدة الإنارة. تحرَّك على مهلٍ متوقِّفًا بين فينةٍ وفينةٍ ليستعرض محتويات نوافذ الحوانيت المظلمة. بعد عشر دقائق أو نحوها وصلَ إلى شارعٍ جانبيٍّ فيه نشاطٌ أكثر من أيٍّ من الشَّوارع الأخرى التي مرَّ عليها. رأى عند النَّاصية صيدليَّةً لا تزال مفتوحةً، وعلى مسافةٍ أبعد مطعمًا، وعدَّة واجهات محال حسنة الإضاءة. كان عددٌ من النَّاس يمشي على ناحية الشَّارع المنحدِر الأخرى، ومرَّ صبيٌّ مسرعًا بدرَّاجته.

انعطفَ داخلًا الشَّارع وعيناه الشَّاحبتان تَرصُدان كلَّ ما يمرُّ به، وفي منتصف مربَّع المباني بلغَ نافذةً متَّسخةً مرسومة عليها كلمة «قراءات»، وتحتها رسم تخطيطي ليدٍ وبعض أوراق اللَّعب المتناثرة. وهو يمرُّ بالباب المفتوح ألقى نظرةً عابرةً داخل المحل، فرأى امرأةً في ثيابٍ زاهية، شعرها مربوط بمنديل رأسٍ أخضر، جالسةً تُدخِّن في الخلفيَّة. ابتسمَت إذ التقَت أعيُنهما، ولوَت سبَّابتها مشيرةً إلى نفسها. ردَّ لها الابتسامة ودارَ، ولكن...

عادَ يَنظُر إليها. ما الذي لفتَ انتباهه؟ ألقى نظرةً على ساعته.

دائرًا ثانيةً، دخلَ المحل وتقدَّم ليقف أمامها، فنهضَت. صغيرة الحجم، بالكاد يُجاوِز طولها خمسة أقدام.

علَّق: «عيناكِ خضراوان. معظم الغجر الذين أعرفهم عيونهم داكنة».

هزَّت كتفيْها قائلةً: «المرء يرضى بما يناله في الحياة. هل عندك مشكلة؟».

- «أمهِليني لحظةً وسأفكِّرُ في واحدة. لقد دخلتُ لأنكِ تُذكِّريني بواحدةٍ والأمر يُزعِجني... لا أذكرُ مَن».

قالت: «تعالَ إلى المؤخِّرة واجلس. سنتكلَّم».

أومأ برأسه وتبعَها إلى حُجرةٍ صغيرة في المؤخِّرة. تُغطِّي سجَّادةٌ شرقيَّة بالية الأرض قُرب الطَّاولة الصَّغيرة التي جلسا إليها، وتُغطِّي الجُدران مطبوعات لدائرة البروج وملصقات سايكدليَّة باهتة، فيما

تستقرُّ كُرة بلَّوريَّة فوق حاملٍ صغير في الرُّكن البعيد بجوار مزهريَّةٍ من الورد المقطوف. إلى يمين الكُرة قطَّة ذات شعرٍ طويل قاتم نائمة على أريكة، وبعد الأريكة بابٌ موارب يقود إلى حُجرةٍ أخرى. الإضاءة الوحيدة في المكان مصدرها مصباحٌ رخيص على الطَّاولة أمامه، وشمعةٌ صغيرة في قاعدةٍ من الجبس فوق طاولة القهوة المغطَّاة بشال.

مالَ إلى الأمام مدقِّقًا النَّظر إلى وجهها، ثم هزَّ رأسه وعادَ يسند ظهره.

نفضَت رماد سيجارتها على الأرض، واستحثَّته: «مشكلتك؟».

تنهَّد وقال: «أوه، ليست عندي حقًّا مشكلةٌ يستطيع أحدٌ أن يُساعِدني على حلِّها. اسمعي، أظنُّني أخطأتُ بدخولي هنا، لكنني سأدفعُ لك تعويضًا عمَّا سبَّبته من إزعاج، تمامًا كما لو أنكِ قرأتِ طالعي. كم؟».

مدَّ يده إلى محفظته، لكنها رفعَت يدها وسألَته وعيناها تتفرَّسان في وجهه: «ألأنك لا تعتقد في هذه الأشياء؟».

أجابَ: «على العكس تمامًا. إنني مستعدٌّ للاعتقاد في السِّحر والتَّنجيم وجميع أصناف التَّعاويذ والخوارق، الملائكي منها والشَّيطاني، ولكن...».

- «ولكن ليس من أحدٍ في خرابةٍ كهذه؟».

ابتسمَ قائلًا: «لا تُؤاخِذيني».

عندئذٍ ملأ الهواء صفيرٌ بدا أنه صادرٌ من الحُجرة المجاورة.

قالت: «لا عليك. لكن الماء يغلي. نسيتُ أنني وضعته على النَّار. هل تشرب شايًا معي؟ إنني أغسلُ الأكواب. لا مقابل. العمل بطيء».

- «ليكن».

نهضَت وخرجَت، وألقى هو نظرةً على الباب الأمامي، لكنه عادَ يجلس بهدوءٍ مُريحًا يديْه الكبيرتيْن زرقاوَي العروق على ذراعَي المقعد المبطَّنتيْن. ثم إنه تنشَّق وقد اتَّسعت طاقتا أنفه، وحنى رأسه جانبًا كأنَّما اشتمَّ أريجًا شبه مألوف.

بعد فترةٍ عادَت حاملةً صحفةً ووضعَتها على طاولة القهوة. تحرَّكت القطَّة وفتحَت عينيْها محدِّقةً إلى الصَّحفة، ثم تمطَّت وأغمضَتهما من جديد.

- «كِريمة وسُكَّر؟».

- «من فضلكِ. مكعَّب واحد».

وضعَت كوبيْن على الطَّاولة أمامه قائلةً: «خُذ أيَّهما».

ابتسمَ وسحبَ إليه الكوب الأيسر، ووضعَت هي منفضة سجائر في منتصف الطَّاولة، وعادَت تجلس ناقلةً الكوب الآخَر إلى موضعها.

قال واضعًا يديْه على الطَّاولة: «لم يكن لهذا داعٍ».

هزَّت كتفيْها وقالت: «أنت لا تعرفني. لِمَ تثق بي؟ إنك تحمل مبلغًا كبيرًا على الأرجح».

مرَّةً أخرى نظرَ إلى وجهها. على ما يبدو أزالَت شيئًا من ماكياجها الثَّقيل وهي في الحُجرة الخلفيَّة. خطُّ الفكِّ، الجبهة... أشاحَ ببصره وأخذَ رشفةً من الشَّاي، ثم قال: «شايٌ ممتاز. ليس سريع التَّحضير. شُكرًا».

سألَته راشفةً من شايها: «تعتقد إذًا في جميع أنواع السِّحر؟».

- «بعضها».

- «هل من سببٍ خاص؟».

- «بعضها يعمل».

- «على سبيل المثال؟».

أشارَ بلا هدفٍ بيُسراه قائلًا: «لقد سافرتُ كثيرًا. رأيتُ بعض الأشياء الغريبة».

- «وليست عندك مشكلات؟».

أطلقَ ضحكةً صغيرةً، وقال: «ما زلتِ مصرَّةً على قراءة طالعي؟ ليكن. سأحدِّثكِ قليلًا عن نفسي وما أريده الآن، وأخبِريني أنتِ هل سأحصلُ عليه، اتَّفقنا؟».

- «إنني مُصغية».

- «أنا مشترٍ لحساب معرضٍ فنِّي كبير في الشَّرق الأقصى، أُعَدُّ

إلى حدٍّ ما خبيرًا في أشغال المعادن النَّفيسة العتيقة. إنني هنا لحضور مزادٍ لأشياء من هذا النَّوع من ممتلكات جامع تُحف سرِّي الهُويَّة. سأذهبُ لفحص القطع غدًا. بطبيعة الحال، آملُ أن أجد شيئًا يستحقُّ. ما فُرصي في رأيكِ؟».

- «أعطِني يديْك».

مدَّهما باسطًا كفَّيْه إلى أعلى. مالَت إلى الأمام ورمقَتهما، ومن فورها رفعَت إليه عينيْها قائلةً: «في معصميْك تجاعيد أكثر من قُدرتي على العدِّ».

- «يبدو أنَّ في معصميْكِ تجاعيد ليست بالقليلة أيضًا».

لاقَت عينيْه لحظةً لا أكثر ثم عادَت بانتباهها إلى يديْه. لاحظَ أنَّ وجهها امتقعَ تحت ما تبقَّى من ماكياجها، وأنَّ أنفاسها اضطربَت.

قالت متراجعةً أخيرًا: «لا، لن تجد هنا ما تبحث عنه».

ارتجفَت يدها قليلًا إذ رفعَت كوبها، وقطَّب هو وجهه.

قال: «لم أسأل إلَّا من باب الدُّعابة. لا شيء يستأهل استيائي. شككتُ أنني سأعثرُ على ما أبحثُ عنه حقًّا على كلِّ حال».

هزَّت رأسها، وقالت: «أخبِرني باسمك».

- «لقد فقدتُ لهجتي، لكنني فرنسي. الاسم دولاك».

حدَّقت في عينيْه وبدأت عيناها هي تطرفان بسرعة. «لا... لا».

- «إنها الحقيقة للأسف. ما اسمكِ؟».

أجابَت: «المدام لافِاي. لقد أعدتُ طلاء اللَّافتة لتوِّي. ما زالَت تجفُّ».

همَّ بالضَّحك، لكن الضَّحكة تجمَّدت في حلقه.

- «الآن أعرفُ بمَن تُذكِّرينني...».

- «أنت أيضًا ذكَّرتني بأحد، والآن أنا أيضًا أعرفُ».

فاضَت الدُّموع في عينيْها، وسالَت المَسْكَرَة على وجهها.

قال: «مستحيل. ليس هنا... ليس في مكانٍ كهذا...».

- «أيُّها الرَّجل العزيز». قالتها بخفوتٍ ورفعَت يُمناه إلى شفتيْها، بدا أنَّ دموعها خنقَتها لحظةً قبل أن تُردِف: «لقد ظننتُني الأخيرة، وأنك دُفِنت في جويس جارد[1]. لم أحلم قَطُّ...»، ثم لوَّحت بيدها في هواء الحُجرة مُتبعةً: «وهذا؟ فقط لأنه يُسلِّيني، يُساعِدني على تزجية الوقت. الانتظار...». صمتَت وخفضَت يده قائلةً: «احكِ لي».

سألَها: «الانتظار؟ وماذا تنتظرين؟».

- «السَّلام. إنني هنا بفعل قوَّة فنوني عبر السِّنين الطِّوال. أمَّا أنت... كيف استطعت أن تفعلها؟».

---

(١) جويس جارد: قلعة وردَ ذِكرها في الأساطير الآرثريَّة، حرَّرها لانسلوت من الشَّر المسيطر عليها في مسعاه لإثبات جدارته بالفروسيَّة للملك آرثر، وبعد ذلك اتَّخذها مقرًّا. (المُترجم).

- «لقد...». أخذَ رشفةً أخرى من الشَّاي وجاسَ ببصره في أنحاء الحُجرة. «لا أعرفُ كيف أبدأ. لقد خرجتُ من المعارك الأخيرة حيًّا، ورأيتُ المملكة تنقسم وعجزتُ عن فعل أيِّ شيء... وفي النِّهاية غادرتُ إنجلترا. ارتحلتُ والتحقتُ بالخدمة في بلاطاتٍ عدَّة، وبعد زمنٍ بدأتُ أنتحلُ أسماءً شتَّى إذ أدركتُ أنني لا أتقدَّمُ في السِّن... أو أتقدَّمُ فيها بمنتهى منتهى البُطء. ذهبتُ إلى الهند، إلى الصين... قاتلتُ في الحملات الصَّليبيَّة. لقد زرتُ بلاد العالم كلَّها، وتحدَّثتُ مع سحرةٍ ومتصوِّفين -أكثرهم محتالون، وبعضهم يتمتَّع بالقوَّة لكن أحدًا منهم ليس بعظمة مرلِن- وما صرتُ أومنُ به أكَّده أحدهم، رجلٌ محتال ولكن ليس بالكامل، ومع ذلك...». صمتَ وشربَ بقيَّة شايه، ثم سألَها: «أأنتِ واثقةٌ بأنكِ تُريدين سماع هذا كلِّه؟».

ردَّت: «أريدُ أن أسمعه. دعني أحضرُ مزيدًا من الشَّاي أوَّلًا». وبعد أن عادَت بالشَّاي أشعلَت سيجارةً وأسندَت ظهرها إلى مقعدها قائلةً: «أكمِل».

قال: «خلصتُ إلى أنَّ السَّبب... خطيئتي... مع الملكة».

- «لا أفهمُ».

- «لقد خنتُ مليكي، الذي كان صديقي أيضًا، في الشَّيء الوحيد الذي لا بُدَّ أنَّ ألمه جاوزَ سائر الأشياء. الحبُّ الذي

شعرتُ به كان أقوى من الولاء أو الصَّداقة... وحتى اليوم، في يومنا هذا، ما زالَ كذلك. لا سبيل عندي للتَّوبة، ومن ثمَّ لا سبيل لنيل الغُفران. كان زمنًا غريبًا، وسحريًّا. لقد عشنا في أرضٍ مصيرها أن تتحوَّل إلى أسطورة. في تلك الأيَّام جابَت البلاد قُوى ما عادَ لها على الأرض وجود. كيف أو لماذا، لا أدري، لكنكِ تُدرِكين صحَّة ذلك. إنني على نحوٍ ما شبيه بتلك الأشياء الزَّائلة، والقوانين التي تَحكُم وجودي ليست قوانين العالم الطَّبيعي المعتادة. أعتقدُ أنَّ الموت ليس باستطاعتي، أنَّ نصيبي -على سبيل العقاب- أن أرتحل في العالم إلى أن أكمل المسعى. أعتقدُ أنني لن أعرف الرَّاحة حتى اليوم الذي أعثرُ فيه على الكأس المقدَّسة. جوزيبي بالسامو -قبل أن يُصبِح معروفًا باسم كاليوسترو-[1] رأى هذا بوسيلةٍ ما وقاله لي لحظة أن فكَّرتُ فيه رغم أنني لم أذكر له كلمةً. وهكذا سافرتُ في أنحاء العالم لأبحث. لم أعُد أمضي بصفتي فارسًا أو جُنديًّا، بل باعتباري مثمِّنًا. وهكذا زرتُ كلَّ متحفٍ على وجه الأرض تقريبًا، واطَّلعتُ على المجموعات الخاصَّة العظيمة كلِّها. إلى الآن يستعصي عليَّ العثور عليها».

(١) الكونت آلساندرو دي كاليوسترو: اسم زائف لمغامر إيطالي عاشَ في القرن الثَّامن عشر وادَّعى أنه ساحر ومعالج روحاني، وهو ما جعلَه من المفضَّلين في البلاطات الملكيَّة بأوربا آنذاك. (المُترجم).

- «بدأتَ تكبَر على المعارك فعلًا».

أطلقَ نخيرًا ساخرًا، وبنبرةٍ قاطعة أعلنَ: «أنا لم أخسر قَطُّ. على مرِّ عشرة قرونٍ لم أخسر قَطُّ التحامًا. صحيحٌ أنني شختُ، ولكن متى تعرَّضتُ لتهديدٍ عادَت إليَّ قوَّتي السَّابقة كاملةً. ولكن أينما بحثتُ، أينما قاتلتُ، لم ينفعني ذلك في اكتشاف ما يجب أن أعثر عليه. أشعرُ أنني لن أنال المغفرة أبدًا ومفروضٌ عليَّ أن أهيم مثل اليهودي التَّائه حتى ينتهي العالم».

طأطأت رأسها.

- «... وتقولين إنني لن أعثر عليها غدًا؟».

أجابَت بصوتٍ خافت: «لن تَعثُر عليها أبدًا».

- «رأيتِ ذلك في يدي؟».

هزَّت رأسها نفيًا، وبدأت تشرح: «قصَّتك شائقة ونظريَّتك طريفة، لكن كاليوسترو كان محتالًا بالكامل. لا بُدَّ أنَّ شيئًا ما وشى بأفكارك، واعتمدَ هو على الفهلوة في تخمينه. لكنه أخطأ. أقولُ إنك لن تَعثُر عليها، ليس لأنك غير جدير أو لن تنال المغفرة. لا، ليس ذلك أبدًا. لم يَحدُث قَطُّ أن تردَّدت أنفاسٌ في صدر مواطنٍ أشد منك إخلاصًا. ألا تعلم أنَّ آرثر سامحَك؟ الزِّيجة كانت مدبَّرةً. الشَّيء نفسه حدثَ باستمرارٍ في أماكن أخرى كما تعرف بالتَّأكيد. لقد منحتَها شيئًا عجزَ عنه هو. الأمر لم يحتوِ إلَّا على الحنان. آرثر تفهَّم هذا. المغفرة الوحيدة التي تلزمك هي التي ظلَّت محجوبةً

عنك طوال تلك السِّنين... مغفرتك أنت لنفسك. لا، ليس ما حُمِّلته قدرًا مشؤومًا، بل إنَّ مشاعرك هي ما قادَك إلى تكليف نفسك بمسعى مستحيل، بشيءٍ يُعادِل انعدام المغفرة التَّام. لكنك عانيت طوال تلك القرون في اقتفاء الأثر الخطأ». عندما رفعَت عينيْها رأت في عينيْه نظرةً قاسيةً كالجليد أو الأحجار الكريمة، إلَّا أنها بادلَته النَّظر وتابعَت: «لا تُوجَد الآن، ولم تُوجَد في ذلك الحين، وغالبًا لم تُوجَد قَطُّ كأسٌ مقدَّسة».

ردَّ: «لقد رأيتها في ذلك اليوم حين مرَّت عبر قاعة المائدة المستديرة. كلُّنا رآها».

صحَّحت: «بل حسبتم أنكم رأيتموها»، وأردفَت: «أكرهُ أن أبدِّد وهمًا صمدَ أمام جميع امتحانات الزَّمن الأخرى، ولكن عليَّ أن أفعلها للأسف. المملكة -كما تَذكُر- كانت آنذاك في اضطراب؛ الفُرسان بدؤوا يتبرَّمون ويرتدُّون عن الرِّفقة. عامٌ واحد -أو ستَّة أشهُر حتى- وكان كلُّ شيءٍ سينهار، كلُّ ما كافحَ آرثر بشقِّ النَّفس ليبنيه. لقد علمَ أنه كلَّما طالَ الزَّمن وكاميلوت قائمة فسيبقى اسمها زمنًا أطول وتقوى مُثلها، ولذا اتَّخذ قرارًا، قرارًا سياسيًّا خالصًا. كان محتاجًا إلى شيءٍ ما يمنع الأوضاع من التَّداعي، فاستدعى مرلِن -الذي صارَ شبه مجنون فعلًا، وإن ظلَّ يتمتَّع بما يكفي من حدَّة الذِّهن ليرى اللَّازم ويُوفِّره- وهكذا وُلِدَ المسعى. قُوى مرلِن اختلقَت الوهم الذي رأيتموه يومها. كذبةٌ، نعم، لكنها كذبةٌ مجيدة، ونفعَت طيلة أعوامٍ بعدها في

ربطكم جميعًا بأواصر الأخوَّة باسم العدالة والحُبِّ. لقد دخلَت هذه الكذبة الأدب، وروَّجت للخُلق النَّبيل والثَّقافة العُليا، أيْ إنها حقَّقت الغرض منها. لكن الكأس لم تكن هناك حقًّا. إنك تُطارِد شبحًا منذ ذلك الحين. آسفةٌ يا لانسلوت، ولكن ليس لديَّ بالمرَّة سببٌ لأكذب عليك. إنني أميِّزُ السِّحر حينما أراه، وقد رأيته آنذاك. هكذا حدثَ ما حدثَ».

لوقتٍ طويل ظلَّ صامتًا، ثم ضحكَ وقال: «لديكِ إجابة عن كلِّ شيء. يُمكنني أن أصدِّقكِ إلى حدٍّ ما إذا أجبتِني عن شيءٍ واحد آخَر: لماذا أنا هنا؟ لأيِّ سبب؟ بقُدرة مَن؟ كيف ظللتُ معصومًا طوال نصف الحقبة المسيحيَّة في حين يشيخ بقيَّة البشر ويموتون خلال أعوامٍ معدودة؟ أتستطيعين أن تُخبِريني الآن بما لم يستطِعه كاليوسترو؟».

أجابَت: «أجل، أعتقدُ أنني أستطيعُ».

نهضَ وأخذَ يذرع الحُجرة جيئةً وذهابًا، وهو ما أجفلَ القطَّة، لتثب من فوق الأريكة وتجري إلى الحُجرة الخلفيَّة. توقَّف واختطفَ عُكَّازه وعمدَ إلى الباب.

علَّقت: «رؤيتك خائفًا أخيرًا تستحقُّ الانتظار ألف عامٍ على ما أظنُّ».

توقَّف وردَّ: «ليس هذا عدلًا».

- «أعرفُ. لكنك ستعود وتجلس الآن».

من جديدٍ ابتسمَ وهو يدور ويعود. «أخبِريني، كيف تُفسِّرين الأمر؟».

- «السِّحر الذي يَحكُمك كان آخِر سحرٍ أدَّاه مرلِن. هكذا أفسِّرُ الأمر».

- «مرلِن؟ أنا؟ لماذا؟».

- «ما شاعَ من نميمةٍ وقتها قال إنَّ العجوز الكريه أخذَ سيِّدة البُحيرة إلى الغابة، واضطرَّت إلى استخدام إحدى تعاويذها عليه دفاعًا عن نفسها... تعويذة تُنوِّمه إلى الأبد في مكانٍ مجهول. لو أنها التَّعويذة التي أعتقدها، فجزء على الأقل من الشَّائعة خطأ. لم تُوجَد تعويذةٌ مضادَّة معروفة، لكن الافتراض أنَّ السِّحر لم يُنوِّمه إلى الأبد، بل ألفيَّة أو نحوها قبل أن يستيقظ. تخميني الآن أنَّ تصرُّفه الواعي الأخير قبل أن يغيب في النَّوم، أنه وضعَ عليك هذا السِّحر ليجدك في متناوله حينما يعود».

- «ممكنٌ على ما أظنُّ، ولكن لِمَ يُريدني أنا أو يحتاج إليَّ؟».

- «لو أنني راحلةٌ إلى زمنٍ غريب فسأريدُ حليفًا عندما أصلُ إليه، ولو أنَّ الخيار لي فسأريدُ أعظم أبطال العصر».

قال متأمِّلًا: «مرلِن... واردٌ في ظنِّي أنَّ ما تقولينه هو ما حدثَ. اعذُريني، لكن حياةً طويلةً زُلزِلَت لتوِّها من أوَّلها إلى آخَرها. إذا صحَّ هذا...».

- «أنا واثقةٌ بصحَّته».

- «إذا صحَّ هذا... تقولين ألفيَّةً؟».

- «على وجه التَّقريب».

- «حسن، لقد مرَّت هذه الفترة تقريبًا».

- «أعرفُ. لا أعتقدُ أنَّ لقاءنا اللَّيلة مصادفة. إنَّ قدرك أن تُقابِله حين يستيقظ، وهو المفترَض أن يَحدُث قريبًا. على أنَّ شيئًا ما قضى أن تُقابِلني أوَّلًا لكي أحذِّرك».

- «تُحذِّرينني؟ تُحذِّرينني ممَّ؟».

- «إنه مجنون يا لانسلوت. كثيرون منا أراحَهم رحيله راحةً جمَّةً. لو لم تنقسم البلاد أخيرًا من جرَّاء النِّزاعات لحطَّمتها يده غالبًا على كلِّ حال».

- «ذلك ما أجده عصيًّا على التَّصديق. لطالما كان رجلًا غريبًا -فمَن يُمكنه أن يفهم مشعوذًا حقَّ الفهم؟- وفي أعوامه اللَّاحقة بدا فعلًا أنه أصبحَ يتَّسم بشيءٍ من السُّخف، إلَّا أنه لم يُعطِني قَطُّ انطباعًا بأنه شرِّير».

- «ولا كان شرِّيرًا. أخلاقيَّاته كانت أخطر الأخلاقيَّات طرًّا لأنه كان مثاليًّا ضالًّا. في زمانٍ ومكانٍ أقل تطوُّرًا، وفي وجود أداةٍ راضية مثل آرثر، أمكنَه أن يخلق أسطورةً. اليوم في عصر الأسلحة الوحشيَّة، والقائد المناسب تحت سيطرته، يُمكنه أن يُطلِق على العالم شيئًا مدمِّرًا حقًّا. سيرى

خطأً ويُجبِر رجله على محاولة تصحيحه. سيفعلها باسم المُثل العليا أنفُسها التي خدمَها دومًا، لكنه لن يُقدِّر العواقب إلَّا بعد فوات الأوان. وكيف يُقدِّرها ولو كان عاقلًا؟ إنه جاهلٌ تمامًا بالعلاقات الدَّوليَّة المعاصرة».

- «وما العمل؟ ما دوري في هذا كلِّه؟».

- «أعتقدُ أنَّ عليك العودة إلى إنجلترا لتكون حاضرًا عند استيقاظه، لتكتشف ما يُريده بالضَّبط، لتُحاوِل أن تتفاهَم معه».

- «لا أدري... كيف سأجده؟».

- «لقد وجدتني. في الوقت المناسب ستجد نفسك في المكان السَّليم. إنني واثقة. إنه المقدور، وعلى الأرجح جزء من تعويذته. اسعَ إليه، ولكن لا تثق به».

قال رامقًا الحائط دون أن يراه: «لا أدري يا مورجانا، لا أدري».

- «انتظرت هذا الزَّمن كلَّه والآن تَنكُص عن معرفة الجواب أخيرًا؟».

- «أنتِ محقَّة... في هذه الجزئيَّة على الأقل». ضمَّ يديْه ورفعَهما وأراحَ عليهما ذقنه قائلًا: «ما سأفعله إذا عادَ حقًّا، ذلك ما لا أعرفه. أحاولُ أن أتفاهَم معه، نعم... أعندكِ أيَّة نصائح أخرى؟».

- «أن تكون حاضرًا فقط».

- «لقد نظرتِ إلى يدي. إنَّ لديكِ القُدرة. ماذا رأيتِ؟».

أشاحَت بوجهها قائلةً: «الصُّورة مبهمة».

ليلتها حلمَ -كما يَحلُم أحيانًا- بأزمنةٍ غابرة. جلسوا حول المائدة العظيمة كما فعلوا في ذلك اليوم، بينهم جاوِن وبرسيڤل. وجالاهاد... تقلَّصت ملامح لانسلوت في نومه. اليوم مختلفٌ عن بقيَّة الأيَّام. في الهواء نوعٌ معيَّن من التَّوتُّر، شعورٌ كالذي يسبق العواصف، شيء كهربي... وقفَ مرلِن في أقصى القاعة داسًّا يديْه في كُمَّي ردائه الطَّويل، شعره ولحيته ثلجيَّان أشعثان، عيناه الشَّاحبتان تُحدِّقان... إلى ما لم يستطِع أحدهم أن يعرفه يقينًا...

بعد وقتٍ بلا وقتٍ ظهرَ وهجٌ محمرٌّ عند الباب، وتحوَّلت إليه العيون كلُّها. ازدادَ الوهج سطوعًا وأقبلَ ببُطء داخلًا القاعة، شبحٌ من الضَّوء لا هيئة له. فاحَت في المكان روائح ذكيَّة، وتردَّد قليلٌ من الأنغام الموسيقيَّة النَّاعمة. تدريجيًّا بدأ شكلٌ يتجسَّد في منتصف القاعة مستحيلًا إلى صورة كأس...

شعرَ بنفسه ينهض، يتحرَّك ببُطء، يتبعها في مسارها عبر القاعة الكُبرى، يتقدَّم إليها بلا صوتٍ وعلى مهلٍ كأنه يمشي تحت الماء...

... يمدُّ إليها يده.

دخلَت يده دائرة الضَّوء، اتَّجهت إلى مركزها، اقتربَت من الكوب الذي التهبَ نورًا ومرَّت من خلاله...

وفي الحال خبا الضَّوء. تذبذبَ محيط الكأس وانهارَت على نفسها، تخبو، تخبو، تختفي...

ارتفعَ في القاعة صوتٌ ماجَ وأصدى... ضحك.

التفتَ ونظرَ إلى الآخَرين الجالسين حول المائدة يتفرَّجون عليه ويضحكون. حتى مرلِن خرجَت منه ضحكةٌ مكتومة جافَّة.

فجأةً وجدَ سيفه العظيم في يده، وقد رفعَه وهو يتقدَّم إلى المائدة بخُطواتٍ واسعة، وتراجعَ الفُرسان الأقرب إليه إذ هوى بالسِّلاح بمنتهى العُنف. انشقَّت المائدة نصفيْن وسقطَت، واهتزَّت القاعة.

واستمرَّت الزَّلزلة. انخلعَت من الجُدران أحجار، وسقطَت من السَّقف عارضة. رفعَ لانسلوت ذراعه.

بدأت القلعة بأكملها تتهاوى، تتهدَّم من حوله، ورغم ذلك استمرَّ الضَّحك.

صحا مبلَّلًا بالعرق ورقدَ بثباتٍ وقتًا طويلًا.

وفي الصَّباح اشترى تذكرةً إلى لندن.

اثنان من أصوات العالم الأوَّليَّة الثَّلاثة بدآ يُصاحِبانه بغتةً وهو ماشٍ في تلك اللَّيلة وفي يده عُكَّازه. منذ اثني عشر يومًا يتجوَّل حول كورنوول دون أن يجد شيئًا يدلُّه على ما يبحث عنه، وقد سمحَ لنفسه بيوميْن آخَريْن قبل أن يستسلم ويرحل.

والآن تكاد تُدرِكه الرِّيح والأمطار، فحثَّ خُطاه. النُّجوم التي بدأت تتجلَّى خنقَتها كُتلة من السُّحب، وفي كلِّ اتِّجاهٍ نمَت خيوطٌ من الضَّباب كفطرٍ شبحي. تحرَّك بين الأشجار، ثم توقَّف، ثم استأنفَ الحركة.

غمغمَ: «لم يجب أن أبقى بالخارج حتى هذه السَّاعة المتأخِّرة»، وبعد التَّوقُّف عدَّة مرَّاتٍ أخرى قال بالإيطاليَّة: «*في منتصف طريق حياتنا، وجدتُ نفسي في غابةٍ مظلمة، إذ ضللتُ سواء السَّبيل*»[1]، وقهقهَ متوقِّفًا تحت شجرة.

لم يهطل عليه المطر، بل نزلَ أقرب إلى رذاذٍ خفيف.

كانت بُقعة منيرة في السَّماوات الدُّنيا تُبدي مكان القمر المستور. مسحَ وجهه ورفعَ ياقته وتابعَ موضع القمر، وبعد فترةٍ انطلقَ إلى يمينه سامعًا رجيف الرَّعد يتردَّد خافتًا من بعيد.

ظلَّ الضَّباب يتنامى حوله وهو يتحرَّك. أصدرَت أوراق الأشجار المبتلَّة عن آخِرها أصوات عصرٍ تحت حذائه، واندفعَ حيوانٌ لم يُميِّز حجمه من كُتلةٍ من الشُّجيرات بجوار كومةٍ من الصُّخور وجرى مخترقًا الظُّلمة.

خمس دقائق... عشر... أطلقَ سبابًا هامسًا. المطر بدأ يَسقُط بمزيدٍ من الغزارة. أهذه هي الصَّخرة نفسها؟

---

(١) من «الجحيم» لدانتي أليجييري، ترجمة: حسن عثمان. (المُترجم).

دارَ حول نفسه دورةً كاملةً، فبدَت الاتِّجاهات كلُّها منفِّرةً على حدٍّ سواء. اختارَ أحدها عشوائيًّا وواصلَ المسير.

ثم أبصرَ بعيدًا شرارةً، وهجًا، ضوءًا مرتعشًا يختفي ويظهر ثانيةً بانتظامٍ كأن جزءًا منه محجوب، ذلك أنَّ خطَّ البصر عاملٌ فاعلٌ في حركة لانسلوت. مضى في اتِّجاهه، وبعد نحو نصف دقيقةٍ اختفى الوهج من جديدٍ عن نظره، غير أنه استمرَّ في ما قدَّر أنه اتِّجاهه. ثانيةً هزمَ الرَّعد، هذه المرَّة أعلى.

ربَّما كان الضَّوء وهمًا أو ظاهرةً طبيعيَّةً قصيرة الأجل، ولكن عندئذٍ حدثَ شيء آخَر في الاتِّجاه نفسه: حركة، ظلٌّ داخل ظلٍّ يُجرجِر نفسه عند قدم شجرةٍ ضخمة.

أبطأ خُطاه دانيًا من البُقعة بحذر.

ها هو ذا!

أمامه إلى اليسار فصلَ جسمٌ نفسه عن بِركةٍ من الظَّلام، ومثل الإنسان تحرَّك بخُطواتٍ بطيئة ثقيلة، ليَصدُر صريرٌ من أرض الغابة تحت قدميْه. للحظةٍ مسَّه شُعاع شارد من القمر، فلاحَت صُفرة لونه وتكوينه المعدنيُّ الأملس تحت النَّداوة التي تُغطِّيه.

توقَّف لانسلوت. يبدو أنه رأى لتوِّه فارسًا في درعٍ كاملة يعترض طريقه. كم مرَّ منذ رأى ذلك المنظر؟ هزَّ رأسه وحدَّق.

الجسم أيضًا توقَّف، ورفعَ ذراعه اليُمنى مشيرًا بالاقتراب، ثم دارَ وبدأ يبتعد.

تردَّد لحظةً، ثم تبعَه.

انحرفَ الجسم إلى اليسار وبدأ يتَّبع دربًا وعرًا زلقًا تملؤه الصُّخور وينحدر بعض الشَّيء، ليضطرَّ هو إلى استخدام العُكَّاز استخدامه الفعلي ليطمئنَّ لمواطئ قدميْه وهو يتتبَّع تقدُّم الجسم المتمهِّل، حتى اقتربَ منه إلى حدٍّ سماعه صوت الاحتكاك المعدني الملازم لحركته.

ثم اختفى الجسم، ابتلعَه ظلامٌ أحلك.

عمدَ إلى البُقعة التي رآه فيها آخِر مرَّة، حيث وقف في حمى كُتلةٍ عظيمة من الحجر. مدَّ عُكَّازه ليجسَّها، ونقرَ بثباتٍ على طول الجزء الأقرب من سطحها، ثم تجاوزَ العُكَّاز الحجر، فتبعَه.

في الصَّخر فتحة، صدع، وقد انحرفَ مضطرًّا إلى الجانب ليمرَّ منه، ولكن بينما فعلَ هذا ظهرَ لعينيْه لثوانٍ عدَّة الوهج الذي رآه قبلًا.

التوى الممرُّ واتَّسع، يقوده إلى الخلف وإلى أسفل. عدَّة مرَّاتٍ توقَّف وأصغى، لكن المكان خلا من كلِّ صوتٍ باستثناء صوت أنفاسه.

سحبَ منديله وجفَّف وجهه ويديْه بحرص، ونفضَ النَّداوة عن معطفه، وأنزلَ ياقته، وكشطَ الطِّين وورق الشَّجر عن حذائه، وضبطَ هندامه، ثم تقدَّم بخُطواتٍ واسعة دائرًا حول منعطفٍ أخير، ليَدخُل قاعةً يُضيؤها مصباح زيتٍ صغير معلَّق بثلاث سلاسل

رقيقة تتدلَّى من نُقطةٍ ما من الظَّلام أعلاه. عند الجِدار البعيد وقفَ الفارس الأصفر بلا حراك.

على حشيَّةٍ من الألياف فوق حاملٍ حجريٍّ تحت المصباح مباشرةً يَرقُد عجوزٌ يرتدي أسمالًا، تُواري الظِّلال جزءًا من وجهه الملتحي. اتَّجه ليقف بجانب العجوز، وعندئذٍ رأى أنَّ هاتيْن العينيْن الدَّاكنتيْن العتيقتيْن مفتوحتان.

همسَ: «مرلِن...؟».

صدرَ هسيسٌ واهن، صوتٌ كنعيبٍ خافت، وإذ أدركَ مصدره مالَ على العجوز منصتًا.

وخرجَت الهمسة المبحوحة: «الإكسير... صخرة من الفخَّار... فوق الإفريز... في المؤخِّرة».

دارَ وذهبَ يبحث عن الإفريز والحاوية، وسألَ الجسم الأصفر: «هل تعرف أين هو؟».

لم يتحرَّك الفارس أو يُجِب، بل ظلَّ واقفًا كقطعةٍ للعرض فقط، فالتفتَ عنه وواصل البحث، وبعد فترةٍ حدَّد مكان الإفريز. وجدَه أقرب إلى كوَّةٍ منه إلى إفريز، مدمجًا في الجِدار الصَّخري وتحفُّه الظِّلال. تحسَّس بأنامله الحاوية ثم رفعَها برفقٍ ليتحرَّك في داخلها سائلٌ ما، وبعدما عادَ إلى المنطقة المنيرة مسحَ فوَّهتها بكُمِّه. هبَّت الرِّيح مصفِّرةً عند المدخل، وخُيِّلَ إليه أنه استشعرَ ارتجاجًا ضعيفًا إذ قصفَ الرَّعد في الخارج.

دسَّ يده تحت كتفَي الجسم العتيق ورفعَه، وقد ظلَّت عينا مرلِن تبدوان مشوَّشتيْن. رطَّب شفتَي مرلِن بالسَّائل، فلعقَهما العجوز، وبعد لحظاتٍ عدَّة فتحَ فمه، ليسقيه لانسلوت جرعةً، ثم أخرى، ثم أخرى... أشارَ له مرلِن بإنزاله، ففعلَ. ثانيةً ألقى نظرةً نحو الدِّرع الصَّفراء، لكنها ظلَّت جامدةً طوال الوقت. عادَ ببصره إلى المشعوذ ورأى أنَّ ضوءًا جديدًا اشتعلَ في عينيْه اللتيْن أمعنَتا النَّظر إليه وهو يبتسم ابتسامةً شاحبةً.

- «أتَشعُر بتحسُّن؟». مكتبة سُر مَن قرأ

أومأ مرلِن برأسه إيجابًا. مرَّت دقيقة، وظهرَت لمسةٌ من اللَّون في وجنتيْه. ارتكنَ إلى مرفقيْه ليعتدل جالسًا وأخذَ الحاوية من يدَي لانسلوت ورفعَها ونهلَ منها. بعد ذلك جلسَ ساكنًا عدَّة دقائق، اكتسبَت خلالها يداه النَّاحلتان -اللتان بدوَتا شمعيَّتيْن في ضوء اللَّهب- دُكنةً وثخانةً، واستوَت كتفاه. وضعَ الحاوية بجواره على الفِراش وفردَ ذراعيْه، ولمَّا فعلَ هذا أوَّل مرَّةٍ صرَّت مفاصله، أمَّا في الثَّانية فلا. أنزلَ ساقيْه من فوق حافة الفِراش ونهضَ ببُطء. بينه وبين لانسلوت فرقُ رأسٍ كامل في الطُّول.

قال مرلِن محدِّقًا في الظِّلال: «تمَّ الأمر. كثيرٌ حدثَ طبعًا...».

ردَّ لانسلوت: «كثيرٌ حدثَ».

- «وأنت عشته كلَّه. أخبِرني، هل العالم مكانٌ أفضل أم أسوأ ممَّا كان في تلك الأيَّام؟».

- «أفضل في نواحٍ وأسوأ في نواحٍ أخرى. إنه مختلف».

- «أفضل كيف؟».

- «فيه وسائل عديدة لتسهيل الحياة، وإجمالي المعارف البشريَّة نما نموًّا عظيمًا».

- «وفي أيِّ نواحٍ ساءَ؟».

- «في العالم الآن أعدادٌ أكثر كثيرًا من النَّاس، وبالتَّالي أعدادٌ أكثر كثيرًا ممَّن يُعانون الفقر والمرض والجهل. العالم نفسه عانى انتهاكًا جسيمًا من حيث التَّلوُّث وغيره من الاعتداءات على سلامة الطَّبيعة».

- «حروب؟».

- «أحدُهم يُحارِب دومًا في مكانٍ ما».

- «يحتاجون إلى مساعدة».

- «ربَّما، وربَّما لا».

التفتَ مرلِن ناظرًا في عينيْه، وسألَه: «ماذا تعني؟».

- «النَّاس لم يتغيَّروا. إنهم عقلانيُّون -وغير عقلانيِّين- مثلما كانوا في الأيَّام القديمة، أخلاقيُّون ومطيعون للقانون -والعكس- كما هو شأنهم دائمًا. أشياء جديدة كثيرة تعلَّموها، مواقف جديدة كثيرة تطوَّرت، لكنني لا أعتقدُ أنَّ طبيعة الإنسان تبدَّلت تبدُّلًا ملحوظًا خلال الوقت الذي نمتَه. لا شيء

يُمكنك أن تفعله سيُغيِّر هذا. قد تتمكَّن من تعديل بعض ملامح الزَّمن الحالي، ولكن أيجوز حقًّا أن تتدخَّل؟ كلُّ شيءٍ يعتمد على غيره اليوم إلى درجة أنك نفسك لن تستطيع التَّنبُّؤ بكامل نتائج أيِّ تصرُّفٍ تُقدِم عليه. قد تُسبِّب ضررًا أكثر من النَّفع، ومهما فعلت فستبقى طبيعة الإنسان كما هي».

- «ليس هذا طبعك يا لانس. في الأيَّام القديمة لم تمِل قَطُّ إلى التَّفلسُف».

- «لقد حظيتُ بزمنٍ طويل لأفكِّر».

- «وأنا حظيتُ بزمنٍ طويل لأحلم. إنَّ الحرب حرفتك يا لانس. ركِّز على ذلك».

- «اعتزلتها منذ زمنٍ طويل».

- «وما أنت الآن إذًا؟».

- «مثمِّن».

التفتَ عنه مرلِن وأخذَ رشفةً أخرى، ولمَّا عادَ يَنظُر إليه بدا أنه يشعُّ طاقةً شعواء. «وقسمك؟ أن تُصحِّح الأخطاء، تُعاقِب الأشرار...».

- «كلَّما طالَت حياتي صعبَ أن أحدِّد ما الخطأ ومَن الشرِّير. أوضِح لي ثانيةً وقد أعودُ إلى ممارسة المهنة».

- «جالاهاد ما كان ليُخاطِبني بهذا الأسلوب قَطُّ».

- «جالاهاد كان صغيرًا وساذجًا وحسن الظَّن. لا تُحدِّثني عن ابني».

وضعَ مرلِن يده على ذراعه قائلًا: «لانسلوت! لانسلوت! لماذا تُكلِّم بهذه الحدَّة صديقًا قديمًا لم يفعل شيئًا منذ ألف عام؟».

- «رغبتُ أن أبيِّن موقفي في الحال. خشيتُ أنك قد تتفكَّر في فعلةٍ لا رجعة فيها من شأنها أن تُبدِّل توازُن القوى في العالم وتُؤدِّي إلى هلاكه. أريدك أن تعلم أنني لن أكون طرفًا في ذلك».

- «اعترِف أنك تجهل ما قد أفعله، ما يُمكنني أن أفعله».

- «أعترفُ طوعًا. لهذا أخشاك. ماذا تنوي أن تفعل؟».

- «لا شيء. في البدء أرغبُ في النَّظر حولي ليس إلَّا، لأرى بنفسي بعض تلك التَّغييرات التي ذكرتها، ثم سأتأمَّلُ أيُّ الأخطاء يلزمه تصحيح، ومَن يلزمه عقاب، ومَن أختارُ أنصارًا لي. سأريك هذه الأشياء، وبعدها يُمكنك العودة إلى ممارسة المهنة كما تقول».

زفرَ لانسلوت قائلًا: «البيِّنة على صاحب النَّزعة الأخلاقيَّة. أحكامك لم تَعُد تكفيني».

ردَّ الآخَر: «ويحي! محزنٌ أن أنتظر ذلك الزَّمن كلَّه لقاءً من هذا النَّوع لأجدك فقدت إيمانك بي. لقد بدأت قُواي تعود فعلًا يا لانس. ألا تَشعُر بالسِّحر في الهواء؟».

- «أشعرُ بشيءٍ لم أشعر به منذ فترةٍ طويلة».

- «النَّوم عصورًا قوَّاني، أعانَني في الحقيقة. بعد قليلٍ يا لانس سأصبحُ أقوى ممَّا كنتُ يومًا. وتشكُّ أنني أستطيعُ إعادة السَّاعة إلى الوراء؟».

- «أشكُّ أنك تستطيع أن تفعلها على نحوٍ ينفع أحدًا. اسمع يا مرلِن، إنني آسف. أنا أيضًا لا يروقني أنَّ الأمور وصلَت إلى ما وصلَت إليه، لكنني عشتُ كثيرًا جدًّا، ورأيتُ كثيرًا جدًّا، وأعرفُ كثيرًا جدًّا عن الطَّريقة التي يعمل بها العالم الآن، حتى إنني لا أثقُ برأي أيِّ فردٍ واحد حيال خلاصه. اغضض الطَّرف. إنك أسطورةٌ مبجَّلة غامضة. لا أعرفُ ماهيتك حقًّا، ولكن تخلَّ عن توظيف قُواك في حملةٍ من أيِّ نوع. افعل شيئًا مختلفًا هذه المرَّة. صِر طبيبًا وكافِح الألم. امتهِن الرَّسم. اعمل أستاذ تاريخ، عالم آثار. بل صِر ناقدًا اجتماعيًّا حتى وأشِر إلى الشُّرور التي تراها لكي يُقوِّمها النَّاس بأنفُسهم».

- «أتعتقد حقًّا أنَّ شيئًا من ذلك سيُرضيني؟».

- «البشر يجدون الرِّضا في عديد الأشياء. المسألة تتوقَّف على الشَّخص لا الشَّيء. أقولُ فقط إنَّ عليك تجنُّب استخدام قُواك في أيِّ محاولةٍ لإحداث تغييراتٍ اجتماعيَّة كما فعلنا من قبل، بالعُنف».

- «أيًّا كانت التَّغييرات التي أُلِّفَت فسخرية الزَّمان الكُبرى أنه حوَّلك إلى مُسالم».

- «أنت مخطئ».

- «اعترِف! أخيرًا أصبحت تخشى تقارُع الأسلحة! مثمِّن! أيُّ نوعٍ من الفُرسان أنت؟».

- «نوعٌ يجد نفسه في الزَّمن الخطأ والمكان الخطأ يا مرلِن».

هزَّ المشعوذ كتفيْه والتفتَ عنه قائلًا: «ليكن إذًا. خيرٌ أنك اخترت إخباري بهذه الأشياء على الفور. شُكرًا لك على هذا على كلِّ حال. لحظة...». اتَّجه مرلِن إلى مؤخِّرة الكهف، وبعد لحظاتٍ عادَ مرتديًا ثيابًا جديدةً. والتَّأثير مذهل؛ مظهره كلُّه الآن أكثر هندامًا وأنظف، وشعره ولحيته يبدوان شائبيْن وليسا أبيضيْن، وباتَت خُطوته واثقةً ثابتةً، وقد أمسكَ بيُمناه عصا وإن لم يتَّكئ عليها. قال للانسلوت: «تعالَ امشِ معي».

- «اللَّيلة سيِّئة».

ردَّ مرلِن: «إنها ليست اللَّيلة نفسها التي تركتها في الخارج، ولا حتى المكان نفسه»، وإذ مرَّ بالبِزَّة المدرَّعة الصَّفراء فرقعَ أصابعه قُرب واقي الوجه، وبصريرٍ واحد تحرَّك الجسم ودارَ ليتبعه.

- «مَن هذا؟».

ابتسمَ مرلِن مجيبًا: «لا أحد»، ومدَّ يده ورفعَ واقي الوجه، ليتَّضح أنَّ الخوذة فارغة. «الدِّرع مسحورة، تُحرِّكها روح، لكنها

خرقاء قليلًا، ولذا لم آتمنها على إعطائي جرعتي. غير أنها خادمٌ مثالي، على عكس البعض، وبالغة القوَّة وسريعة. حتى في ريعان شبابك ما كنت لتستطيع هزيمتها. عندما تمشي معي لا أخشى أيَّ شيء. هلمَّ، أريدُ أن أريك شيئًا».

- «فليكن».

تبعَ لانسلوت مرلِن والفارس الأجوف إلى خارج الكهف. كان المطر قد توقَّف والأجواء ساكنةً. وقفوا في سهلٍ يغمره ضياء القمر الوقَّاد، حيث تنساق خيوط الضَّباب ويتلألأ العُشب، وبعيدًا تقف أجسامٌ غامضة.

قال لانسلوت: «معذرةً، تركتُ عُكَّازي بالدَّاخل»، ودارَ وعادَ يَدخُل الكهف.

ردَّ مرلِن: «نعم، أحضِره أيُّها العجوز. قُواك بدأت تخور بالفعل».

حين عادَ لانسلوت استندَ إلى العُكَّاز وضيَّق عينيْه جائسًا بهما في أنحاء السَّهل.

قال مرلِن: «من هنا، إلى حيث سيُجاب عن أسئلتك. سأحاولُ ألَّا أمشي بسرعةٍ وأُتعِبك».

- «تُتعِبني؟».

قهقهَ المشعوذ وبدأ يقطع السَّهل، وتبعَه لانسلوت.

سألَه مرلِن: «ألا تحسُّ بشيءٍ من التَّعب؟».

- «بلى، في الحقيقة أحسُّ بهذا. هل تعرف ما خطبي؟».

- «طبعًا. لقد سحبتُ التَّعويذة التي حمَتك طيلة هذه السِّنين. ما تحسُّ به الآن هو اللَّمسات الأوَّليَّة لسنِّك الحقيقيَّة. ستستغرق بعض الوقت حتى تُدرِكك غالبةً مقاومة جسدك الطَّبيعيَّة، لكنها تبدأ تقدُّمها».

- «لماذا تفعل بي هذا؟».

- «لأنني صدَّقتك لمَّا قلت إنك لست مُسالمًا، كما أنك تكلَّمت بما يكفي من الحميَّة لأدرك أنَّ الأمر قد يصل بك إلى معارضتي. لم يُمكنني السَّماح بذلك، لأنني علمتُ أنَّ قوَّتك القديمة ما زالَت فيك لتستجمعها. شيء قد يُخيف المشعوذين أنفُسهم، ففعلتُ الواجب. بقُدرتي احتفظتَ بها، ومن غيرها تتسرَّب منك الآن. كان في صالحنا أن نعمل معًا من جديد، لكنني رأيتُ استحالة ذلك».

تعثَّر لانسلوت، وتمالكَ نفسه، وتقدَّم يعرج، فيما سارَ الفارس الأجوف عن يمين مرلِن. قال لانسلوت: «تقول بأن غاياتك نبيلة، لكنني لا أصدِّقك. ربَّما كانت كذلك في الأيَّام القديمة، ولكن ليس الزَّمن وحده ما تغيَّر. أنت مختلف. ألا تَشعُر بهذا عن نفسك؟».

سحبَ مرلِن نفسًا عميقًا وزفرَ بخرًا، وقال: «لعلَّه ميراثي»، ثم أتبعَ: «إنني أمزحُ. طبعًا تغيَّرتُ. الجميع يتغيَّرون. أنت نفسك نموذج مثالي. ما تعدُّه تحوُّلًا إلى الأسوأ فيَّ ما هو إلَّا لمحة من تعارُض

في غاية البساطة نشأ بيننا في أثناء التَّغييرات التي أصابَتنا. إنني ما زلتُ معتصمًا بمُثل كاميلوت الحقَّة».

الآن تنحني كتفا لانسلوت إلى الأمام وأصبحَ يعبُّ مزيدًا من الهواء. لاحَت الأجسام الغامضة أقرب أمامهما. قال لاهثًا: «أعرفُ هذا المكان، ومع ذلك لا أعرفه. ليس هذا شكل ستونهنج.[1] حتى في أيَّام آرثر افتقرَ إلى هذا الكمال. كيف وصلنا إلى هنا؟ ماذا حدثَ؟».

توقَّف ليستريح، فتوقَّف مرلِن بدوره ليُجاريه، وقال المشعوذ: «اللَّيلة مشينا بين العوالم. هذه قطعةٌ من بلاد الجنِّيَّات، وهذا هو ستونهنج الحقيقي، مكان مقدَّس. لقد وسَّعتُ الحدود بين العوالم لأجلبه إلى هنا. لو أني قاسٍ لأرسلتك معه حينما أعيده وتركتك هناك إلى الأبد، لكن معرفتك شيئًا من السَّلام أفضل. تعالَ!».

مضى لانسلوت يترنَّح وراءه متَّجهًا إلى دائرة الأحجار العظيمة. من الغرب هبَّ النَّزر الأيسر من النَّسيم محرِّكًا الضَّباب.

- «ماذا تعني بمعرفتي شيئًا من السَّلام؟».

- «استعادة قُواي كاملةً وزيادتها ستتطلَّب تقديم قُربانٍ في هذا المكان».

---

(١) ستونهنج: معلمٌ من عصور ما قبل التَّاريخ في إنجلترا، يتألَّف من حلقةٍ خارجيَّة من شواهد قائمة من الصُّخور، على قممها عتبات علويَّة متَّصلة، وفي داخلها حلقة أصغر من الحجر الأزرق. (المُترجم).

- «إذًا فهذا ما خطَّطته لي من البداية!».

- «لا. لم يُشترَط أن يكون أنت يا لانس. أيُّ أحدٍ كان سيَصلُح، ولو أنك ستَصلُح بامتياز. لم يكن ضروريًّا أن يَحدُث هذا لو اخترت أن تُعينني. ما زالَ يُمكنك أن تُغيِّر رأيي».

- «وهل ستُريد أحدًا فعلَ هذا بجانبك؟».

- «معك حق».

- «لِمَ تسأل إذًا إلَّا بدافع القسوة التَّافهة؟».

- «بالضَّبط، لأنك أغظتني».

توقَّف لانسلوت ثانيةً حين بلغوا حدَّ الدَّائرة، ورنا إلى الشَّواهد الحجريَّة الهائلة.

صرَّح مرلِن: «إذا لم تَدخُل طواعيةً فسيُسعِد خادمي أن يُساعِدك».

بصقَ لانسلوت وشدَّ قامته قليلًا ورمى المشعوذ بنظرةٍ ناريَّة قائلًا: «أتحسبني أخشى بزَّةً مدرَّعةً فارغةً يُحرِّكها بالشَّعوذة مخلوقٌ مولود في الجحيم؟ حتى الآن يا مرلِن، دون عونٍ من السِّحر، باستطاعتي أن أفكِّك هذا الشَّيء تفكيكًا».

ضحكَ المشعوذ، وقال: «خيرٌ أنك تَذكُر زهو الفُرسان في حين أنَّ كلَّ شيءٍ آخَر بارحَك. إنني ميَّالٌ إلى إعطائك الفُرصة، لأن طريقة رحيلك هنا لا تهمُّ؛ وحدها التَّمهيدات ضروريَّة».

- «لكنك تخشى المخاطرة بخادمك؟».

ردَّ مرلِن: «أتحسب ذلك أيُّها العجوز؟ أشكُّ أنك تستطيع تحمُّل وزن بزَّةٍ مدرَّعة، ناهيك بأن ترفع رُمحًا. ولكن لو أنك راغبٌ في المحاولة، فليكن!»، ونقرَ بعقب عصاه على الأرض ثلاث مرَّات، ثم قال: «ادخُل. ستجد ما يلزمك في الدَّاخل. وأنا مسرورٌ لاختيارك هذا. اعلم أنك كنت لا تُطاق. لكم ابتغيتُ أن أراك تُهزَم ولو مرَّةً، تنحطُّ إلى مستوى الفانين الأدنى. ليت الملكة حاضرة لتشهد اشتباك نصيرها الأخير».

قال لانسلوت: «وأنا أيضًا»، وخطا متجاوزًا وحدة الصُّخور المتراصَّة ليَدخُل إلى الدَّائرة.

وجدَ في انتظاره فحلًا أسود عِنانه مثبَّت تحت صخرة، وقد استندَت إلى جنب الطَّاولة الحجريَّة قطعُ درعٍ ورُمح وسيف وتُرس. قُبالته، على الجانب الآخَر من محيط الدَّائرة، وقفَ فحلٌ أبيض منتظرًا إذ تقدَّم الفارس الأجوف.

دارَ مرلِن حول الصَّخرة العظيمة قائلًا: «أعتذرُ لأني لم أعدَّ لك وصيفًا أو مُرافقًا ليُعينك، ولكن سيسرُّني أن أساعدك بنفسي».

ردَّ لانسلوت: «أستطيعُ تولِّي أمر نفسي».

- «نصيري مجهَّز بعتادٍ مماثل، ولم أعطِه سلاحًا محدَّدًا أفضل من سلاحك».

- «لم أحبَّ قَطُّ تلاعُبك بالألفاظ كذلك».

تعرَّف لانسلوت إلى الحصان حتى صادقَه، ثم أخرجَ شريطًا أحمر صغيرًا من محفظته وربطَه حول زُجِّ الرُّمح، وأسندَ عُكَّازه إلى الطَّاولة الحجريَّة ثم شرعَ يرتدي درعه. أمَّا مرلِن -الذي يكاد شعرُه ولحيته يصطبغان الآن بالسَّواد- فابتعدَ عدَّة خُطواتٍ وبدأ يرسم بطرف عصاه مخطَّطًا في التُّراب، وفي الأثناء علَّق: «اعتدتَ تفضيل الخيول البيضاء، وإن خطرَ لي أنه من اللَّائق أن أزوِّدك بواحدٍ بلونٍ آخَر بما أنك هجرت مُثل المائدة المستديرة وخُنت ذكرى كاميلوت».

رفعَ لانسلوت عينيْه إذ هزمَ الرَّعد فجأةً، وردَّ: «على العكس. أيُّ حصانٍ في عاصفةٍ وإنني لحامي كاميلوت الأخير».

واصلَ مرلِن تفصيل التَّصميم الذي يرسمه فيما جهَّز لانسلوت نفسه ببُطء. استمرَّت الرِّيح الخفيفة في الهبوب محرِّكةً الضَّباب، وسطعَ البرق مُجفلًا الحصان، لكن لانسلوت هدَّأه.

حملقَ إليه مرلِن لحظةً وفركَ عينيْه، وقال إذ اعتمرَ لانسلوت خوذته: «للحظةٍ بدوت مختلفًا على نحوٍ ما...».

سألَه: «حقًّا؟ أهي أعراض انسحاب السِّحر في رأيك؟»، وركلَ الصَّخرة من فوق العِنان وامتطى حصانه.

تراجعَ مرلِن عن المخطَّط الذي اكتملَ وهو يهزُّ رأسه، في حين مالَ الرَّاكب والتقطَ الرُّمح. قال المشعوذ: «يبدو أنك ما زلت تتحرَّك بشيءٍ من القوَّة».

- «حقًّا؟». رفعَ لانسلوت الرُّمح ووجَّهه، وقبل أن يلتقط التُّرس الذي علَّقه على السَّرج، فتحَ مقدِّمة خوذته والتفتَ ليَرمُق مرلِن قائلًا: «نصيرك يبدو مستعدًّا، وأنا أيضًا».

في وميضٍ آخَر من البرق، ظهرَ الوجه الذي نظرَ من أعلى إلى مرلِن بلا تجاعيد، صافي العينيْن، تُهدِّب جبهته خُصل من الشَّعر الذَّهبي الباهت.

سألَه مرلِن: «أيُّ سحرٍ علَّمتك السِّنون؟».

أجابَ لانسلوت: «ليس سحرًا. إنه الحذر. لقد توقَّعتُ تصرُّفك، ولذا عندما رجعتُ إلى الكهف لآخذ عُكَّازي، شربتُ بقيَّة إكسيرك»، وأنزلَ مقدِّمة الخوذة ودارَ بالحصان.

- «كنت تمشي كرجلٍ مُسن...».

- «إنه المران المستمر. أعطِ نصيرك الإشارة».

ضحكَ مرلِن، ثم قال وقد حزمَ أمره: «عظيم! أفضلُ أن أراك تَسقُط وأنت بكامل قوَّتك! حتى الآن لا أمل لك في الانتصار على روح!».

رفعَ لانسلوت تُرسه ومال إلى الأمام قائلًا: «ماذا ننتظر إذًا؟».

قال مرلِن: «لا شيء!»، ثم صاحَ: «اقتُله يا راكساس!».

بدأ طلٌّ ينزل فيما انطلقا عبر المضمار، وإذ دقَّق لانسلوت النَّظر أمامه أدركَ أنَّ لهبًا يُومِض وراء مقدِّمة خوذة خصمه. في اللَّحظة

الأخيرة عدَّل سنان رُمحه ليُصوِّبه إلى خوذة الفارس الأجوف المتَّقدة، ومن جديدٍ سطعَ البرق وقصفَ الرَّعد.

أزاغَ تُرسه رُمح الآخَر فيما أصابَ رُمحه هو الرَّأس المقبل، ليطير من فوق كتفَي الفارس الأجوف ويَسقُط على الأرض مشتعلًا.

واصلَ الطَّريق إلى طرف المضمار الآخَر ودارَ، ولمَّا فعلَ رأى الفارس الأجوف -الذي فقدَ رأسه- يفعل المثل، ووراءه رأى شخصيْن واقفيْن حيث قبل لحظاتٍ قليلة وقفَ واحدٌ فقط.

ارتدَت مورجن لا فِاي مِسحًا أبيض وحلَّت شعرها الأحمر ليُهفهِف في الرِّيح وهي تقف مواجهةً مرلِن عند طرف رسمه الآخَر. بدا أنهما يتكلَّمان، لكن لانسلوت لم يسمع كلامهما. ثم بدأت مورجانا ترفع يديْها، وتوهَّجت اليدان كنارٍ باردة، وفي الآن نفسه تألَّقت عصا مرلِن الذي عدَّل وضعها أمامه. ولم يرَ لانسلوت أكثر، ذلك أنَّ الفارس الأجوف استعدَّ للهجمة التَّالية.

وجَّه رُمحه ورفعَ تُرسه ومالَ إلى الأمام وأعطى مطيَّته الإشارة. شعرَ وهو منطلقٌ عبر المضمار كأن ذراعه قضيبٌ من حديد، كأن قوَّته تيَّارٌ كهربيٌّ لا نهائي. الآن يَسقُط المطر أغزر، والبرق يُضيء باستمرار. كتمَ هزيم الرَّعد الثَّابت وقع الحوافر، وصفَّرت الرِّيح مارَّةً بخوذته وهو يقترب من المُحارب الآخَر مصوِّبًا الرُّمح إلى تُرسه.

والتقَيا في صدامٍ عظيم، وانكفأ كلا الفارسيْن وسقطَ الأجوف وقد اخترقَ رُمح مكسور تُرسه وواقي صدره. انخلعَت ذراعه

اليُسرى إذ ارتطمَ بالأرض، وانكسرَ رأس الرُّمح وسقطَ التُّرس بجواره.

لكنه بدأ ينهض في اللَّحظة نفسها تقريبًا، وسحبَت يُمناه سيفه الطَّويل.

ترجَّل لانسلوت طارحًا تُرسه ومستلًّا سيفه العظيم، وتحرَّك ليُلاقي خصمه عديم الرَّأس. ضربَ الآخَر ضربته أوَّلًا، وتفاداها لانسلوت لتسري في ذراعيْه صدمةٌ هائلة، ثم ضربَ هو ضربته، وتفاداها الآخَر.

تقارعَ سيفاهما في أنحاء المضمار إلى أن رأى لانسلوت ثغرةً أخيرًا وهوى بضربته الأثقل، لينقلب الفارس الأجوف في الوحل وقد انشقَّ واقي صدره، تقريبًا حتى الموضع الذي تَبرُز منه قناة الرُّمح. وفي تلك اللَّحظة صرخَت مورجن لا فِاي.

دارَ لانسلوت فرآها ساقطةً فوق التَّصميم الذي رسمَه مرلِن. رفعَ المشعوذ -الذي يغمره الآن ضوء مزرق- عصاه وتقدَّم، وأخذَ لانسلوت نحوهما خُطوةً قبل أن يحسَّ بألمٍ ممض في جنبه الأيسر.

وإذ التفتَ إلى الفارس الأجوف الذي نهضَ نصفيًّا وسحبَ سيفه توطئةً لطعنةٍ أخرى، عكسَ لانسلوت وضع سلاحه بكلتا يديْه ورفعَه عاليًا مصوِّبًا رأسه إلى أسفل.

وألقى بنفسه على الآخَر، ونفذَ نصله من واقي الجذع وهو يحمل على الآخَر ليطرحه على ظهره ويُسمِّره إلى الأرض. من تحته

ارتفعَت صرخةٌ أصدَت في داخل الدِّرع، وانبثقَت من فتحة العُنق دفقةٌ ناريَّة أسرعَت ترتفع وتبتعد، وفي المطر خمدَت، وبعد لحظاتٍ همدَت.

دفعَ لانسلوت نفسه إلى وضع الجثو، ثم قامَ على مهلٍ والتفتَ إلى الجسميْن اللذين عادا يتواجَهان. كلاهما واقفٌ الآن داخل تصميم القوَّة الهندسي الموحل، وكلاهما يغمره الآن الضَّوء المزرق. تحرَّك لانسلوات نحوهما خُطوةً ثم أخرى، وبينما تقدَّم نادى: «مرلِن! لقد فعلتُ ما قلتُ إنني سأفعله! والآن ها أنا قادمٌ لأقتلك!».

والتفتَت مورجن لا فِاي نحوه بعينيْن متَّسعتيْن صائحةً: «لا! اخرُج من الدَّائرة! أسرِع! إنني أحتجزه هنا! قُواه تخور! خلال لحظاتٍ لن يعود لهذا المكان وجود! ارحل!».

لم يتردَّد لانسلوت إلَّا وهلةً، ثم دارَ ومشى بأسرع ما يُمكنه إلى محيط الدَّائرة، وبدا كأن السَّماء تغلي وهو يمرُّ من بين الشَّواهد الحجريَّة.

تقدَّم عدَّة خُطواتٍ أخرى ثم توقَّف مضطرًّا ليستريح. نظرَ وراءه إلى موقع المعركة، إلى الموقع الذي ما زالَ فيه الجسمان ملتحميْن في أحضان الشَّعوذة، ثم انطبعَ المشهد على عقله إذ انفتحَت السَّماوات وسقطَ لوحٌ من النَّار فوق طرف الدَّائرة البعيد.

مبهورًا، رفعَ لانسلوت يده ليُغطِّي عينيْه، ولمَّا خفضَها رأى الأحجار تتساقَط بلا صوتٍ ويتلاشى كثيرٌ منها عن البصر. توًّا بدأ

المطر يخفُّ، وقد اختفى المشعوذ والمشعوذة مع جزءٍ كبير من البناء الذي لا يزال يخبو شيئًا فشيئًا، ولم يَعُد للحصانيْن أثر. نظرَ حوله ورأى حجرًا مناسب الحجم، فاتَّجه إليه وجلسَ، ثم حلَّ أربطة واقي صدره وخلعَه ورماه أرضًا. نبضَ جنبه ألمًا فأمسكَه بإحكام، ومالَ إلى الأمام مريحًا وجهه على يده اليُسرى.

ظلَّ المطر يخفُّ حتى انقطعَ، وسكنَت الرِّيح، وعادَ الضَّباب.

تنفَّس بعُمق وراحَ يُفكِّر في القتال. هذا، هذا هو الشَّيء الذي بقيَ من أجله حيًّا بعد رحيل الآخَرين جميعًا، الشَّيء الذي انتظرَه زمنًا طالَ، وقد تمَّ هذا الشَّيء، ويُمكنه أن يستريح.

بعد ثغرةٍ في إدراكه أعادَه إلى الوعي من جديدٍ ضوءٌ. من بين أصابعه مرَّ وهجٌ ثابت وثقبَ جفنيْه، فأنزلَ يده ورفعَ رأسه فاتحًا عينيْه.

ببُطء مرَّت من أمامه مثل هالةٍ من الضَّوء الأبيض. رفعَ أصابعه اللَّزجة عن جنبه وقامَ ليتبعها. صُلبة هي، ومتوهِّجة، ومجيدة، ونقيَّة، لا تُشبِه على الإطلاق الصُّورة التي رآها في القاعة، وقد قادَته عبر السَّهل المقمر من عتمةٍ إلى ضياءٍ إلى عتمة، إلى أن غلَّفه الضَّباب وهو يمدُّ يده ليحتويها أخيرًا.

هنا ينتهي كتاب لانسلوت

آخِر فُرسان المائدة المستديرة النُّبلاء

ومغامراته مع راكساس الفارس الأجوف

ومرلِن ومورجن لا فِاي

آخِر أهل كاميلوت الحُكماء

في مسعاه إلى الكأس المقدَّسة.

أينما قادَ الحقُّ والمجد.

مكتبة
t.me/soramnqraa

روجر زلازني (١٩٣٧-١٩٩٥): شاعر ومؤلِّف أمريكي، كتبَ عديدًا من الرِّوايات والقصص القصيرة في الخيال العلمي والفانتازيا، وفاز عدَّة مرَّات بجائزتَي «هيوجو» و«نبيولا» وغيرهما.

نُشرت القصَّة بعنوان «*The Last Defender of Camelot*» في مجلَّة «*Asimov's SF Adventure Magazine*» في عام ١٩٧٩، واقتبسَها جورج ر. ر. مارتن في حلقةٍ كتبَها لمسلسل «*The Twilight Zone*» في عام ١٩٨٠، كما حُوِّلت إلى قصَّة مصوَّرة برسوم جيمس زيمرمان في عام ١٩٩٣.

كلُّ الفتيات يُحببن مايكل ستاين

* ديڤد آنتوني دورم *

قال مايكل ستاين: «لا أدري كم يُمكنني أن أتحمَّل».

تنهَّد پاكس قائلًا: «صحيح. منظرها يفطر قلبي. عليها فقط أن تجتاز الأمر. كلُّهم يجتازه في النِّهاية».

ردَّ مايكل ستاين: «انظُر إليها! إنها... إنها...». لم يستطِع التَّفكير في كلمة.

اقترحَ پاكس: «مفجوعة».

يتكلَّمان عن لوسي، والفتاة تبدو مفجوعةً حقًّا.

استلقَت على فِراشها تبكي. رغم مرور ثلاثة أيَّام على الحادثة لم تتحسَّن. حاولَ والداها مواساتها، وتركاها تتغيَّب الأيَّام القليلة الأخيرة من عامها الدِّراسي بالمرحلة الإعداديَّة، قائليْن إنه لا مفرَّ من بدء الصَّيف مبكِّرًا، وكذلك عرَضا أن يُحضِرا لها قُطيطًا جديدًا.

ضايقَ هذا مايكل ستاين قليلًا، وإن لم يكن لقلقه داعٍ حقًّا،

فقد رفضَت لوسي تمامًا، وانتزعَ منها مجرَّد الاقتراح نحيب أسى. أبَت الفتاة أن تُغادِر غُرفتها، وأبَت أن تردَّ على مكالمات أصدقائها، وامتنعَت عن قراءة أيٍّ من قصصها البوليسيَّة، بل وأعرضَت عن النَّظر إلى رفوف كُتب القطط التي تملك مجموعةً كبيرةً منها. عادةً تقضي ساعاتٍ كلَّ مساءٍ في رسم الأجسام السِّنَّوريَّة بكامل مجدها، ولكن حتى ذلك كفَّت عنه تمامًا.

رافعًا عينيْه إليها من مكانه على الأرض، قال مايكل ستاين: «لقد جرَّبتُ كلَّ شيء».

وقد فعلَ صدقًا. استنفرَ مايكل ستاين كلَّ ما في ترسانته من أساليب للتَّرويح عن لوسي، فتمسَّح بكاحليْها جيئةً وذهابًا بسُرعةٍ إذا وقفَت، وصعدَ فوق الفِراش معها ليُعجِّن دُمية البطريق المحشوَّة التي تتعلَّق بها لسببٍ لا يفهمه، وتكوَّر على نفسه بجوارها ليمصَّ حافة دثارها القديم، وعلاوةً على ذلك مسَّح رأسه بذقنها وأطلقَ العنان لخرخرته الهادرة. في المعتاد يُعالِج هذا أيَّ مشكلةٍ تُعانيها... حتى المشكلات مع الصِّبية.

قال پاكس لاعقًا ساعده: «إنك في حالةٍ كلاسيكيَّة من فجيعة الفقد. ستتخطَّاها، وستَخرُج منها مكتسبًا الحكمة، مثلي».

تمنَّى مايكل ستاين لو يكفَّ پاكس عن لعب دور القطِّ العجوز الحكيم. إنه مزعج، لكنه محقٌّ أيضًا. مايكل ستاين لا يستطيع علاج المسألة. حتى في أفضل أيَّام حياته لم يكن إلَّا قطًّا أرقط متوسِّط

الحجم، والآن... الآن هو قطٌّ أرقط ميت متوسِّط الحجم، شبحٌ لما كانه.

قبل موته كوَّن مايكل ستاين آراء عديدةً في القطط الميتة التي قابلَها وتكلَّم مع كثيرٍ منها. هكذا القطط كلُّها، ترى أشياءَ لا يراها البشر، بما فيها أشباح القطط الرَّاحلة. وجدَ مايكل ستاين الطَّريقة النَّكدة الذي تتسكَّع بها القطط الميتة في أنحاء بيوت أناسها تُثير الشَّفقة. إنَّ بإمكانها الذَّهاب إلى أيِّ مكان! فعل أيِّ شيء! إنها لم تَعُد مرتبطةً بأناسها، ولا يلزمها التَّزلُّف إليهم لنيل الطَّعام، ولا الاعتماد عليهم في تغيير رملها. كلُّ هذه الاحتياجات البدنيَّة انتهَت، وبدلًا منها تبقى القطط في صورة طاقةٍ بُخاريَّة خالصة. بالنَّظر إلى ذلك، لِمَ تبقى جميعًا في المنازل أنفُسها لتُشاهِد حيوات النَّاس أنفُسهم الذين عاشَت معهم قبل موتها؟

اعتادَ الجدل في هذه المسألة مع پاكس، وهو شبح قطٍّ عجوز انتمى إلى أمِّ لوسي في صِغرها. لقد ماتَ قبل ثلاثين عامًا تقريبًا! لكن العجوز غريب الأطوار ما زالَ يُلازِمها، ويبدو أنه يعتقد أنَّ العالم الآخَر ينبغي ألَّا يعدو الاسترخاء متكوِّرًا على نفسه عند قدمَي أمِّ لوسي. المرأة لا تدري أنه موجودٌ أصلًا! ما الجدوى إذًا؟

لطالما أيقنَ مايكل ستاين أنه سيخوض شتَّى أنواع المغامرات حينما يموت، وبمجرَّد أن يتحرَّر من أيِّ اعتمادٍ على أناسه سينطلق

راحلًا. إلى اللِّقاء. كانت معرفةً لطيفةً. شُكرًا على نعناع الهرِّ. سيستكشف العالم.

على أنَّ ذلك سبقَ موته، أمَّا الآن فلم يَعُد واثقًا. أيَّامٌ قليلة في العالم الآخَر وبدأ مايكل ستاين يُفكِّر أنه أساءَ تقدير مزايا الموت.

لم يجد مسألة الجسم الشَّبحيَّ ممتعةً مثلما توقَّع. إيْ نعم لم يَعُد عليه القلق من أن يُجرَح أو يُقتَل، لكنه لا يستطيع الشُّعور بالعالم أو شمَّه أو لمسه كما تعوَّد، والأشياء التي ظنَّ أنه سيستمتع بها أيَّما استمتاعٍ بعد الموت لم ترقَ إلى توقُّعاته.

لطالما أرادَ أن يتسلَّق إلى أضأل فروع الأشجار ليُطارِد طيور القُرقُف التي يبدو أنها تحسب أنفُسها تملك الحديقة بأكملها، ولمَّا ماتَ فكَّر أنه الآن خفيفٌ كالرِّيشة ويُمكنه الذَّهاب أينما تذهب، وهذا صحيح، لكن المشكلة أنه لدى بلوغه الفروع الرَّفيعة جدًّا، يغوص جسمه عبرها. في مرَّةٍ وصلَ إلى جوار طائر، فقط ليُشاهِد محبطًا فيما تخلَّله الفرع وطفا جسمه نازلًا حتى حطَّ في بِركة الطُّيور.

الأدهى أنه لا يستطيع لمس الطُّيور. في يومه الأوَّل شبحًا تعقَّب بعضها، ووجدَ هذا النَّشاط عظيمًا حتى اللَّحظة الأخيرة التي هجمَ فيها تكوينه البُخاريُّ على الطُّيور غير المرتابة في شيء، دونما أدنى تأثيرٍ لهجومه. أحيانًا عندما يرشُّ ماءً غزيرًا قد يتوتَّر طائرٌ بما فيه

الكفاية ليخفق بجناحيْه مبتعدًا، وهو ما لا يُشعِر مايكل ستاين بأيِّ رضا بالمرَّة. والأهمُّ لوسي وبكاؤها المتواصل. لو أنَّ بإمكانه أن يرجع في الزَّمن ويُغيِّر ما حدثَ لفعلَ؛ لما تسلَّل من المنزل في تلك اللَّيلة المصيريَّة، ولما ركَّز انتباهه كلَّه على جُحر الأرانب، بل لحافظ على انتباهه، ولما انقضَّ عليه الوحش (الذي لم يُدرِك ماهيته حقًّا). في لحظةٍ أوشك أن يغرز مخالبه في لحم أرنبٍ شهيٍّ، وفي التَّالية أطبقَ عليه شيء ما فكَّيْه. انتهَت القصَّة.

تقبَّل الأمر بروحٍ فلسفيَّة. القطط كلُّها يُدرِكها الموت في وقتٍ ما، ووقت موته حانٌ لا أكثر. على الأقل حدثَ ما حدثَ بسُرعةٍ شديدة فلم يحسَّ بأيِّ ألم، كما أنه ماتَ ميتة صيَّاد. *عِش بالمخلب ومُت بالفكِّ*، تمامًا كما قال دائمًا.

ومع ذلك بدا له في غاية الأهمِّيَّة ألَّا تحزن لوسي، فلطالما حملَ لها مودَّةً رغم أنه لم يأخذ تصريحاتها بالحُبِّ بجدِّيَّةٍ بالغة. وصفَته الفتاة بـ«أفضل قطٍّ في العالم» مئات المرَّات، ولم يهتمَّ على الإطلاق، والآن يُدرِك كم عنى لها وكم عنَت له.

الموقف لا يُطاق، وقد قرَّر مايكل ستاين أن يفعل شيئًا ليحلَّه.

سألَه پاكس: «ستفعل ماذا؟»، ورفعَ رأسه المستريح على قدم أمِّ لوسي الجالسة إلى طاولة المطبخ تفرز بعض الإيصالات، لا تعي إطلاقًا عواطف القطِّ الشَّبح.

أجابَ مايكل ستاين: «سأرى القطَّ الأب. قططٌ كثيرة تفعل هذا. إنها وظيفته أن يسمع تظلُّماتنا ويُساعِدنا».

- «لن تجد الأمر بتلك السُّهولة. القططة الآباء ذوو نفوذٍ وهُم أحياء، ولكن... تفهم أنك لا تستطيع الذَّهاب إلى قطٍّ أبٍ حي، أليس كذلك؟».

لم يُفكِّر مايكل ستاين في ذلك. «متأكِّد؟».

قال پاكس: «ثِق بي. إنني ميتٌ من قبلك بزمنٍ طويل. أنت لم تَعُد جزءًا من دائرتهم الانتخابيَّة. ليس لك الآن إلَّا شبح قطٍّ أب، وهذا النَّوع...»، ثم رفعَ كفًّا بيضاء ولعقَها ومسحَ بها إحدى أُذنيْه السَّوداويْن. الحقيقة أنه لا يستطيع لمس أذنه، لكن التَّخلِّي عن العادات القديمة صعب. «إنه عديم الفائدة حقًّا».

شكَّ مايكل ستاين في هذا. إنَّ لديه فكرةً بالفعل عمَّا سيَطلُبه من القطِّ الأب، وكادَ يَذكُرها، غير أنه لم يُرِد أن يسخر منها پاكس، وبدلًا من ذلك اكتفى بقول: «سأحاولُ رغم كلِّ شيء».

هزَّ پاكس كتفيْه قائلًا: «افعل ما يحلو لك، لكن ما عليك فعله هو قبول الأوضاع. تصرَّف كبقيَّتنا».

- «تعني الجلوس عند قدمَي إنسانك؟».

- «يجب أن تحظى دائمًا بالكلمة الأخيرة، أليس كذلك؟».

لم يحسب مايكل ستاين هذا عدلًا، وأيضًا لم يستطِع ألَّا يحظى بالكلمة الأخيرة، وهكذا قال: «تسكُّعك خفيًّا لا ينفع أحدًا بشيء».

- «سيُدهِشك قدر نفعه». قالها پاكس بسمتٍ من الأهمِّيَّة ضايقَ مايكل ستاين.

قبل أن يُحاوِل مايكل ستاين أن يظفر بالكلمة الأخيرة مرَّةً أخرى، نزلَ أبو لوسي السَّلالم قادمًا من غُرفتها.

سألَته أمُّها: «هل تحسَّنت ولو قليلًا؟».

قال: «لا. بكَت حتى نامَت. ستستيقظ غدًا بعينيْن منتفختيْن»، وزفرَ مضيفًا: «لقد أحبَّت ذلك القطَّ بحق».

رفعَت أمُّ لوسي عينيْها عن الإيصالات، ونظرَت بشجنٍ من النَّافذة المفتوحة قائلةً: «كلُّ الفتيات أحبَبن مايكل ستاين».

قال أبو لوسي: «ربَّاه! لو علمتُ أنَّ حالتها ستكون بهذا السُّوء لما وافقتُ على الاحتفاظ به من الأصل».

- «مع مايكل ستاين، أفضلُ أن تعرف الحُبَّ وتفقده من ألَّا تحبَّ على الإطلاق. لقد غرقتُ في البؤس حين ماتَ قطِّي العجوز پاكس، وذلك لأنني أحببته. ما زلتُ أحبُّه. أحيانًا أفكِّرُ فيه فأكادُ أشعرُ أنه معي في الغُرفة. أتعرف ذلك الشُّعور؟».

ردَّ أبو لوسي: «لا، لا يُمكنني ادِّعاء معرفته»، والتقطَ كيس القمامة من الحاوية وخرجَ يدقُّ الأرض بقدميْه.

خرخرَ پاكس ولاحَ عليه السُّرور بنفسه، وقال: «أترى؟ ألم أخبرك؟ لِمَ لا تستكين بجوار لوسي وتفعل ما بوسعك لمواساتها؟».

قال مايكل ستاين: «قد يُناسِب ذلك القطط الأخرى، لكنني أقولُ إنَّ الموت يُمكن أن يشمل ما هو أكثر».

يقع مقرُّ القطِّ الأب في الفِناء الخلفي نفسه الذي احتلَّه وهو حيٌّ. لم يَزُره مايكل ستاين من قبل، وإن عرفَ أين عاشَ. القطط كلُّها تعرف. فاجأته الأعداد التي وجدَها هناك حين وصلَ. كأن نصف ما في البلدة من قططٍ متزاحم في الفِناء بين أثاث الحديقة والسَّقيفة وفي كلِّ مكانٍ حول أحواض الزُّهور العالية. عند هذه القطط جميعًا مشكلات تأمل أن يحلَّها لها القطُّ الأب.

عندما أعطى اسمه عند البوَّابة الخلفيَّة، نقلَ سكرتير القطِّ الأب ناظريْه من مفكِّرته إليه، ورفعَ أحد حاجبيْه سائلًا: «أيُّ اسمٍ مايكل ستاين هذا؟ أعني لقطٍّ».

أجابَ مايكل ستاين بحرج: «أوه، لا أدري. كنتُ قُطيطًا صغيرًا عندما اختارَه أناسي».

ورفعَ السكرتير حاجبه الآخَر.

الحقيقة أنَّ مايكل ستاين يعرف مصدر اسمه بالضَّبط. البشر أيضًا حسبوه اسمًا غريبًا لقطٍّ، وفي أكثر من مناسبةٍ اضطرَّت أمُّ لوسي إلى حكي قصَّته.

مايكل ستاين اسم فتى وقعَت أمُّ لوسي في حُبِّه في المدرسة الثَّانويَّة، نصف فلبِّيني ونصف يهودي. «خليط عجيب، لكن

النَّتيجة رائعة». ادَّعت أمُّ لوسي أنَّ فتيات المدرسة جميعًا أغرمن به، وبسبب الاهتمام الشَّديد الذي انصبَّ عليه اكتفَت هي بالإعجاب به من بعيد. في صفِّ العلوم في عامها الأوَّل كُلِّفَت بالعمل معه على سلسلةٍ من المشروعات، وأحسَنا العمل معًا، لكنها لم تُعرِب ولو للحظةٍ عن مشاعرها. وهذا كلُّ ما في الأمر. حبٌّ من طرفٍ واحد. وتستمرُّ الحياة.

أو هكذا ظنَّت حتى ليلة لمِّ شمل مدرستها الثَّانويَّة بعد عشرين سنةً. وجدَت مايكل ستاين هناك، يبدو رائعًا كما بدا دومًا. الآن يُدير شركة تصميم برمجيَّات ناجحةً لها فرعان في بوسطن وميونخ، ومتزوِّج وله ثلاثة أطفالٍ وكلبٌ وقطَّتان، ويحبُّ الأفلام الأجنبيَّة، ويَركُض في ماراثون العشرة كيلومترات، وفي ساحة منزله الخلفيَّة فُرن بيتزا يعمل بالحطب بناه بيديْه، ويقود تويوتا پريَس. أصبحَ مايكل ستاين كلَّ ما حلمَت أمُّ لوسي أنه سيُصبِحه.

لدهشتها الشَّديدة، اعترفَ بأنه أحبَّها في المدرسة الثَّانويَّة، لكنه لم يقل شيئًا لأنها لم تبدُ مباليةً به على الإطلاق، وفيما غادرَت الحفل لعنَت أمُّ لوسي نفسها الأصغر ونعتَتها بالحماقة.

بعد أسبوعيْن وقعَ حدثان في يومٍ مصيريٍّ واحد. الأوَّل أنَّ أمَّ لوسي تشاجرَت مع أبيها، والثَّاني أنها عثرَت على قُطيط. مدفوعةً بغضبها من زوجها، جلبَت القُطيط إلى المنزل لأجل لوسي معلنةً أنَّ اسمه مايكل ستاين، الحبيب الذي لم تظفر به. وانتهى الأمر. لطالما أشعرَ الاسم مايكل ستاين بشيءٍ من الغرابة، وكلَّما نادَته أمُّ

لوسي ليلًا ليَدخُل من الحديقة لم يعرف قَطُّ هل تُناديه هو أم حبيب المدرسة الثَّانويَّة الضَّائع.

- «مايكل ستاين! أين أنت؟ مايكل ستاين...».

وهذه هي القصَّة، وقد شعرَ أنه أدلى بمعلوماتٍ شخصيَّة للغاية للسكرتير. على أنَّ مايكل ستاين حاولَ استدراك أمره، فقال: «يا للبشر! ما بالكفِّ حيلة».

بدا أنَّ قوله أرضى السكرتير الذي خفضَ كلا الحاجبيْن ولوَّح في الهواء بكفِّه، المعادل القططي لقول: *آمين يا أخي!* ثم قال: «البشر مجانين، هذا صحيح. لماذا تُريد رؤية القطِّ الأب؟».

من سؤالٍ محرج إلى آخَر.

أضافَ السكرتير: «إنها السِّياسة. عليَّ استبعاد المخابيل».

اعترى مايكل ستاين خوفٌ مفاجئ من أن يتضمَّنه ذلك التَّصنيف، غير أنه لم يرَ خيارًا، فأفصحَ عن الموقف الذي أتى به إلى هنا.

لم يبدُ على السكرتير تأثُّر، وقال: «معذرةً، ولكن ما من شيء...».

ولم يُرِد مايكل ستاين سماع بقيَّة العبارة، بل اندفعَ يقول: «إذا قبلَ القطُّ الأب أن يُعطيها الهديَّة فسيُصبِح كلُّ شيءٍ على ما يُرام!». يعلم أنه طلبٌ كبير، لكن القطَّ الأب قادرٌ على تنفيذه... قادرٌ على السَّماح للوسي برؤية أشباح القطط.

- «أهذا ما ستَطلُبه منه؟ أن يُعطي فتاةً الهديَّة؟ طوال تاريخ العلاقات البشريَّة القططيَّة لم يُعطَ الهديَّة إلَّا عددٌ محدود جدًّا من البشر. غاندي تمتَّع بها. مسألة المقاومة السِّلميَّة إيَّاها؟ فكرة قطَّة. إلينور روزفلت أيضًا تمتَّعت بها، وأرشدَت زوجها خلال الكساد العظيم بالتَّعاون مع مجلسٍ من أشباح القطط. لكنك لم تعلم ذلك». قالها السكرتير وضيَّق عينيْه.

نعم، لم يعلم مايكل ستاين ذلك. «تمتُّع البشر بالهديَّة مفيدٌ إذًا، أليس كذلك؟».

- «من شأنه أن يُفيد، لكن بوناپارت تمتَّع بها أيضًا، واجتاحَ معظم أوربا قبل أن يُقنِعه شبح قطٍّ اشتغلَ عميلًا مزدوجًا بأن غزو روسيا في الشِّتاء فكرةٌ سديدة».

- «أشباح قطط تعمل جواسيس؟».

- «لا تَذكُر أنك سمعت هذا مني. على كلِّ حال، ظروف فتاتك لوسي لا تستأهِل هذا النَّوع من التَّدخُّل. يجب أن يكون التَّدخُّل في سبيل الصَّالح العام، لا لمجرَّد جعل فتاةٍ تكفُّ عن البُكاء. ولستَ تُريد أن تُضيِّع وقت القطِّ الأب أيضًا. إذا ضايقته فقد ينفيك من قطاعه».

- «ينفيني من قطاعه؟».

- «تعلم ما سيعنيه شيء كهذا، أليس كذلك؟».

بلى، يعلم. إذا نُفِيَ مايكل ستاين من القطاع فلن يستطيع البقاء مع لوسي.

سألَه شبح القطَّة الواقف أمامه: «ما سبب مجيئك؟». قُطيطة مشمشيَّة هي، ذات عينيْن واسعتيْن معبِّرتيْن.

نظرَ مايكل ستاين من خلال القُطيطة إلى طابور القطط الممتد على الممرِّ الإسمنتي نحو الشُّرفة الخلفيَّة، حيث يستقبل القطُّ الأب الملتمسين. كان يُحاوِل صياغة الخُطبة التي سيُلقيها. لا بُدَّ أن يحرص على جودتها، أن يقول شيئًا يُميِّزه ولوسي عن طلبات القطط الأخرى.

حدَّقت إليه القُطيطة منتظرةً، فقال: «مسألة شخصيَّة».

لم تستأ القُطيطة، لكنها لم تفهم التَّلميح كذلك، وهكذا قالت: «أنا هنا بسبب فيونا، القُطيطة التي تعيش في الشقَّة التي عشتُ فيها من قبل. أناسها سينزعون مخالبها». همسَ مايكل ستاين غضبًا، فتابعَت القطَّة: «جريمة ضد الطَّبيعة، أليس كذلك؟ حاوَلوا أن يفعلوا بي ذلك، فخدشتهم وقفزتُ من النَّافذة. كانت غلطةً؛ شقَّتنا في الطَّابق السَّابع. لهذا صرتُ كما أنا الآن»، ولوَّحت مشيرةً إلى جسمها شبه الشفَّاف. «اشتروا قُطيطةً جديدةً، وسمعتهم يتكلَّمون عن أخذها إلى الطَّبيب البيطريِّ لإجراء العمليَّة. هكذا يُسمُّونها. العمليَّة. فيونا لا تُصدِّقني. إنها في غاية البراءة، لا يُمكنها مجرَّد تخيُّل أن تفقد مخالبها».

وجدَ مايكل ستاين صعوبةً في تخيُّل ذلك عن نفسه. ما من شيءٍ أسوأ يُمكن أن يَحدُث لقطٍّ أو قطَّة.

أضافَت القطَّة المشمشيَّة: «حاولتُ إخراجها من هناك، لكنهم يحبسونها داخل الشقَّة. لا طريقة سهلة للدُّخول أو الخروج».

سألَها مايكل ستاين: «وماذا تظنُّين بوسع القطِّ الأب أن يفعله؟».

- «لا أدري. المرَّة السَّابقة لم يستطِع أن يفعل شيئًا، لكنه قال أن أعود».

- «كلِّمتِه بالفعل؟».

مكتبة
t.me/soramnqraa

- «نعم، خمس عشرة مرَّةً».

شعرَ مايكل ستاين بآماله تتهاوى، وقال: «أتيتِ خمس عشرة مرَّةً ولم يُساعِدكِ؟».

- «ليس بعدُ».

أتى صوتٌ من خلفهما يقول: «إنه لم يُساعِد أيَّ قططٍ حقًّا منذ موته». المتكلِّمة قطَّة ذات شعرٍ رماديٍّ داكن طويل. «لقد عرفتُ القطَّ الأب في حياته. كان شخصًا جادًّا أصغَت إليه القطط، يُنجِز ما يلزم إنجازه. كلُّ هذا تغيَّر حين ماتَ. إنه مكتئبٌ جدًّا في الحقيقة».

قال القطُّ السِّيامي الواقف في الطَّابور خلفها: «لا أحد منا استدلَّ على طريقةٍ للتَّعامُل مع العالم الآخَر. جميعنا زبائن عائدون. أهذه زيارتك الأولى؟». أومأ مايكل ستاين برأسه إيجابًا، فقال القطُّ

السِّيامي ذو الأنف الملوَّن كاللَّهب: «واو، أوَّل زيارة. آسفٌ أيُّها الصَّغير. اعتَد خيبة الأمل».

عندما حانَ دوره لمخاطبة القطِّ الأب، كان قد سمعَ قصص حظٍّ عاثر أكثر ممَّا يُريد أن يتذكَّر. لكلِّ أحدٍ هنا حكايته، ولم يستطِع مايكل ستاين أن يدَّعي أنَّ سعادة لوسي أهمُّ من الآخَرين جميعًا. ارتجفَت كفوفه توتُّرًا إذ أدركَ أنه ليس واثقًا إطلاقًا بما سيقوله.

قال السكرتير مراجعًا مفكِّرته: «هذا يُسمِّي نفسه مايكل ستاين. انتظِر حتى تسمع ما يُريده منك. طفلٌ مجنون».

خاطبَه صوتٌ عميق خفيض قائلًا: «مايكل ستاين، سكرتيري يقول إنك مجنون. آملُ حقًّا ألَّا يصحَّ ذلك».

القطُّ الأب. في حياته كان أسطوريًّا، ليس فقط قطًّا ضخمًا من سُلالة الماين كون، إحدى أكبر سُلالات القطط المستأنِسة حجمًا، بل وُلِدَ فوق ذلك بستِّ أصابع في كلٍّ من كفَّيْه الأماميَّتيْن. اشتهرَ القطُّ الأب بالصَّيد أيضًا. فئران، أرانب، جرذان، سناجب، اذكُر ما يَخطُر على بالك وستجده اصطادَه. اعتادَ التَّربُّص بالأيائل التي تَخرُج إلى ملاعب المدرسة الثَّانويَّة ليلًا، وفي شبابه خاضَ معارك ملحميَّةً مع قططٍ قويَّة أخرى. حتى الكلاب المحلِّيَّة منحَته احترامها على مضضٍ بعد أن انتشرَت في البلدة قصَّةٌ عن مطاردته دوبرمان إلى أعلى شجرة. استعصى على مايكل ستاين أن يُصدِّق

ذلك، ولكن بغضِّ النَّظر عن الحقائق الدَّقيقة، لا شكَّ أنَّ القطَّ الأب كان مهيبًا.

ولا يزال. استرخى القطُّ الأب في سلَّته مدلِّيًا كفًّا هائلةً من فوق الحافة وقد تبدَّت مخالبه قليلًا، ورغم أنها لم تَعُد قادرةً على أيِّ أذى فقد وتَّر منظرها مايكل ستاين. حدَّق إليه القطُّ الأب بعينه السَّليمة الواحدة (الأخرى بيضاء كالحليب من جرحٍ أصابَه في معركة)، وسألَه: «لماذا تَمثُل أمامي اليوم؟».

أدركَ مايكل ستاين أنه يُحملِق فاغرًا فاه. عليه أن يُبلي بلاءً أحسن. إنه مايكل ستاين، ويفعل ما يفعله من أجل لوسي.

قال شيئًا لم يتوقَّع أن يقوله: «أيُّها القطُّ الأب، يا أشدَّ القطط روعةً، أتيتكُ بعرضٍ متواضع».

- «حقًّا؟ ظننتك ستَطلُب شيئًا».

- «نعم... لكنني أعرضُ شيئًا أيضًا!». لم يعرف أنه سيقول هذا، وما إن قاله حتى عرفَ ما سيعرضه. ولكن لكي ينجح الأمر فعليه أن يشرح بضع نقاطٍ أوَّلًا.

متحرِّكًا ببُطءٍ في دائرة، حاولَ مايكل ستاين أن تَخرُج نبرته واثقةً، أن يبدو قطًّا أكبر من سني عُمره القليلة. «لم أمُت منذ وقتٍ طويل، إلَّا أنني تعلَّمتُ بعض الأشياء بالفعل. على سبيل المثال، الموت ليس ممتعًا».

قال القطُّ الأب مشبِّكًا كفَّيْه: «أخبِرني بشيءٍ لا أعرفه».

- «لكن سبب افتقاره إلى المُتعة مختلفٌ عمَّا حسبته في البدء. ليس المحزن أننا بلا جسمٍ ومخالب وأسنان. أعني أنه شيء محبط، لكن تلك الأشياء لا تعود بالأهمِّيَّة نفسها بعد الموت. شيء آخَر يهمُّ».

- «نعم، وما هو؟».

قال مايكل ستاين: «النَّاس الأحياء الذين يعنينا أمرهم. البشر الأحياء. القطط الحيَّة. كلُّ مَن يأتي إلى هنا يَطلُب صنيعًا من أجل أحدٍ آخَر، أحدٍ حي»، ثم أشارَ إلى القُطيطة المشمشيَّة قائلًا: «أنتِ أتيتِ لأنهم سينزعون مخالب قُطيطةٍ يعنيكِ أمرها. لستِ هنا بسبب ما حدثَ لكِ. إنه ماضٍ. لقد أتيتِ لأن الحياة مستمرَّةٌ وتحفُّ أخطارها مَن ما زالوا يهمُّونكِ. وأنتِ...»، وأشارَ إلى القطَّة طويلة الشَّعر مردفًا: «أنتِ هنا لأن الممرِّضة التي تعتني ببشريَّتكِ العجوز تُهمِلها».

بدَت القطَّة طويلة الشَّعر كاسفة البال إذ ردَّت: «إنها مأساة».

- «طبعًا. وأنتَ سئمتَ رؤية البلطجيَّة يُؤذون صبيَّك البشريَّ».

أيَّده القطُّ السِّيامي قائلًا: «يأخذون نقود غدائه كلَّ يومٍ ولا يشتكي أبدًا. إنه جُندي صغير شُجاع».

- «ما أقوله إذًا إنَّ هديَّة الموت هي في الآن نفسه مأساته. الهديَّة أننا نهتمُّ بالآخَرين أكثر ممَّا اهتمَمنا يومًا. المأساة أن شيئًا

ليس بوسعنا لنُساعِدهم. إننا عاجزون عن أيِّ شيءٍ غير المكوث والمشاهدة».

علَّق القطُّ الأب: «تُثير فيَّ الكآبة أيُّها الصَّغير».

عادَ مايكل ستاين يلتفت إليه. الآن يعلم بالضَّبط ما سيعرضه. الفكرة معقولة تمامًا. بجدِّيَّةٍ عظيمة قال: «نعم، ولكن ماذا لو أنَّ بالإمكان أن تختلف الأوضاع؟ ماذا لو أنَّ بالإمكان وسيلةً لحلِّ مشكلاتنا كلِّها؟».

قال مايكل ستاين: «أترى؟ انظُر إلى كلِّ هذه القصص البوليسيَّة».

وقفَ هو والقطُّ الأب جنبًا إلى جنبٍ بعد دخولهما عبر الجدار إلى غُرفة لوسي.

سألَه القطُّ الأب تاركًا عينه السَّليمة تجول في الأرفُف: «الفتاة قرأت كلَّ هذا؟».

قال مايكل ستاين: «كلَّه بلا استثناء. إنها تعرف كلَّ شيءٍ عن حلِّ المشكلات والجرائم. وقرأت هذه أيضًا»، وأشارَ إلى رفٍّ آخَر مواصلًا: «كلُّ هذه كُتب عن القطط».

- «كلُّها عن القطط، هه؟». حملَت نبرة القطِّ الأب إعجابًا.

- «ورسوم وملصقات القطط».

- «نعم، أراها». لم تَصعُب رؤيتها على القطِّ الأب إذ اكتسَت

بها كلُّ بوصةٍ من جُدران الغُرفة. قفزَ فوق سرير لوسي واقتربَ من الفتاة النَّائمة، وبعد أن فحصَ وجهها قال بحسم: «عينان منتفختان».

جلسَ مايكل ستاين على كفله قائلًا: «من البُكاء. كما قلتُ، لوسي تعرف شيئيْن: القطط والتَّحرِّي. هل من شيءٍ أحسن بالإمكان؟».

أومأ القطُّ الأب برأسه على مضض، وقال: «أأنت واثقٌ بأن الهديَّة لن تُجنِّنها؟ معظم البشر لا يُريد التَّعرُّض لشيءٍ مذهل كهذا. تذكَّر أنَّ الأمر لا رجعة فيه. الهديَّة ستبقى معها مدى الحياة، وقد تجدها فوق احتمالها».

- «لوسي أعقل إنسانٍ أعرفه. إذا فعلت هذا من أجلها فلن تندم».

- «خيرٌ لي ألَّا أندم. أأنت واثقٌ بأنها ستفي بدورها في الصَّفقة؟».

أجابَ مايكل ستاين رامقًا وجه لوسي النَّائم: «تمامًا. إنني متأكِّد».

- «إذا لم يمضِ الأمر بالطَّريقة التي تَزعُمها فـ...».

- «سيمضي على ما يُرام. أعطيك كلمتي».

- «كلمة قطٍّ ميت؟».

ردَّ مايكل ستاين مبتسمًا: «ما من شيءٍ أقدس».

بعدما غادرَ القطُّ الأب، استكانَ مايكل ستاين بجوار لوسي وقضى ساعات اللَّيل المظلمة في انتظار. لم يفعل القطُّ الأب كثيرًا، بل طبعَ قُبلةً على كلٍّ من جفنَي الفتاة المنتفخيْن ليس إلَّا، وتمتمَ ببضع كلماتٍ لم يسمعها مايكل ستاين بوضوح. هذا كلُّ شيء. هل سيكفي حقًّا؟

حاولَ التَّحلِّي بالصَّبر، غير أنَّ الانتظار أثقلَ عليه للغاية، فقال: «لوسي. لوسي، هل تسمعينني؟».

فتحَت لوسي عينيْها، وطرفَت بهما واعتدلَت جالسةً تُحدِّق إلى مايكل ستاين لحظةً طويلةً والارتباك بادٍ عليها، ثم رفعَت قبضتيْها إلى عينيْها وفركَتهما قبل أن تَنظُر إليه ثانيةً. «مايكل ستاين؟».

بدَت مندهشةً، بل مذهولةً، وإن لم يبدُ أنها في خطر فقدان عقلها، فقرَّر أنَّ الوضع آمنٌ لأخذ خُطوةٍ إضافيَّة، وقال: «الواحد والأوحد».

- «إنك تتكلَّم! تمامًا كما حسبتُ طريقة كلامك لو أنك تتكلَّم».

اندفعَت لوسي تُلقي بذراعيْها حوله. لم تستطِع احتضانه كما اعتادَت في الأيَّام الخوالي، ولكن بما أنها تراه فقد اختلفَ الإحساس عن ذي قبل. استمهدَت له الفتاة ذراعيْها كما فعلَت في حياته، وبذلَ هو أفضل ما بوسعه ليتوسَّدهما.

قالت لوسي: «أنت شبح مايكل ستاين»، فأطلقَ خرخرته، وأخذَت لوسي شهيق دهشة، فعلمَ أنها تسمعه يُخرخِر، وأسعدَه

هذا للغاية. «أعرفُ أنني في حُلم، لكنني أحبُّه رغم ذلك. لا أريدُ أن أستيقظ».

قال مايكل ستاين: «ليس حُلمًا يا لوسي».

تراجعَت محدِّقةً إليه، وحكى لها القصَّة كاملةً.

القصَّة كاملةً تقريبًا...

قال عندما لم يَعُد يُمكنه تجنُّب الموضوع أكثر: «لدينا عُقدة واحدة».

قطَّبت لوسي وجهها، وسألَته: «ما هي؟».

- «الأفضل أن أريكِ. لنَخرُج».

امتلأت الشُّرفة ودرجاتها والرَّصيف وحتى آخِر الشَّارع بأشباح القطط. قطط كبيرة، قطط صغيرة، مشمشيَّة، رقطاء، قطط سوداء وسياميَّة، قطط طويلة الشَّعر، وأخلاط من كلِّ سُلالة، وحتى قطٌّ مصريٌّ بلا شعر، وواحد من سُلالة الماين كون يبدو في آنٍ واحد وجيهًا ورصينًا.

سألَها مايكل ستاين: «هل ترينها؟».

- «هل تسألني؟! أكلُّها... أعني... أكلُّها مثلك؟».

- «أجل، كلُّها أشباح. لكن الموت عند القطط لا يعني أننا ننتهي أو نذهب إلى مكانٍ ما أو ما شابهَ. إننا نبقى قُرب

أحبَّائنا». شعرَ بشيءٍ من الذَّنب لأنه فكَّر يومًا أنه لن يبقى، ولكن لا يلزم لوسي أن تعرف ذلك. لا يُريدها أن تُفكِّر أبدًا أنه أرادَ الرَّحيل، بل ولا يَشعُر أنه ما زالَ القطَّ نفسه. «وهذه هي العُقدة...».

بدَت لوسي كأنها تُريد أن تهرع مخترقةً حشود القطط، لكنها منعَت نفسها، وسألَته: «ما العُقدة؟».

- «المشكلة أننا نحن أشباح القطط عاجزون عن مساعدة الأحياء. البشر يجهلون مجرَّد وجودنا. القطط الحيَّة تعرف بأمرنا، لكنها لا تُجيد الإصغاء». أدركَ مايكل ستاين أنه يتكلَّم عن نفسه التي كانها قبل أسبوع، لكنه تابعَ: «لذا، مقابل السَّماح لكِ برؤيتي، قلتُ إنكِ ستسمعين مشكلات أشباح القطط وتُساعِدينها. أحيانًا تُوجَد جريمة ارتُكبَت، وأحيانًا ستُرتكَب، وأحيانًا تقع إساءةٌ على إنسانٍ حيٍّ أن يتعامَل معها». ابتلعَ مايكل ستاين لُعابه، وأضافَ: «قلتُ إنكِ ستكونين هذا الشَّخص».

- «تعني أنني... محقِّقة للقطط الميتة؟».

- «يُمكنكِ النَّظر إلى الأمر بهذه الطَّريقة على ما أظنُّ».

همسَت لوسي: «رائع! إنه أفضل عملٍ يُمكنني أن أتخيَّله! وعندي الصَّيف بطوله...»، وخرجَت من الباب وانخرطَت على الفور في محادثةٍ مع القُطيطة المشمشيَّة.

اعترى مايكل ستاين قدرٌ عظيم من الرَّاحة، وإن علمَ أنه غيَّر ما هو أكثر ممَّا انتوَت الفتاة فعله في الصَّيف. الهديَّة ستبقى معها ما دامَت حيَّةً. عليه أن يُكلِّمها في هذا الشَّأن في وقتٍ ما، أمَّا اليوم فسيكتفي بسروره لاستعادتها.

التفتَت لوسي وقالت بلا صوت: «أحبُّك يا مايكل ستاين»، ولم يستطِع مايكل ستاين منع نفسه، وشرعَ يُخرخِر وقد أدركَ أن علاقته بلوسي لم تنتهِ بموته، بل إنها تبدأ لتوِّها.

أجفلَه صوتٌ أتى من جانبه. إنه پاكس الذي يتمتَّع بالقُدرة على التَّسلُّل بصمتٍ تام. «معنى هذا إذًا أنك باقٍ. كما أخبرتك».

وللمرَّة الأولى لم يُحاوِل مايكل ستاين أن يحظى بالكلمة الأخيرة.

ديڤد آنتوني دورم (١٩٦٩-)، روائي أمريكي يَكتُب الفانتازيا والخيال التَّاريخي، نشرَ سبع روايات وعددًا كبيرًا من القصص القصيرة.
كتبَ دورم القصَّة لأجل ابنته التي فقدَت عددًا من قططها على مرِّ السِّنين، ونشرَها في عام ٢٠١٣ بعنوان «*All The Girls Love Michael Stein*» في كتاب «*Unfettered Tales by Masters of Fantasy*» الذي حرَّره شون سپيكمان.

ورقة شجر من رسم نيجل

* ج. ر. ر. تولكين *

كان ذات مرَّةٍ رجلٌ صغير يُسمَّى نيجل، أمامه رحلةٌ طويلة. لم يُرِد الذَّهاب، بل وعدَّ الفكرة بأكملها بغيضةً، لكنه لم يستطِع التَّملُّص، وعلمَ أنَّ عليه أن يتحرَّك في وقتٍ ما، وإن لم يتعجَّل في ترتيباته.

نيجل رسَّام، وليس فائق النَّجاح، إلى حدٍّ ما لأن عنده أشياء أخرى عديدة يفعلها. معظم هذه الأشياء يعتبره نيجل إزعاجًا، غير أنه يُجيده إلى درجةٍ معقولة حين لا يُمكنه التَّنصُّل، وهو ما يتكرَّر -في رأيه- كثيرًا جدًّا، فالقوانين في بلده في غاية الصَّرامة، وعلاوةً على ذلك أمامه عراقيل أخرى، منها مثلًا أنَّ الخمول يُصيبه أحيانًا فلا يفعل شيئًا إطلاقًا، ومنها أيضًا أنه طيِّب القلب نوعًا. تعرفون هذا الصِّنف من القلوب الطيِّبة، الصِّنف الذي يُضجِر نيجل أكثر ممَّا يحثُّه على فعل أيِّ شيء، وإذا فعلَ شيئًا فلا يمنعه هذا من التَّذمُّر وفقدان أعصابه وإطلاق الشَّتائم (لنفسه غالبًا). على كلِّ حال، تُورِّطه طيبة قلبه هذه في تأدية أعمالٍ صغيرة متنوِّعة لصالح جاره

المستر پارِش، وهو رجلٌ صاحب قدمٍ عرجاء، وفي بعض الأحيان يُساعِد أناسًا آخَرين يَسكُنون في بقاعٍ أبعد إذا جاؤوا وطلبوا المساعدة. بين فينةٍ وفينةٍ يتذكَّر نيجل رحلته أيضًا، ويشرع في حزم بضعة أشياء بطريقةٍ غير فعَّالة، وفي تلك الأوقات لا يرسم كثيرًا.

في حوزة نيجل عددٌ من الرُّسوم غير المكتملة، يتجاوَز أغلبها مهارته من حيث الحجم والطُّموح. إنه من معشر الرسَّامين الذين يستطيعون رسم أوراق الأشجار أفضل من الأشجار أنفُسها، ومن عادته أن يقضي وقتًا طويلًا في الورقة الواحدة، يُحاوِل أن يضبط شكلها، ولمعتها، وبريق قطر النَّدى على حافاتها، ومع ذلك يُريد أن يرسم شجرةً كاملةً، أوراقها جميعًا بالأسلوب ذاته، وفي الوقت نفسه يختلف كلٌّ منها عن غيره.

لوحةٌ معيَّنة تُزعِجه، بدأت بورقةٍ تعصف بها الرِّيح واستحالَت إلى شجرة، والشَّجرة نمَت مُنبتةً فروعًا لا تُحصى ومُبرزةً جذورًا في منتهى الرَّوعة، وأتَت طيورٌ غريبة واستقرَّت على الأغصان مضطرَّةً نيجل إلى الاعتناء بها، ثم -في كلِّ مكانٍ حول الشَّجرة، ومن خلفها، وعبر ثغرات الأوراق والأفرُع- بدأ ريفٌ كامل يتفتَّح، ولاحَت لمحات من غابةٍ تزحف متقدِّمةً، ومن جبالٍ مكلَّلة بالثُّلوج. فقدَ نيجل اهتمامه بلوحاته الأخرى، أو أخذَها وضمَّها إلى أطراف لوحته العُظمى، وسرعان ما كبرَت رُقعة الرَّسم إلى درجة أنه احتاجَ إلى سُلَّم، وقد أخذَ يصعده وينزله مضيفًا لمسةً هنا وماحيًا بُقعةً هناك. إذا أتى أناسٌ لزيارته بدا مهذَّبًا بما فيه الكفاية،

ولو أنه يجلس إلى مكتبه يُداعِب أقلام الرَّصاص قليلًا وهو مصغٍ إلى ما يقولونه، لكنه لا ينفكُّ يُفكِّر طوال الوقت في رُقعته الكبيرة في السَّقيفة الطَّويلة التي بناها من أجلها في حديقته (فوق بُقعةٍ اعتادَ قبلًا أن يزرع فيها البطاطس).

لا يقدر نيجل على الخلاص من قلبه الطيِّب، وأحيانًا يقول لنفسه: «ليتني أقوى عقلًا!»، قاصدًا بهذا أنه يتمنَّى لو أنَّ متاعب الآخَرين لا تُزعِجه. على أنَّ وقتًا طويلًا مرَّ دون أن يُثقِل عليه أحدٌ حقًّا، واعتادَ أن يقول: «على كلِّ حال، سأفرغُ من هذه اللَّوحة، لوحتي الحقيقيَّة، قبل أن أذهب رغمًا عني في تلك الرِّحلة البائسة». ومع ذلك بدأ نيجل يرى أنه لا يستطيع إرجاء رحيله إلى أجلٍ غير مسمًّى. لا بُدَّ أن تكفَّ اللَّوحة عن النُّمو وتنتهي.

ذات يومٍ وقفَ بعيدًا قليلًا عن لوحته وتأمَّلها بانتباهٍ وانفصالٍ غير معتاديْن، لكنه لم يتمكَّن من التَّوصُّل إلى رأيٍ باتٍّ فيها، وتمنَّى لو أنَّ له صديقًا يُخبِره برأيه. الحقيقة أنها بدَت غير مُرضيةٍ على الإطلاق، وفي الآن ذاته فاتنةً تمامًا، اللَّوحة الوحيدة الجميلة بحقٍّ في العالم كلِّه. ما كان ليودَّه في تلك اللَّحظة أن يرى نفسه يَدخُل ويُربِّت على كتفه ويقول (بصدقٍ واضح): «في غاية البداعة! أرى ما ترمي إليه بالضَّبط. واصِل الرَّسم ولا يُقلقنَّك أمرٌ آخَر! سنُرتِّب لك معاشًا عامًّا لكيلا يعوزك شيء».

ولكن لا معاش عامٌّ له، وشيء واحدٌ رآه نيجل: سيلزمه تركيز، عملٌ حقيقي، عملٌ شاق مطَّرد ليَفرُغ من اللَّوحة، حتى بحجمها

الحالي. شمَّر عن ساعديْه وبدأ يُركِّز، ولأيَّامٍ عدَّة حاولَ ألَّا يُزعِج نفسه بأشياءَ أخرى، إلَّا أنه مُنِيَ بنصيبٍ هائل من المقاطعات. في منزله تلفَت أشياء، واضطرَّ إلى الذَّهاب للخدمة في هيئة محلَّفين بالبلدة، وأصابَ المرض صديقًا بعيدًا، وسقطَ المستر پارِش طريح الفِراش بألم أسفل الظَّهر، وظلَّ الزُّوَّار يتوافَدون. إنه الرَّبيع، ويُريدون تناوُل قدحٍ مجَّانيٍّ من الشَّاي في الأرياف، فنيجل يعيش في منزلٍ صغير بهيج يَبعُد بضعة أميالٍ عن البلدة. لعنَهم في قلبه، وإن لم يُمكنه إنكار أنه دعاهم بنفسه قبل وقتٍ طويل في الشِّتاء، حين لم يعدَّها «مقاطعةً» أن يذهب للتَّسوُّق ويشرب الشَّاي مع معارفه في البلدة. حاولَ أن يُقسِّي قلبه، لكنه لم ينجح. أشياء عديدة لم يجد الصَّفاقة الكافية ليَرفُضها، سواء أعدَّها واجباتٍ أم لا، وبعض الأشياء أُجبرَ على فعله بغضِّ النَّظر عن رأيه. لَمَّح بعض زائريه إلى أنَّ حديقته تبدو مهمَلةً للغاية، وأنَّ المفتِّش قد يزوره. قلائل جدًّا منهم يعرفون بأمر لوحته بالطَّبع، ولكن لو عرفَ الآخَرون لما فرقَ ذلك كثيرًا. أشكُّ أنهم كانوا سيرون للمسألة أهمِّيَّةً كُبرى، ولا أظنُّها لوحةً جميلةً إلى تلك الدَّرجة، وإن احتوَت ربَّما على بضعة أجزاءٍ جميلة. الشَّجرة على الأقل غريبةٌ مميَّزة، فريدةٌ على طريقتها الخاصَّة، وكذلك نيجل، مع أنه في الوقت نفسه رجلٌ صغير تقليديٌّ للغاية وسخيف إلى حدٍّ كبير.

أخيرًا صارَ وقت نيجل المحدود ثمينًا للغاية. بدأ معارفه في البلدة البعيدة يتذكَّرون أنه على الرَّجل الصَّغير أن يذهب في رحلةٍ

شاقَّة، وشرعَ بعضهم يحسب إلى متى على أبعد تقديرٍ يُمكنه تأجيل البدء، وتساءَلوا مَن سيأخذ منزله، وهل ستتلقَّى الحديقة عنايةً أفضل.

حلَّ الخريف بليلًا جدًّا وعاصفًا جدًّا. كان الرسَّام الصَّغير في سقيفته، فوق سُلَّمه، يُحاوِل ضبط وهج الشَّمس الغاربة على قمَّة جبل ثلجٍ لمحَه مباشرةً إلى يسار طرفٍ مورق لأحد فروع الشَّجرة. يعلم نيجل أنَّ عليه المغادرة قريبًا، في وقتٍ مبكِّر من العام التَّالي ربَّما. سيُمكنه بالكاد أن يَفرُغ من اللَّوحة، وبنتيجةٍ بين بين فوق ذلك، ففي بعض الأركان لن يجد وقتًا لأكثر من التَّلميح إلى ما يُريده.

ارتفعَت دقَّة على الباب، فقال بحدَّة: «ادخُل!»، ونزلَ السُّلَّم ووقفَ يعبث بفُرشته. إنه جاره المستر پارِش، جاره الحقيقيُّ الوحيد، فباقي القوم يعيشون على مسافةٍ بعيدة. ومع ذلك لا يحبُّ نيجل الرَّجل كثيرًا، إلى حدٍّ ما لوقوعه المستمر في المتاعب وحاجته إلى العون، وأيضًا لأنه لا يُبالي بالرَّسم لكنه انتقاديٌّ للغاية فيما يخصُّ البستنة. عندما يَنظُر پارِش إلى حديقة نيجل (وهو ما يَحدُث كثيرًا)، غالبًا لا يرى إلَّا حشائش، وعندما يَنظُر إلى لوحات نيجل (وهو ما يَحدُث نادرًا)، لا يرى إلَّا رُقعًا خضراء ورماديَّةً وخطوطًا سوداء تبدو له بلا معنى. لا يُمانِع پارِش أن يَذكُر الحشائش (فهذا واجب الجيرة)، غير أنه يمتنع عن إبداء أيِّ رأيٍ في اللَّوحات، إذ يعدُّ امتناعه هذا لُطفًا بالغًا، لكنه لا يُدرِك أنه وإن كان لُطفًا فليس إلى درجةٍ كافية.

قال نيجل: «حسن يا پارِش، ما الأمر؟».

أجابَ پارِش (دون نظرةٍ واحدة إلى اللَّوحة): «لا يَجدُر بي أن أقاطعك، أعرفُ. إنك مشغولٌ للغاية، أنا واثق».

قصدَ نيجل أن يردَّ بشيءٍ مشابه، لكنه فوَّت الفُرصة ولم يقل إلَّا: «نعم».

قال پارِش: «ولكن ليس عندي أحدٌ آخَر ألجأ إليه».

- «صحيحٌ تمامًا». قالها نيجل بزفرة، واحدةٍ من تلك الزَّفرات التي تُعتبَر تعليقًا سرِّيًّا، ولو أنه ليس مكتومًا بالكامل. «بِمَ أساعدك؟».

- «زوجتي مريضةٌ منذ بضعة أيَّام، وبدأتُ أقلقُ. والرِّيح أطاحَت بنصف البلاطات فوق سقفي، والماء ينصبُّ داخل غُرفة النَّوم. أظنُّ أنَّ عليَّ إحضار الطَّبيب، والبنَّائين أيضًا، لكنهم يأخذون وقتًا طويلًا جدًّا ليأتوا. أتساءلُ إن كان لديك خشب وقُماش قنَّب يُمكنك الاستغناء عنهما لأرقِّع السَّقف وأكفي حاجتي يومًا أو اثنيْن». والآن نظرَ پارِش إلى اللَّوحة.

قال نيجل: «ويحي! أنت سيِّئ الحظِّ حقًّا. آملُ أنَّ ما أصابَ زوجتك لا يعدو نوبة برد. سآتي حالًا وأساعدك على نقل المريضة إلى الطَّابق السُّفلي».

ردَّ پارِش بنبرةٍ أبرد من باردة: «شُكرًا جزيلًا، لكنه ليس بردًا،

بل حُمَّى. ما كنتُ لأزعجك بسبب نوبة برد، وزوجتي في فِراشٍ بالطَّابق السُّفلي بالفعل. لا أقوى على الصُّعود والنُّزول بالأطباق بساقي هذه. لكنني أرى أنك مشغول. معذرةً لأني ضايقتك. لقد أملتُ أن تجود بشيءٍ من وقتك وتذهب إلى الطَّبيب باعتبار حالتي، وإلى البنَّاء أيضًا إن لم يكن لديك قُماش قنَّب تستطيع الاستغناء عنه».

قال نيجل: «طبعًا»، وإن جالَت كلمات أخرى بقلبه الذي رقَّ في هذه اللَّحظة فحسب ولكن دونما شعورٍ ولو بذرَّةٍ من الطِّيبة. «يُمكنني الذَّهاب. سأذهبُ لو أنك قلِق حقًّا».

قال پارِش: «أنا قلِق، قلِق جدًّا. ليتني لستُ أعرج!».

وهكذا ذهبَ نيجل. الموقف محرجٌ كما ترون. پارِش جاره، وكلُّ أحدٍ آخَر يعيش بعيدًا. ونيجل يملك درَّاجةً، أمَّا پارِش فلا، كما أنه لا يستطيع ركوب الدرَّاجات. ولپارِش قدم عرجاء، قدم عرجاء حقيقيَّة تُؤلِمه بشدَّة، ويجب تذكُّر هذا علاوةً على قسماته العابسة وصوته المتأفِّف. طبعًا عند نيجل لوحةٌ يملك بالكاد وقتًا لإنهائها، وإن بدا هذا شيئًا على پارِش لا نيجل أن يضعه في الاعتبار، إلَّا أنَّ پارِش لا يضع اللَّوحات في اعتباره، ونيجل لا يستطيع تغيير هذا، وقد قال لنفسه وهو يُخرِج درَّاجته: «اللَّعنة!».

كان الطَّقس بليلًا عاصفًا، وضوء النَّهار يخبو. فكَّر نيجل: «لا مزيد من العمل اليوم!»، وطوال ركوبه إمَّا ردَّد شتائمه في قرارة نفسه وإمَّا تخيَّل لمسات فُرشته على الجبل والغُصين المورق المجاور الذي تخيَّله لأوَّل مرَّةٍ في الرَّبيع. اختلجَت أصابعه حول المِقود. الآن

وقد غادرَ السَّقيفة يرى بالضَّبط أمثل وسيلةٍ لمعالجة الغُصين اللَّامع الذي يُؤطِّر صورة الجبل النَّائي، لكن شعورًا بالخشية وقرَ في قلبه، ضربًا من الخوف من أنه لن ينال أبدًا فُرصة تجربة ما فكَّر فيه.

أخبرَ نيجل الطَّبيب، وتركَ رسالةً للبنَّاء الذي وجدَ مكتبه مغلقًا والرَّجل عادَ إلى جوار مدفأته في بيته. أغرقَه ماء المطر حتى الجلد، وأصابَه عن نفسه برد. لم يتحرَّك الطَّبيب بسُرعة نيجل، بل وصلَ في اليوم التَّالي، وهو ما ناسبَه تمامًا، فلدى وصوله وجدَ مريضيْن في منزليْن متجاوريْن. أوى نيجل إلى فِراشه بحرارةٍ مرتفعة وأنماطٍ باهرة من الأوراق والفروع المتشابكة تتشكَّل في رأسه وعلى السَّقف، ولم يُواسِه أن يعلم أنَّ المسز پارِش لم تُصَب بأكثر من نوبة بردٍ وبدأت تقوم من الفِراش بالفعل. أولى نيجل الحائط وجهه ودفنَ نفسه في ورق الشَّجر.

قبعَ في الفِراش فترةً، واستمرَّت الرِّيح في الهبوب مطيحةً بمزيدٍ ومزيدٍ من بلاطات سطح پارِش وبعض بلاطات سطحه هو أيضًا، وبدأ سقفه يُسرِّب الماء. لم يأتِ البنَّاء، ولم يهتمَّ نيجل بذلك يومًا أو يوميْن، ثم زحفَ من فِراشه ناشدًا قليلًا من الطَّعام (فهو بلا زوجة). لم يَزُره پارِش، فالمطر بلَّل ساقه وأوجعَها، وزوجته مشغولةٌ بتجفيف الماء المتسرِّب وتتساءَل هل نسيَ «ذلك المستر نيجل» أن يذهب إلى البنَّاء. لو أنها رأت فُرصةً لاستعارة أيِّ شيءٍ مفيد لأرسلَت إليه پارِش سواء أتألَّمت ساقه أم لم تتألَّم، لكنها لم تفعل، وتُرِكَ نيجل وشأنه.

في نهاية أسبوعٍ أو نحوه خرجَ نيجل يترنَّح إلى سقيفته. حاولَ أن يصعد السُّلَّم، لكن الدُّوار أصابَه، فجلسَ وتطلَّع إلى اللَّوحة، غير أنَّ أنماطًا للورق ورؤًى للجبال لم تتراءَ له في ذلك اليوم. لربَّما رسمَ مشهدًا بعيدًا لصحراءٍ رمليَّة، لكنه لم يجد الطَّاقة...

أحسَّ بتحسُّنٍ كبير في اليوم التَّالي، فتسلَّق السُّلَّم وشرعَ يرسم، وما إن بدأ يستغرق في العمل حتى سمعَ على الباب دقَّةً.

قال نيجل: «تبًّا!»، ولكن كأنه قال: «ادخُل!» بأدب، لأن الباب انفتحَ على كلِّ حال، وهذه المرَّة دخلَ رجلٌ فارع القامة، غريب كلِّيًّا. قال نيجل: «هذا مرسم خاص. إنني مشغول. ارحل!».

- «أنا مفتِّش منازل». قالها الرَّجل مادًّا يده ببطاقته الوظيفيَّة ليراها نيجل من فوق سُلَّمه.

- «أوه!».

قال المفتِّش: «حالة منزل جارك لا تُرضي على الإطلاق».

- «أعرفُ. لقد أخذتُ رسالةً إلى البنَّائين منذ فترةٍ طويلة، لكنهم لم يأتوا، ثم مرضتُ».

- «مفهوم. لكنك لست مريضًا الآن».

- «لكنني لستُ بنَّاءً. على پارِش أن يُقدِّم شكوى لمجلس البلدة ويَطلُب العون من خدمات الطَّوارئ».

قال المفتِّش: «إنهم مشغولون بعلاج أضرارٍ أسوأ ممَّا لديكم هنا. لقد ضربَ الوادي فيضان، وعائلات عدَّة بلا مأوى. وجبَ أن تُساعِد جارك على عمل إصلاحاتٍ مؤقَّتة وتمنع تكلفة علاج التَّلف من الزِّيادة على الضَّروري. إنه القانون. عندك موادُّ كثيرةٌ هنا: قُماش قنَّب، خشب، طلاء مقاوم للماء».

سألَه نيجل بسخط: «أين؟».

أجابَ المفتِّش مشيرًا إلى اللَّوحة: «هناك!».

صاحَ نيجل: «لوحتي!».

قال المفتِّش: «أظنُّها كذلك، لكن الأولويَّة للمنازل. إنه القانون».

قال نيجل: «لكنني لا أستطيعُ...»، ولم يتمَّ الجُملة، ففي تلك اللَّحظة دخلَ رجلٌ آخَر يُشبِه المفتِّش بشدَّة، يكاد يكون نظيره، طويل القامة ويرتدي أسود على أسود.

بادرَه الرَّجل قائلًا: «هلمَّ! إنني السَّائق».

نزلَ نيجل السُّلَّم متعثِّرًا، وبدا أنَّ الحُمَّى عاودَته إذ أحسَّ برأسه يدور وبالبرودة تعتري جسده كلَّه. مرتبكًا سألَ: «السَّائق؟ السَّائق؟ سائق ماذا؟».

قال الرَّجل: «أنت وعربتك. العربة طُلبَت قبل وقتٍ طويل، وقد وصلَت أخيرًا. إنها في انتظارك. ستبدأ رحلتك اليوم».

قال المفتِّش: «على رِسلك! عليك الذَّهاب، لكنها طريقة سيِّئة

لبدء رحلتك بترك أعمالك ناقصةً. على الأقل يُمكننا الآن الاستفادة من قُماش هذه اللَّوحة».

أجهشَ نيجل المسكين بالبُكاء قائلًا: «ويلي! ولم... لم تنتهِ حتى».

قال السَّائق: «لم تنتهِ؟ حسن، إنها منتهيةٌ فيما يخصُّك أنت على كلِّ حال. هلمَّ!».

وذهبَ نيجل بمنتهى الهدوء. لم يُمهِله السَّائق وقتًا ليحزم أمتعته، قائلًا إنه كان حريًّا به أن يفعل ذلك قبلًا، وإنَّ القطار سيفوتهما، وعليه لم يستطِع نيجل إلَّا التقاط حقيبةٍ صغيرة من الرَّدهة. وجدَ أنها لا تحتوي على أكثر من عُلبة ألوان ودفترٍ صغير من مخطَّطاته، بلا طعامٍ أو ثياب. لحقا بالقطار، وقد شعرَ نيجل بتعبٍ ونُعاسٍ شديديْن حتى إنه بالكاد وعى ما يجري وهُم يُكوِّمونه في مقصورته. لم يُبالِ كثيرًا، إذ نسيَ في الحقيقة أين يُفترَض أن يذهب، أو لأيِّ غايةٍ يذهب.

وعلى الفور تقريبًا انطلقَ القطار في نفقٍ مظلم.

استيقظَ نيجل في محطَّة قطاراتٍ معتمة كبيرة جدًّا، فيما أخذَ حمَّال يذرع الرَّصيف جيئةً وذهابًا مناديًا، لكنه لا يُنادي باسم المكان، بل يصيح: *نيجل!*

بعجلةٍ ترجَّل نيجل من القطار، واكتشفَ أنه نسيَ حقيبته، ولمَّا التفتَ ألفى أنَّ القطار رحلَ.

قال الحمَّال: «آه، هأنتذا! من هنا! ماذا؟ لا أمتعة؟ عليك أن تذهب إلى الإصلاحيَّة».

أحسَّ نيجل بغثيان عنيف وأُغميَ عليه على الرَّصيف، فوضعوه في سيَّارة إسعاف وأخذوه إلى مشفى الإصلاحيَّة.

لم يُعجِبه العلاج بالمرَّة. الدَّواء الذي يسقونه له مُرٌّ، والمسؤولون والموظَّفون أفظاظ وصامتون وصارمون، ولا يرى أحدًا آخَر أبدًا باستثناء طبيبٍ شديد القسوة يزوره من حينٍ إلى آخَر. المكان أقرب إلى سجنٍ منه إلى مستشفى، وعليه أن يعمل بجدٍّ في ساعاتٍ مقرَّرة، في الحَفر والنِّجارة وطلاء الألواح العارية بلونٍ باهت واحد. لا يُسمَح له بالخروج أبدًا، والنَّوافذ كلُّها تطلُّ على الدَّاخل، كما أنهم يَترُكونه في الظَّلام ساعاتٍ طويلةً متواصلةً، «ليُفكِّر قليلًا» على حدِّ تعبيرهم. لم يَعُد يُدرِك مرور الزَّمن، بل ولم يبدأ يتحسَّن حتى، لو أنَّ التَّحسُّن يُقدَّر بمسرَّته بعمل أيِّ شيءٍ من عدمها، وهو لم يَشعُر بأيِّ مسرَّةٍ ولو لمجرَّد خلوده إلى النَّوم.

في البداية، خلال القرن الأوَّل أو نحوه (هنا أنقلُ لكم انطباعاته ليس إلَّا)، اعتادَ القلق بلا هدفٍ على الماضي، وعكفَ على ترديد شيءٍ واحد لنفسه وهو مستلقٍ في الظَّلام: «ليتني زرتُ پارِش في أوَّل صباحٍ بعد هبوب الرِّيح العنيفة. انتويتُ ذلك. لكان إصلاح البلاطات المخلخلة الأولى سهلًا، وربَّما عندئذٍ لما أصابَ البرد المستر پارِش، ولما أصابَني كذلك، ولحظيتُ بأسبوعٍ زيادة!». بيد أنه نسيَ مع مرور الوقت فيمَ احتاجَ إلى أسبوعٍ زيادة، وإذا قلقَ بأيَّة حالٍ بعد

ذلك فعلى أشغاله في المستشفى. خطَّط نيجل لها بحذافيرها، مفكِّرًا في السُّرعة التي يستطيع أن يمنع بها هذا اللَّوح من الصَّرير، أو يُعيد تركيب ذلك الباب، أو يُصلِح ساق تلك الطَّاولة. على الأرجح أصبحَ نيجل بحقٍّ مفيدًا للغاية مع أنَّ أحدًا لم يَطلُب منه هذا. لكن ذلك طبعًا لا يُمكن أن يكون سبب إبقائهم الرَّجل الصَّغير المسكين في المستشفى كلَّ هذا الوقت، فواردٌ أنهم ينتظرون تحسُّنه، ويُقدِّرون «التَّحسُّن» بمعيارٍ طبِّيٍّ غريب يخصُّهم وحدهم.

على كلِّ حال، لم ينَل نيجل من الحياة مسرَّةً، ليس ما اعتادَ أن يُسمِّيه مسرَّةً، وبالتَّأكيد لم يَشعُر بأيِّ استمتاع، ومع ذلك لا يُمكن إنكار أنه بدأ يألف شعورًا من... الرِّضا، ضروريَّات الحياة بدلًا من رفاهياتها. هكذا بإمكانه أن يُباشِر العمل على تكليفٍ ما توَّ أن يرنَّ الجرس، وتوَّ أن يرنَّ الجرس التَّالي يضعه جانبًا مرتَّبًا منظَّمًا جاهزًا لمتابعة العمل في الوقت المناسب. الآن يَفرُغ من أعمالٍ عديدة في اليوم الواحد، ويُنجِز الأشياء الصَّغيرة بدقَّةٍ وعناية. لم يَعُد يملك «وقتًا لنفسه» (باستثناء انفراده بنفسه في حُجيرته)، ورغم ذلك بدأ يُصبِح سيِّد وقته، ويعلم ماذا يفعل به. لا يُوجَد إحساسٌ بالعجلة، وقرارة نفسه أهدأ، وفي وقت الرَّاحة يستطيع أن يرتاح حقًّا.

إلَّا أنهم بدَّلوا ساعات عمله كلَّها على حين غرَّة، وبالكاد سمحوا له بالنَّوم، وأعفوه من العمل في النِّجارة بالكامل، وإن تَركوه يحفر يومًا بعد يوم. تلقَّى نيجل التَّغيير بقبولٍ لا بأس به، ومرَّت مُدَّة طويلة قبل أن يبدأ التَّفتيش في مؤخِّرة عقله عن اللَّعنات

التي باتَت في حُكم المنسيَّة، واستمرَّ يحفر حتى أحسَّ كأنما انكسرَ ظهره وسُحجَت يداه ولم يَعُد قادرًا على رفع جاروفٍ آخَر.

لم يَشكُره أحد، لكن الطَّبيب أتى وألقى عليه نظرةً قائلًا: «انقطِع عن العمل! راحة كاملة في الظَّلام!».

كان نيجل راقدًا في الظَّلام يرتاح راحةً كاملةً، لا يَشعُر بشيءٍ ولا يُفكِّر في شيء، وعلى حدِّ تقديره كأنه راقدٌ منذ ساعاتٍ أو سنوات، حين سمعَ صوتيْن يتكلَّمان، وليسا صوتيْن سمعَهما من قبل. بدا أنَّ هيئةً طبِّيَّةً، أو ربَّما محكمة تحقيق، منعقدة في مكانٍ قريب، في غُرفةٍ متاخمة محتمَل أنَّ بابها تُرِكَ مفتوحًا، ولو أنه لم يرَ أيَّ أضواء.

- «والآن حالة نيجل». قالها صوتٌ، صوتٌ قاسٍ، أقسى من صوت الطَّبيب.

- «ماذا كان خطبه؟». قالها صوتٌ ثانٍ، صوتٌ قد تصفونه باللُّطف، مع أنه ليس رقيقًا. إنه صوت سُلطة، وقد جمعَت نبرته في آنٍ واحد بين الأمل والحُزن. «ماذا كان خطب نيجل؟ قلبه كان في المكان السَّليم».

ردَّ الصَّوت الأوَّل: «نعم، لكنه لم يعمل كما ينبغي، ولا عملَ رأسه بكفاءةٍ كذلك، حتى إنه بالكاد استخدمَه للتَّفكير. انظُر إلى الوقت الذي بدَّده، ودون أن يُمتِع نفسه حتى! إنه لم يستعدَّ لرحلته قَطُّ، وكان ميسور الحال إلى حدٍّ معقول، ومع ذلك وصلَ هنا كأنه

معدم، ووجبَ وضعه في جناح الفُقراء. حالةٌ سيِّئة للأسف. أظنُّ أنَّ عليه البقاء وقتًا أطول».

قال الصَّوت الثَّاني: «لن يضرَّه هذا بأيِّ شكلٍ في ظنِّي، لكنه بالطَّبع مجرَّد رجلٍ صغير. لم يُقدَّر له قَطُّ أن يُحقِّق إنجازاتٍ كُبرى، ولم يتمتَّع قَطُّ بقوَّةٍ عظيمة. فلنُلقِ نظرةً على السِّجلَّات. نعم. لدينا بعض النِّقاط في صالحه».

- «ربَّما، لكن قليلًا جدًّا منها يستحقُّ المعاينة».

- «لدينا هذه: لقد كان رسَّامًا بطبيعته، على نحوٍ محدود طبعًا، ومع ذلك لورقة شجرٍ من رسم نيجل سحرها الخاص. لقد تجشَّم جهدًا هائلًا في رسم الأوراق لمجرَّد أن يُتقِنها، لكنه لم يحسب قَطُّ أن ذلك أكسبَه أهمِّيَّةً. لا تُوجَد ملحوظة واحدة في السِّجلَّات عن تظاهُره ولو لنفسه بأن هذا أعفاه من إهمال ما يفرضه القانون».

- «ما كان عليه إذًا أن يُهمِل أشياءَ بهذه الكثرة».

- «ومع ذلك لبَّى عديدًا من النِّداءات».

- «نسبة صغيرة، غالبيَّتها من النَّوع السَّهل، وقد سمَّاها مقاطعات. السِّجلَّات مليئة بالكلمة، إضافةً إلى كثيرٍ من الشَّكاوى واللَّعنات السَّخيفة».

- «طبعًا، لكنها بدَت للرَّجل الصَّغير المسكين مقاطعات. ولدينا هذا أيضًا: إنه لم يتوقَّع قَطُّ أيَّ تعويض (كما يُسمِّيه

كثيرون من نوعه). لدينا حالة پارِش الذي جاءَنا لاحقًا. كان جار نيجل، ولم يفعل شيئًا من أجله يومًا، ونادرًا ما أبدى أيَّ امتنان، ولكن لا تُوجَد ملحوظة واحدة في السِّجلَّات عن توقُّع نيجل امتنان پارِش، ولا يبدو أنه فكَّر في ذلك أصلًا».

- «نعم، هذه نُقطة في صالحه، لكنها صغيرة جدًّا. أظنُّك ستجد أنَّ نيجل نسيَ لا أكثر في معظم الأحيان. الأشياء التي اضطرَّ إلى فعلها من أجل پارِش صرفَها من عقله باعتبارها مضايقاتٍ فرغَ منها».

قال الصَّوت الثَّاني: «لكن لدينا هذا التَّقرير الأخير عن رحلته بالدرَّاجة في البلل. يجب أن أشدِّد على أهمِّيَّتها. يبدو واضحًا أنها تضحيةٌ خالصة. نيجل خمَّن أنه يتخلَّى عن فُرصته الأخيرة للفروغ من لوحته، وخمَّن أيضًا أنَّ پارِش قلقَ بلا داعٍ».

قال الصَّوت الأوَّل: «أظنُّك تُبالِغ، لكن الكلمة الأخيرة لك. إنها مهمَّتك أنت طبعًا أن تضع أفضل تأويلٍ للحقائق. أحيانًا تحتمل الحقائق التَّأويل الأفضل. ماذا تقترح؟».

أجابَ الصَّوت الثَّاني: «رأيي أنها الآن مسألة معاملةٍ رفيقة».

فكَّر نيجل أنه لم يسمع قَطُّ شيئًا بسماحة ذلك الصَّوت، الذي صوَّر المعاملة الرَّفيقة كحمولةٍ ضخمة من الهدايا الثَّمينة ودعوةٍ إلى مأدبةٍ ملكيَّة. ثم شعرَ بالخجل فجأةً، فسماعه أنه يُعَدُّ حالةً تليق

بالمعاملة الرَّفيقة غمرَ مشاعره وجعلَ وجهه يتورَّد في الظُّلمة. كأنكم تتلقُّون الثَّناء على الملأ، في حين أنكم والجمهور تعلمون أنه ثناء غير مستحق. أخفى نيجل وجهه المخضَّب بالحُمرة في دثاره الخشن.

رانَ الصَّمت، ثم خاطبَ الصَّوت الأوَّل نيجل من مقربةٍ شديدة قائلًا: «كنتَ منصتًا».

قال نيجل: «أجل».

- «ما قولك إذًا؟».

- «هلَّا أخبرتني عن پارِش؟ أودُّ أن أراه ثانيةً. آملُ أن مرضه ليس شديدًا. أيُمكنكم علاج ساقه؟ لطالما نغَّصت عليه حياته. وأرجو ألَّا تقلقوا بشأن علاقتي به. لقد كان جارًا طيِّبًا، وباعَني بطاطس ممتازةً بثمنٍ بخس، وهو ما وفَّر عليَّ وقتًا طويلًا».

قال الصَّوت الأوَّل: «حقًّا؟ يسرُّني أن أسمع هذا».

رانَ صمتٌ آخَر، ثم سمعَ نيجل الصَّوتيْن ينسحبان، وتناهى إلى مسامعه الأوَّل يقول من بعيد: «حسن، أوافقك الرَّأي. فلينتقل إلى المرحلة التَّالية. غدًا إذا أردت».

استيقظَ نيجل ليجد السَّتائر مفتوحةً وحُجيرته ملأى بضوء الشَّمس. نهضَ ليجد ثيابًا مريحةً موضوعةً من أجله، ليست زيَّ مرضى المستشفى الموحَّد. بعد الإفطار عالجَ الطَّبيب يديْه

المتوجِّعتيْن، فدهنَهما بمرهمٍ شفاهما في الحال، ثم أعطى نيجل بعض النَّصائح المفيدة وزُجاجةً من الشَّراب المنشِّط (في حال احتياجه إليه)، وفي منتصف الصَّباح أعطوه بسكويتةً وكأسًا من النَّبيذ، ثم أعطوه تذكرةً.

قال الطَّبيب: «يُمكنك الذَّهاب إلى محطَّة القطارات الآن. سيعتني بك الحمَّال. وداعًا».

خرجَ نيجل من الباب الرَّئيسي، وطرفَت عيناه قليلًا في الشَّمس السَّاطعة. توقَّع أن يجد أنه في بلدةٍ كبيرة متناغمة مع مساحة المحطَّة، إلَّا أنه ألفى نفسه فوق قمَّة تلٍّ أخضر عارٍ تهبُّ عليه رياحٌ حادَّة منعشة، ولا أحد آخَر بالجوار، وبعيدًا عند سفح التَّلِّ رأى سقف المحطَّة اللَّامع.

نزلَ التَّلَّ نحو المحطَّة بخُطواتٍ سريعة ولكن دونما عجلة. لمحَه الحمَّال على الفور، فقال: «من هنا!»، وقادَه إلى رصيفٍ يقف عليه قطارٌ محليٌّ صغير يبدو منظره سارًّا للغاية، يتألَّف من عربةٍ واحدة وقاطرةٍ صغيرة، كلتاهما نظيفة برَّاقة مطليَّة حديثًا، كأن هذه رحلتهما الأولى على الإطلاق، وحتى المسار أمام القاطرة يبدو جديدًا؛ القضبان تلمع، والخوازيق مطليَّة بالأخضر، والفلنكات تنبعث منها رائحة القار الطَّازج اللَّذيذة في ضوء الشَّمس الدَّافئ.

ركبَ نيجل العربة الخالية، وسألَ: «أين يذهب هذا القطار أيُّها الحمَّال؟».

أجابَه الحمَّال: «لا أظنُّهم استقرُّوا على اسمٍ بعدُ، لكنك ستجد المكان»، ثم أغلقَ الباب.

تحرَّك القطار في الحال، واسترخى نيجل في مقعده. اندفعَت القاطرة الصَّغيرة نافثةً الدُّخان في منخفضٍ عميق بين ضفَّتيْن خضراويْن عاليتيْن مسقوفتيْن بسماءٍ زرقاء، ولم يبدُ أنَّ وقتًا طويلًا مرَّ قبل أن ترتفع صفَّارة وتُضغَط الفرامل ويتوقَّف القطار. لا محطَّة هنا أو لافتة، فقط مجموعةٌ من الدَّرجات تصعد الضفَّة الخضراء. عند قمَّة الدَّرجات بوَّابة صغيرة في سياج نباتاتٍ مشذَّب، وعند البوَّابة درَّاجته، أو إنها تبدو كدرَّاجته على الأقل، وقد رُبطَت بمِقودها ورقة صفراء كُتِبَ عليها **نيجل** بحروفٍ سوداء كبيرة.

فتحَ نيجل البوَّابة وقفزَ راكبًا الدرَّاجة وانطلقَ نازلًا التَّلَّ في ضِوء شمس الرَّبيع، ولم يَطُل الوقت قبل أن يكتشف أنَّ الدَّرب الذي بدأ الحركة عليه اختفى، والآن تجري الدرَّاجة في مرجٍ بديع، مرجٍ أخضر متموِّج، ومع ذلك يرى نيجل كلَّ ورقة عُشبٍ بوضوح. تذكَّر أنه رأى هذا النِّطاق العُشبيَّ أو حلمَ به في مكانٍ أو آخَر، فتعاريج الأرض مألوفة إلى حدٍّ ما. نعم، بدأت الأرض تستوي كما ينبغي، والآن طبعًا بدأت ترتفع من جديد. ثم اعترضَ ظلٌّ أخضر عظيم الطَّريق بينه وبين الشَّمس، ولمَّا رفعَ نيجل عينيْه سقطَ من فوق درَّاجته.

أمامه ترتفع الشَّجرة، شجرته، منتهيةً... إن أمكنَ قول ذلك عن شجرةٍ حيَّة تتفتَّح أوراقها وتمتدُّ فروعها وتنثني في الرِّيح التي

لطالما شعرَ بها نيجل أو فكَّر فيها ولطالما أخفقَ في ضبط الإحساس بها.

حدَّق نيجل إلى الشَّجرة، وببُطءٍ رفعَ ذراعيْه وفتحَهما على اتِّساعهما قائلًا: «إنها هديَّة!». قصدَ بهذا موهبته الفنِّيَّة، وقصدَ النَّتيجة أيضًا، لكنه استخدمَ الكلمة بمعناها الحرفيِّ.

ظلَّ يَرمُق الشَّجرة. كلُّ الأوراق التي اجتهدَ في رسمها هنا، كما تخيَّلها لا كما رسمَها، وأوراقٌ أخرى نبتَت في عقله لا أكثر، وأوراقٌ أخرى لربَّما نبتَت لو امتلكَ الوقت. لا كتابة عليها، مجرَّد أوراقٍ فاتنة، غير أنَّ كلًّا منها مؤرَّخ كما لو أنها رُزنامة. بدا أنَّ بعض أجمل الأمثلة على أسلوب نيجل، بعض أكثرها تميُّزًا ومثاليَّةً، نتاجٌ لتعاوُنه مع پارِش، وما من وسيلةٍ مغايرة للتَّعبير عن هذا.

رأى الطُّيور تبني أعشاشها فوق الشَّجرة، طيورًا مدهشةً، وما أحلى تغريدها! إنها تتزاوَج وتُفرِّخ وتنمو جناحاتها وتطير إلى الغابة مغنِّيةً، كلُّ هذا وهو يَنظُر إليها. والآن يرى الغابة أيضًا، مفتوحةً على كلا الجانبيْن وتمتدُّ إلى بعيد، ومن بعيدٍ تلتمع الجبال.

بعد فترةٍ التفتَ نيجل إلى الغابة، ليس لأنه سئمَ الشَّجرة، بل لأنها صارَت جليَّةً تمامًا في عقله، وقد أدركَ هذا وأدركَ نموَّها المتواصل حتى وهو مشيحٌ عنها ببصره. مع ابتعاده تبيَّن شيئًا عجيبًا: الغابة بعيدةٌ بالطَّبع، ورغم ذلك بإمكانه الدُّنو منها، بل ودخولها، دون أن تفقد طابعها السِّحريَّ هذا تحديدًا. لم يستطِع نيجل من قبل

قَطُّ أن يَدخُل تلك المنطقة البعيدة من غير أن يُحوِّلها إلى بيئةٍ محيطة مجرَّدة، أمَّا الآن فيُضفي وضعها جاذبيَّةً عظيمةً على المشي في الرِّيف، فمع استمراركم في المشي تجدون مساحاتٍ جديدةً تنفتِح، فتُصبِح أمامكم مساحات مضاعفة مثنى وثلاث ورباع، سحرها مضاعف مثنى وثلاث ورباع. يُمكنكم أن تمشوا وتمشوا فتحتوون ريفًا كاملًا في حديقة، أو في لوحة (إن فضَّلتم هذه التَّسمية). يُمكنكم أن تمشوا وتمشوا، ولكن ليس للأبد ربَّما، ففي الخلفيَّة تقع الجبال التي تقترب ببُطءٍ شديد، ولا يبدو أنها تنتمي إلى اللَّوحة، بل إنها بمثابة رابطٍ بشيءٍ آخَر، لمحة عبر الأشجار من شيءٍ مختلف، من مرحلةٍ تالية، لوحةٍ أخرى.

تجوَّل نيجل في المكان، ولكن ليس على سبيل التَّسكُّع فحسب، بل يبحث بحرص. الشَّجرة منتهية، ولكن ليست منتهًى منها (فكَّر نيجل: «عكس ما كان من قبل»)، إلَّا أنَّ في الغابة عددًا من الأنحاء غير المكتملة التي يلزمها عملٌ وتفكير. ما عادَ شيء يحتاج إلى تغيير، ولا شيء خطأ حسب الموجود هنا، لكن الاستمراريَّة حتى نُقطةٍ محدَّدة مطلوبة، وقد رأى نيجل النُّقطة بالتَّمام في كلِّ حالة. جلسَ تحت شجرةٍ بعيدة رائعة الجمال -تنويع على الشَّجرة العُظمى، لكنها متفرِّدة تمامًا، أو إنها ستصير كذلك بقليلٍ من الاهتمام الإضافي- وفكَّر أين يبدأ العمل وأين يُنهيه وكم يتطلَّب من الوقت.

لم يستطِع وضع خطَّةٍ متكاملة، وقال: «طبعًا! إنني محتاجٌ إلى بارِش. أشياء كثيرة عن التُّربة والنَّباتات والشَّجر يعرفها هو

وأجهلها. لا يُمكن أن يُترَك هذا المكان كأنه حديقتي الخاصَّة لا أكثر. تلزمني المساعدة والنَّصيحة. كان يجب أن أدرك هذا مبكِّرًا».

نهضَ وسارَ إلى البُقعة التي قرَّر بدء العمل فيها وخلعَ معطفه، ثم إنه رأى -في غورٍ محميٍّ صغير محجوب عن الأنظار من الجهات الأخرى- رجلًا يتلفَّت حوله باديًا في غاية الحيرة، يتَّكئ على جاروفٍ ولكن من الواضح أنه يجهل ما العمل. رفعَ نيجل عقيرته مناديًا: «پارِش!»، فوضعَ پارِش جاروفه على كتفه وتقدَّم إليه، ما زالَ يعرج بعض الشَّيء. لم يتكلَّما، بل اكتفى كلاهما بالإيماء للآخَر كما تعوَّدا إذا تقابَلا على الدَّرب بين منزليْهما، وإن سارا الآن معًا متشابكَي الذِّراعيْن. دون كلامٍ اتَّفق نيجل وپارِش أين يضعان المنزل والحديقة بالضَّبط، وهو ما بدا مطلوبًا.

فيما عملا معًا صارَ واضحًا أنَّ نيجل الآن أفضل الاثنيْن في تنظيم وقته وإنجاز المهام، والغريب أنَّ نيجل نفسه هو الذي انهمكَ تمامًا في أعمال البناء والبستنة، في حين تجوَّل پارِش غالبًا يتطلَّع إلى الأشجار، ولا سيَّما الشَّجرة العُظمى.

ذات يومٍ انشغلَ نيجل بغرس سياجٍ من الزُّعرور البرِّي، فيما استلقى پارِش فوق العُشب على مقربةٍ، يتطلَّع بانتباهٍ إلى زهرةٍ صفراء صغيرة جميلة متناسقة تنمو في المرج الأخضر. وضعَ نيجل كثيرًا من هذه الزُّهور بين جذور شجرته قبل زمنٍ طويل. فجأةً رفعَ پارِش رأسه بوجهٍ ملتمع في الشَّمس وعلى شفتيْه ابتسامة، وقال: «يا للرَّوعة! لا يُفترَض أن أكون هنا حقًّا. شُكرًا لأنك أوصيت عليَّ».

قال نيجل: «هُراء. لا أذكرُ ما قلته، لكنه لم يكفِ على الإطلاق».

قال پارِش: «أوه، بل كفى. لقد عجَّل كثيرًا بخروجي. ذلك الصَّوت الثَّاني أرسلَني إلى هنا، قال إنك طلبت رؤيتي. إنني مدينٌ لك بهذا».

ردَّ نيجل: «لا، بل تدين به للصَّوت الثَّاني. كلانا مدينٌ له».

استمرَّا في العيش والعمل معًا، ولا أدري لكم من الوقت. لا جدوى من إنكار أنهما اختلفا أحيانًا في البداية، خصوصًا إذا أصابَهما التَّعب، ذلك أنهما تعبا أحيانًا في البداية. وجدَ كلاهما أنه زُوِّدَ بشرابٍ منشِّط، وعلى كلتا الزُّجاجتيْن تقول الرُّقعة: *تُؤخَذ قطرات قليلة مخلوطةً بماء النَّبع قبل الرَّاحة.*

وجدا النَّبع في قلب الغابة. مرَّةً واحدةً فقط قبل زمنٍ طويل تخيَّله نيجل، لكنه لم يرسمه قَطُّ، والآن يرى أنه مصدر البُحيرة المتلألئة بعيدًا، وغذاء كلِّ ما ينمو في الرِّيف. أضفَت القطرات القليلة على الماء لذعةً ومرارةً شديدتيْن، لكنها جعلَته أيضًا منعشًا يُصفِّي الرَّأس. بعد الشُّرب استراحا وحدهما، ثم عادا يقومان، وهكذا سارَت الأمور بمرح. في تلك الأوقات فكَّر نيجل في أزهارٍ ونباتات رائعة جديدة، وعرفَ پارِش دومًا كيف يضعها بالضَّبط وأين تتجلَّى بكامل حُسنها. قبل نفاد الشَّراب بفترةٍ طويلة كفَّا عن الاحتياج إليه، ولم يَعُد پارِش يعرج.

مع اقتراب عملهما من منتهاه خصَّصا لنفسيْهما مزيدًا فمزيدًا

من الوقت للتَّجوال ومشاهدة الأشجار والزُّهور والأضواء والأشكال وتضاريس الأرض. في بعض الأحيان غنَّيا معًا، وإن وجدَ نيجل أنه بدأ يرنو ببصره أكثر فأكثر إلى الجبال.

وجاءَ وقتٌ أوشكَ فيه على الاكتمال المنزل في الغور والحديقة والعُشب والغابة والبُحيرة والرِّيف المحيط، كلٌّ على طريقته الملائمة، وقد أزهرَت الشَّجرة العُظمى وأينعَت تمامًا.

في أحد الأيَّام قال پارِش: «سنَفرُغ هذا المساء، وبعد ذلك سنذهب في تمشيةٍ طويلة جدًّا».

خرجا في اليوم التَّالي، ومشيا حتى قطعا المسافة كلَّها إلى الحافة. ليست الحافة مرئيَّةً طبعًا، فلا خطَّ لها أو سياج أو سور، لكنهما علما أنهما بلغا حدَّ الرِّيف. رأيا رجلًا يبدو كالرُّعاة، وقد تقدَّم إليهما نازلًا المنحدرات المعشوشبة التي تقود إلى الجبال، وسألَهما: «هل تُريدان مُرشدًا؟ هل تُريدان الاستمرار؟».

للحظةٍ سقطَ ظلٌّ بين نيجل وپارِش، إذ علمَ نيجل أنَّ پارِش لا يُريد الاستمرار، وعلمَ أيضًا (على نحوٍ ما) أنَّ عليه هو أن يستمرَّ.

لكن پارِش أبى الاستمرار، ولم يستعدَّ بعدُ للرَّحيل. قال لنيجل: «يجب أن أنتظر زوجتي. ستجد نفسها وحيدةً. لقد قدَّرتُ أنهم سيُرسِلونها بعدي في وقتٍ ما حينما تستعدُّ وأجهِّزُ لها الأوضاع. المنزل اكتملَ بقدر استطاعتنا، وأودُّ أن أريها إيَّاه. أتوقَّعُ أنها ستجعله أفضل، أكثر أُنسًا. آملُ أن يروقها هذا الرِّيف أيضًا»،

ثم التفتَ پارِش إلى الرَّاعي، وسألَه: «أأنت مُرشد؟ أيُمكنك أن تُخبِرني باسم هذا البلد؟».

قال الرَّجل: «ألا تعرف؟ إنه ريف نيجل. هذه لوحة نيجل، أو معظمها، فقليلٌ منها الآن في حديقة پارِش».

بدهشةٍ قال پارِش: «لوحة نيجل! أأنت مَن فكَّر في كلِّ هذا يا نيجل؟ لم أعرف قَطُّ أنك بهذه المهارة. لِمَ لم تُخبِرني؟».

أجابَه الرَّجل: «حاولَ بالفعل أن يُخبِرك منذ زمنٍ طويل، لكنك أحجمت عن النَّظر. في تلك الأيَّام لم يملك إلَّا أقمشة الرَّسم والألوان، وأنت أردت إصلاح سقفك بها. ما تراه الآن هو ما اعتدت أنت وزوجتك أن تصفاه بهُراء نيجل أو ذلك التَّلطيخ».

قال پارِش: «لكنه لم يبدُ هكذا آنذاك! لم يبدُ حقيقيًّا!».

- «نعم، كان مجرَّد لمحةٍ آنذاك، ولكن وجبَ أن تُبصِرها لو حسبت المحاولة تستحقُّ».

قال نيجل: «لم أعطك الفُرصة. لم أحاول قَطُّ أن أشرح. اعتدتُ أن أسمِّيك عزَّاق الأرض العجوز. ولكن فيمَ يهمُّ هذا؟ لقد عشنا وعملنا معًا. لربَّما اختلفَت الأمور، ولكن لما أمكنَ أن تكون أحسن. على كلِّ حال، يُؤسِفني أنَّ عليَّ أن أرحل الآن. أتوقَّعُ أننا سنلتقي ثانيةً، فمؤكَّد أنَّ عندنا أشياء كثيرة أخرى يُمكننا أن نفعلها معًا. وداعًا!»، وشدَّ على يد پارِش بدفء، وبدَت له يدًا طيِّبةً قويَّةً صادقةً. التفتَ نيجل ونظرَ وراءه لحظةً. الزُّهور على الشَّجرة

العُظمى متوهِّجة كاللَّهب، والطُّيور كلُّها محلِّقة في الهواء وتُغرِّد. ثم ابتسمَ نيجل وأومأ برأسه لپارِش، وذهبَ مع الرَّاعي.

سوف يُحيط علمًا بالخراف والمراعي العالية، ويَنظُر إلى سماءٍ أرحب، ويتقدَّم أكثر فأكثر إلى الجبال، دائمًا في صعود. بعد ذلك ليس بإمكاني تخمين ما حدثَ له. حتى في بيته القديم لم يستطِع نيجل الصَّغير إلَّا أن يلمح الجبال من بعيد، وقد دخلَت حدود لوحته، ولكن لا يعرف ماهيتها الحقيقيَّة وما يقع خلفها إلَّا مَن يتسلَّقها.

قال عضو المجلس البلدي تومپكنز: «رأيي أنه كان رجلًا سخيفًا، عديم القيمة في الحقيقة، لا نفع منه للمجتمع على الإطلاق».

ردَّ آتكنز (الذي لا يُعَدَّ أحدًا ذا شأن، مجرَّد مدير مدرسة): «أوه، لا أدري. لستُ واثقًا مثلك. حسب ما تعنيه بالنَّفع».

قال تومپكنز: «لا نفع عمليٌّ أو اقتصاديٌّ. كان من الممكن في رأيي أن يُستغلَّ بصفته تُرسًا في ماكينة الخدمة لو أنكم تعرفون ماذا تفعلون يا مديري المدارس. لكنكم لا تعرفون، ومن ثمَّ يُصبِح بيننا أناسٌ من نوعه. لو أني أديرُ هذا البلد لعيَّنته ومَن على شاكلته في وظائف يَصلُحون لها، يغسلون الأطباق في مطبخٍ عموميٍّ أو ما شابهَ، ولحرصتُ على إجادتهم عملهم. أو لأودعته المستشفى. كان

عليَّ أن أودعه المستشفى منذ زمنٍ طويل».

- «تُودِعه المستشفى؟ تعني أنك كنت ستجعله يبدأ رحلته قبل الأوان؟».

- «نعم، إن كان يجب أن تستخدم هذا التَّعبير القديم عديم المعنى. أدفعه عبر النَّفق إلى كومة القمامة الكُبرى، هذا ما أعنيه».

- «لا تظنُّ إذًا أنَّ للرَّسم أيَّ قيمة، لا يستحقُّ الحفظ أو التَّحسين أو حتى الاستغلال».

قال تومبكنز: «للرَّسم فوائد طبعًا، لكن رسمه لم يَصلُح لشيء. المجال مفتوح للشُّبَّان الأجرياء الذين لا يخشون الأفكار الجديدة والأساليب الجديدة. لا شيء من تلك الرُّسوم عتيقة الطِّراز. إنها أحلام يقظةٍ شخصيَّة. ما كان ليُمكنه أن يُصمِّم مُلصقًا واحدًا ولو اعتمدَت على ذلك حياته. دائمًا يعبث بالأوراق والزُّهور. سألته عن السَّبب مرَّةً فقال إنه يراها جميلةً! أتُصدِّق هذا؟ قال جميلة! سألته: ما الجميل؟ أعضاء النَّباتات الهضميَّة والتَّناسليَّة؟ ولم يُجِبني. اللَّاهي السَّخيف».

تنهَّد آتكنز قائلًا: «لاهٍ. نعم، الرَّجل المسكين لم يُنهِ شيئًا قَطُّ. آه، على كلِّ حال، لقد استُخدمَت أقمشة رسمه «استخدامًا أفضل» منذ رحيله. لكنني لستُ واثقًا يا تومبكنز. أتَذكُر تلك اللَّوحة الكبيرة التي استخدَموها لترقيع سطح المنزل المجاور بعد العواصف

والسُّيول؟ لقد عثرتُ على رُكنٍ ممزَّق منها في أحد الحقول. كان تالفًا لكنه واضح: قمَّة جبلٍ وغُصين مورق. لا أستطيعُ أن أطرحها من عقلي».

سألَه تومپكنز: «تطرحها من ماذا؟».

- «عمَّن تتكلَّمان؟». قالها پركنز متدخِّلًا على سبيل حفظ السَّلام، إذ احتقنَ وجه آتكنز بشدَّة.

قال تومپكنز: «الاسم لا يستحقُّ التَّكرار. لا أدري لِمَ نتكلَّم عنه أصلًا. إنه لم يعِش في البلدة».

قال آتكنز: «نعم، لكنك وضعت عينك على منزله رغم ذلك. لهذا اعتدت زيارته والسُّخرية منه وأنت تشرب شايه. حسن، ها قد ظفرت بمنزله علاوةً على منزلك في البلدة، فلا داعي إلى أن تأبى عليه ذِكر اسمه. نتكلَّم عن نيجل إذا أردت أن تعرف يا پركنز».

- «أوه، نيجل المسكين! لم أعرف قَطُّ أنه مارسَ الرَّسم».

هذه على الأرجح هي المرَّة الأخيرة التي ذُكِرَ فيها اسم نيجل في محادثة. احتفظَ آتكنز برُكن اللَّوحة الذي تفتَّت معظمه، لكن ورقة شجرٍ واحدةً ظلَّت سليمةً، وقد بروزَها آتكنز وتركَها لاحقًا لمتحف البلدة، ولوقتٍ طويل عُلِّقَت «**ورقة شجر: من رسم نيجل**» هناك في فجوةٍ بأحد الجُدران، لكن في النِّهاية احترقَ المتحف، وطوى النِّسيان الورقة ونيجل بالكامل في بلده القديم.

قال الصَّوت الثَّاني: «المكان يُثبِت فائدته الجمَّة حقًّا من حيث العُطلة والتَّرويح. مكانٌ ممتاز للنَّقاهة، وليس ذلك فحسب، فكثيرون يعدُّونه أفضل تقديم للجبال، وفي بعض الحالات يصنع أعاجيب. بدأتُ أرسلُ أعدادًا أكثر فأكثر إلى هناك. نادرًا ما تلزمهم العودة».

قال الصَّوت الأوَّل: «نعم، صحيح. أظنُّ أنَّ علينا أن نُطلِق على المنطقةِ اسمًا. ماذا تقترح؟».

أجابَ الصَّوت الثَّاني: «الحمَّال سوَّى هذه المسألة منذ مُدَّة، ومنذ وقتٍ طويل يُنادي: *القطار إلى نيجل پارِش على الرَّصيف!* نيجل پارِش. بعثتُ برسالةٍ إلى كلٍّ منهما وأخبرته».

- «وماذا قالا؟».

- «كلاهما ضحكَ... ضحكَ حتى ردَّدت الجبال أصداء ضحكه!».

مكتبة
t.me/soramnqraa

جون رونلد روئل تولكين (١٨٩٢-١٩٧٣)، أشهر مؤلِّف فانتازيا في التَّاريخ، وصاحب «الهوْبِت» و«سيِّد الخواتم» وغيرهما، وفقيه لُغوي وأستاذ جامعي أسهمَ في وضع قاموس أُكسفرد وكتبَ عددًا كبيرًا من المحاضرات الأكاديميَّة.

نُشرت القصَّة بعنوان «*Leaf by Niggle*» في مجلَّة «*Dublin Review*» في عام ١٩٤٥.

هشام فهمي

مُترجم وكاتب مصري، وُلد بالإسـكندريَّة في عام 1983، ودرسَ الأدب الإنجليزي والتَّرجمة بجامعة الإسـكندريَّة، وعملَ مُترجمًا وكاتبًا فـي عددٍ من الصُّحف والمجلَّات. ترجمَ فهمي عددًا كبيرًا مـن الأعمال العالميَّـة، ينتمي أكثرهـا إلى الفانتازيـا والخيال العلمي والكومِكس.

مـن أعمالـه المترجَمة: «الهوْبِت» لـج. ر. ر. تولْكيـن، «أغنيَّة الجليـد والنَّار» و«فارس من الممالك السَّـبع» و«أغنيَّة من أجل ليا» و«تنِّين الجليد» لجوْرج ر. ر. مارتن، «فرانكنشـتاين» لماري شِـلي، «المحيط فـي نهاية الـدَّرب» و«كوْرالايـن» و«الحقيقة كهف في الجبال السَّـوداء» و«آلهة أمريكيَّـة» و«غُبار النُّجوم» لنيل جايمان، «سرسي» لمادلين ميلر، «النَّاجي الأخير» و«أغنيَّة المهـد» لتشـاك بوْلانـك، «أضواء الشَّـمال» لفيليـپ پولمان، «300» لفرانـك ميلـر، «نداء الوحش» لپاتريك نِس، «الفريسـة الأخطر» لريتشـرد كونل، ومجموعتان من المختارات القصصيَّة هما «الشَّـبح الذي جاء يعتذر» و«رقصة فـي الظَّلام»، وترجمة إنجليزيَّـة لقصَّة الأطفال «السَّـماء تُمطر أرانـب» لأروى حامد العوجان.

فـازَ فهمي بجائزة القلـم الذَّهبي في دورتها الأولى في مسـار الرِّواية المترجَمة عن «فارس من الممالك السَّبع».

من حافة المجموعة الشمسية إلى عوالم أخرى غريبة، تأخذنا هذه المختارات في رحلة آسرة داخل عوالم الفانتازيا والخيال العلمي. بين الدهشة والتأمل، وبين المألوف والمتخيَّل، تمتد القصص لتختبر حدود الواقع وتحرِّض خيالنا على الاستكشاف، ويصير وسيلةً لفهم العالم والتعبير عن هشاشته. بعض القصص في هذه المجموعة لعددٍ من أهم وأشهر مؤلِّفي هذين المجالَيْن في التاريخ، مثل: جورج ر. ر. مارتن، إرسولا ك. لِجوِن، آرثر تشارلز كلارك، و ج. ر. ر. تولكين، وبعضها لكتَّاب لم يحظوا بالقدر نفسه من الشُّهرة لكنني سعدتُ باكتشافهم ورأيتُ أن أنقل إلى القارئ العربي لمحات مما كتبوه.

كعادتي في مثل هذه المجموعات القصصيَّة، العامل المشترك الأكبر بينها أنها من اختيار المُترجم وتفضيلاته، وعسى أن يجد القارئ فيها ما يروقه.

المترجم

*****

مع هشام تصير الترجمة عملًا مرهِقًا مدقِّقًا خاليًا من الثغرات، خصوصًا مع لغته العربيَّة الممتازة.

أحمد خالد توفيق

مكتبة
t.me/soramnqraa

هشام فهمي

النَّوع الثَّاني من الوحدة

مختارات قصصيَّة

9 789921 888919

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

www.takweenkw.com | takween.publishing@gmail.com